مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور / سعيد بن مسفر القحطاني

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أنزل الله عز وجل كتابه الكريم ليكون نوراً وهدى للناس وأوجب على عباده تلاوته وتدبره والعمل به، وتحكيمه وصبغ حياتهم بأحكامه في جميع شؤونهم عقيدة وعبادة وشريعة وسلوكاً وأخلاقاً، ويوم تمسكت الأمة بالكتاب الكريم وعملت به دانت لها الدنيا وعاشت حياة العزة والقوة ودخل الناس في دين الله أفواجاً لينعموا بالعيش في ظلاله الوارف.

وما لبث الزمان يدور حتى فقدت الأمة عزتها وخسرت مكانتها، وأصبحت في ذيل الأمم ؛ وما ظلمها الله ولكن كانت هي الظالمة حين أعرضت عن كتاب ربها وعنوان رقيها ورمز عزتها أعرضت عنه عملاً وتطبيقاً وأعرضت عنه تحاكماً وتحكيماً؛ وحق عليها قول النبي ﷺلربه عز وجل يوم القيامة: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

وقد تناول المصلحون من العلماء والدعاة بالبحث والتحذير والنهي والترهيب حتى تعود الأمة إلى القرآن الكريم ومنهم صاحبا الفضيلة الشيخ / أبو أنس محمد ابن فتحي آل عبد العزيز، والشيخ / أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح في كتابهما المبارك **(فتح الرحمن في بيان هجر القرآن)** والذي تضمن بياناً شافياً لحكم هجر القرآن وأنواع الهجر وجمعا فيه أقوال أهل العلم في هذه المسألة المعتمدة على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة.

وإنني بهذه المناسبة لأدعو إلى اقتناء هذا الكتاب وقراءته في حلقات العلم ودروس القرآن وعقب الصلوات في المساجد وفي المجالس الخاصة لنعرف كيف نتعامل مع كتاب الله الكريم كما أدعو الله عز وجل للأخوين الفاضلين بأن يتقبل منهما هذا الجهد المبارك وأن يجزل لهما الأجر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه،،،

كتبه

الشيخ الدكتور / سعيد بن مسفر القحطاني

الداعية المعروف

مقدمة فضيلة الشيخ / عبد الله بن مانع الروقي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آلـه وصـحبه أجمعين... أما بعد:

فلقد اطلعت على كتاب (**فتح الـرحمن في بيـان هجـر القـرآن**) الـذي أعـده صاحبا الفضيلة / أبو عبد الرحمن محمود الملاح و أبو أنس محمد بن فتحي آل عبد العزيز، فوجدته مؤلفاً متقناً أفاد فيه مؤلفاه وأجادا في هذا الموضوع المهـم، وسـدا ثغرة في المكتبة الإسلامية... وحـسب علمـي لم يـسبق أن جمـع فيـه أحـد قـبلهما كجمعهما... ومن أتى بعدهما فهو عالة عليهما...

وفي هذا الكتاب من النقول المتكاثرة، والتحقيقات المفيـدة ؛ مـا يجعلـه مـن الكتب التي يتسابق إلى اقتنائها والاستفادة منها.

فجزى الله مؤلفيه خيراً، ونفع بهما، ورزقنـا وإيـاهم العلـم النـافع والعمـل الصالح.

وصلى الله على خير خلقه ونبيه ومجتباه.

والحمد لله رب العالمين

كتبه الشيخ / عبد الله بن مانع الروقي

٨/ ٦/ ١٤٢٩هـ

مقدمة فضيلة الدكتور / محمود بن أحمد الدوسري

(مؤلف كتاب هجر القرآن العظيم: أنواعه وأحكامه)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، أكرم عباده المؤمنين وشرفهم بكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعله هدى ونوراً ورحمةً وفرقاناً وروحاً، وموعظةً وشفاءً، فهو أحسن الحديث، جعله بلاغاً وحجةً على الخلق أجمعين.

فما أعظمه من كتاب، فهو عظيم لعظمة من تكلم به، وعظيم لمكانة من نزل به، وعظيم لمقام من أنزل عليه، وعظيم لخيريّة من خوطب به، وعظيم لفضل الزمان، وحرمة المكان الذي نزل فيهما، وهو عظيمٌ بتشريعاته الشاملة، عظيم بمقاصده السامية، عظيمٌ في تأثيره وأثره، عظيم في لغته وبيانه، فيه الكمال المطلق؛ لأنه كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود، تكلم به حقيقةً، فله الحمد والمنة، وله الشكر والإنعام..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العظمة والجلال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أعلى الله مكانته، وأعطاه الوسيلة، والفضيلة، وجعله الخاتم لرسله، والمنزَّل عليه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لكن هذا القرآن العظيم زهد فيه كثيرٌ من المسلمين في شتى أنحاء المعمورة -

فضلاً عن غيرهم من أمم الأرض ا ووقعوا في أنواع شتى من هجر القرآن؛ كهجر تلاوته، والاستماع إليه، وتعلمه وتعليمه، وتدبره، والعمل به، والاستشفاء به، والتحاكم إليه، والدعوة إليه...

وإن الاشتغال بالقرآن العظيم؛ والتعريف به، ونشره، وتحبيبه إلى النفوس، وتشويق الأفئدة إليه، والتبصير به ولفت الأنظار إليه، والتحذير من هجره، وإقامة الحجة به على الآخرين، لمن أفضل ما يشتغل به، وتنفق فيه الأوقات، وتبذل فيه الأموال، ويضحى فيه بالمهج.

وإن من توفيق الله تعالى للشيخين الفاضلين / أبي عبدالرحمن محمود بن محمد الملاح وأبي أنس محمد بن فتحي آل عبدالعزيز أن وجدا أنفسهما مشدودين ومندفعين في تحذير المسلمين من هجر القرآن الكريم، فنالا هذا الشرف في تأليف كتابهما القيم: (**فتح الرحمن في بيان هجر القرآن**) وهو بحقٍ أول كتاب تطرَّق لهذا الموضوع بالتفصيل حسب علمي، وقد أفدت منه إبان إعدادي لرسالة الدكتوراه: (هجر القرآن العظيم: أنواعه وأحكامه) فجزاهما الله خيراً، وجعله في موازين أعمالهما يوم القيامة.

وصلى الله على نبينا الكريم وآله وصحبه أجمعين

كتبه

د/محمود بن أحمد الدوسري

الداعية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

حرر في ٥ / ٦ / ١٤٢٩ هـ

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن من نعم الله علينا أن وفقنا لتأليف كتاب (**فتح الرحمن في بيان هجر القرآن**) رغبةً في الأجر، وتحذيراً للأمة من الوقوع في هجر القرآن بأنواعه المتعددة، وحتى يكون دافعاً للتمسك بكتاب الله، والاستقامة على هديه، والعمل بتعاليمه وأوامره.

ونحمد الله عز وجل فإن واقع كثير من الأمة يشهد بعودتها إلى تعلم كتاب الله وتلاوته والتسابق إلى حفظه ومدارسته، وليس أدل على ذلك من الأعداد المتزايدة في حلقات حفظ القرآن الكريم، للبنين والبنات على اختلاف أعمارهم.

ومما يشرح الصدر أن كتابنا هو أول كتاب في المكتبة الإسلامية تناول موضوع هجر القرآن الكريم بالدراسة المستفيضة كما شهد بذلك الكثير من أهل العلم والفضل الذين اطلعوا على الكتاب، وقد اعتمد عليه أحد الباحثين في رسالة الدكتوراه وهو د. محمود بن أحمد الدوسري في رسالته (هجر القرآن العظيم: أنواعه وأحكامه)، كما شهد بذلك في مقدمته، فإنه قد اعتمد خطة بحثه بصورة كبيرة من كتابنا ونقل أبحاثاً كاملة، مثل: مبحث أسباب هجر التلاوة، ونماذج من استماع القرآن... وغيرها، وقد أعددنا تقريراً تفصيلياً عن ذلك يزيد صفحاته عن عشرين صفحة، لكننا أعرضنا عن ذكره هنا؛ مخافة الإطالة على القارئ، واكتفاء بما ذكره الدكتور في مقدمته، وبالاطلاع على فهرس الكتابين يتضح لكل ذي

عينين مدى استفادة الدكتور من الكتاب. نسأل الله أن ينفع بالكتابين ويكتب لهما القبول.

وهذه الطبعة الثالثة لكتابنا وهي مزيدة ومنقحة وتتميز عن سابقتيها بما يلي:

- زيادة بعض الأبحاث والفتاوى، كما في فتاوى في استماع القرآن، والاستعانة بالجن في العلاج، وتعريف التلاوة لغة واصطلاحاً... وغيرها مما سيراه القارئ في موطنه.
- إعادة التنسيق ومراعاة الفقرات وزيادة بعض العناوين الجانبية، وخاصة في باب هجر التلاوة.
- تجنب الأخطاء المطبعية، وإحالة الكلام إلى مصدره حيث سقطت بعض الهوامش في الطبعة الثانية.

وأخيراً:

لا يشكر الله من لا يشكر الناس فإن الفضل بعد الله في إخراج الكتاب وإعداده ومراجعته إلى مجموعة من الأفاضل وعلى رأسهم :

١- فضيلة الشيخ / محمد حسان ـ حفظه الله ـ حيث كان له أكبر الأثر في التشجيع على جمع مادة هذا الكتاب.

٢- فضيلة الشيخ / محمد صفوت الشوادفي ا رحمه الله ا رئيس تحرير مجلة التوحيد المصرية، الذي قام بمراجعة بعض أبحاث الكتاب، وقد وافته المنية قبل كتابة مقدمته.

٣- فضيلة الشيخ / إبراهيم بن محمد عبد العزيز ا رحمه الله ا صاحب دار أم القرى للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة.

٤- فضيلة الشيخ / محمد نبيه ضيف الله ـ حفظه الله ـ الواعظ بالأزهر الشريف والداعية المعروف بمحافظة الشرقية بمصر.

٥- فضيلة الشيخ / جمال عبدالرحمن – حفظه الله – ، مدير شؤون القرآن والسنة بجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر.

وغيرهم كثير؛ فجزى الله كل من ساعدنا بكلمة أو جهد أو دعاء، ونسأل الله أن ينفع بهذه الطبعة، وأن يكتب لها القبول، وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن في الدنيا والآخرة.

كتبه

أبو أنس محمد بن فتحي آل عبد العزيز

أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح

عصر الجمعة الموافق ٢٣/ ٦/ ١٤٢٩هـ

الرياض المملكة العربية السعودية

malmalah@hotmail.com

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار [١].

إن الله – جل وعلا – أنزل إلينا كتاباً فيه خبر ما قبلنا، وحكم ما بيننا، ونبأ ما بعدنا، هو الفصل ليس بالهزل، مَنْ تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجِرَ، ومن حكم به عدل، ومن

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يستفتح بها خطبه ودروسه ومواعظه، للشيخ الألباني – رحمه الله – رسالة نافعة فيها فراجعها.

دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم»[1].

أنزل الله هذا القرآن ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

لقد تمسك السلف الصالح بالقرآن الكريم، وحولوا تلك الآيات إلى منهج حياة متكامل، بأوامره يأتمرون، وبنواهيه ينتهون، بل حولوها إلى رجال تتحرك في واقع البشر؛ فكان القرآن مصدر عزهم وشرفهم وسيادتهم، ومن ثَمَّ جعلهم القرآن قادة وسادة للأمم بعد أن كانوا رعاة للإبل والغنم، ولكن شتان ما بين الخلف الطالح والسلف الصالح، فإننا نشهد هجراً للقرآن على جميع المستويات بشتى الأشكال: هجراً للتلاوة، والاستماع، والتدبر، والعمل، والتحاكم،

---

(١) هذا حديث جميل المعنى، ولكن إسناده ضعيف، فيه الحارث الأعور، وهو لين، بل اتهمه بعض الأئمة بالكذب، ولعل أصله موقوف على عليّ رضي الله عنه فأخطأ الحارث فرفعه إلى النبي، وقد ضعفه الترمذي فقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول وفي الحارث مقال) قاله الألباني -رحمه الله- في تخريج الطحاوية ص (٧١)، وضعفه أيضاً في ضعيف الترمذي (٥٥٤). وقال أبو إسحاق الحويني: ولا يصح الحديث موقوفاً أيضاً لعدم صحة الأسانيد بذلك. انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق أبي إسحاق الحويني (١/ ١٤٩-١٥٠) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ دار ابن الجوزي بالدمام.

والتداوي والاستشفاء بالقرآن، حتى صدق على الكثير منا قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

فالذي يرفع الشكوى هو الرسول الأمين ﷺ والذي يشكى إليه هو الله رب العالمين، ويشكو قومه الذين هجروا القرآن، وأعرضوا عن ذكر الواحد الديان، فإلى الله المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سبب تأليف الكتاب

لقد هجر القرآن تلاوة.. وأعرض الكثير عن مذاكرته وحفظه، ومجالس تدارسه بالرغم من حرصهم الشديد على مطالعة الصحف والمجلات ليتابعوا بلهف وشوق أخبار من لا خلاق لهم من الساقطين والساقطات!!.

لقد هجر القرآن استماعاً.. بل ارتبط استماع القرآن في أذهان كثير من المسلمين بالأحزان والسرادقات التي تقام للمآتم!! بل أقبل الناس على سماع اللهو والغناء والمزمار وهجروا قرآن العزيز الغفار!!

لقد هجر القرآن تدبراً.. القرآن الذي لو أنزله الله على الجبال الرواسي الشامخات لتصدعت من خشية الله، إذا به يقرأ، وآيات الوعد والوعيد تسمع، ولكن قلوب قاسية، وأبدان جامدة، وعيون متحجرة، فلا قلب يخشع، ولا بدن يخضع، ولا عين تدمع !!

لقد هجر القرآن عملاً.. فإذا بالقرآن الذي هو منهاج حياة متكامل يصير في واقع الناس آيات تقرأ عند القبور، ويهدى ثوابها للأموات، أو تصنع منه التمائم والأحجبة تعلق على صدور الغلمان والصبيان، أو يوضع في البيوت والمحلات والسيارات للحفظ والبركة!!

لقد هجر القرآن تحاكماً.. ووقع المنكر الأعظم.. وذلك بتنحية كتاب الله عن الحكم بين الناس، واتهام الشريعة الإسلامية بالضعف والعجز والقصور والتخلف والرجعية.. وحل محلها القانون الوضعي وأقوال الرجال تحكم في الدماء والأموال والأعراض!!

لقد هجر القرآن استشفاءً وتداوياً.. ولجأ بعض الناس إلى السحرة والعرافين والدجالين يطلبون منهم الشفاء والدواء لأمراضهم!!.

ومن أجل هذا كله؛ استعنا بالله وحده في جمع مادة هذا الكتاب رغبة في الأجر، ونصحاً للأمة، وتحذيراً من هجر القرآن، وبيان عواقبه في الدنيا والآخرة لعله يكون دافعاً إلى العودة إلى القرآن الكريم مصدر العز والشرف والسيادة.

منهج الكتاب:

ولقد اتبعنا منهجاً مرضياً - إن شاء الله - في جمع مادة هذا الكتاب، وقد جمعنا أقوال أهل العلم السابقين والمعاصرين ونسقنا بينها ورتبناها، وقد عزونا كل نقل إلى مصدره في هوامش الكتاب؛ مكتفين بذلك عن ثبت المراجع في آخر الكتاب.

ولم نتدخل بأسلوبنا إلا في النزر اليسير إذا اقتضى الحال، وذلك لبيان غامض أو شرح ما خفي على القارئ، وقد عزونا الآيات القرآنية إلى مواضعها من كتاب الله موضحين اسم السورة، ورقم الآية، وخرجنا الأحاديث النبوية، ووضحنا درجتها من الصحة أو الضعف، معتمدين - في الغالب - على كتب علامة الشام ومحدث ديار الإسلام الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - ؛ وذلك لسهولة التعامل مع كتبه والأخذ منها.

لقد سمينا الكتاب بعد مشورة الإخوان (**فتح الرحمن في بيان هجر القرآن**).

والكتاب يتضمن تمهيداً وستة أبواب وخاتمة على النحو التالي:

التمهيد: هجر القرآن (معناه - عاقبته - أنواعه).

الباب الأول: هجر التلاوة.

الباب الثاني: هجر الاستماع.

الباب الثالث: هجر التدبر.

الباب الرابع: هجر العمل.

الباب الخامس: هجر التداوي والاستشفاء.

الباب السادس: هجر التحاكم. والخاتمة

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همنا وغمنا، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل، وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيه عنا، وأن يوفقنا للعمل به، والتحاكم إليه.

ونسأله - سبحانه وتعالى - أن ينفع بهذا الكتاب، ويكتب له القبول، وأن يجزي كل من ساهم في إخراجه خير الجزاء، وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ، أو زلل، أو تقصير فمنا، ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وجزى الله خيراً من رأى فيه خللاً فأرشدنا إليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

كتبه

أبو أنس محمد بن فتحي آل عبد العزيز

أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح

تمهيد

هجــر القــرآن

وفيه فصلان:

الفصل الأول : معنى هجر القرآن.

الفصل الثاني : عاقبة هجر القرآن وأنواعه.

وفيه مبحثان:

الأول: حكم هجر القرآن.

الثاني: أنواع هجر القرآن.

الفصل الأول

معنى هجر القرآن

الفصل الأول

معنى هجر القرآن الكريم

يتضح معنى هجر القرآن من خلال هذا العرض لأقوال العلماء والمفسرين في بيان قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

- **قال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله -**: واختلف أهل التأويل في معنى اتخاذهم القرآن مهجوراً:

القول الأول: كان اتخاذهم ذلك هُجراً، قولهم فيه السيئ من القول، وزعمهم أنه سحر، وأنه شعر.

عن مجاهد قوله: ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ قال: يهجرون فيه بالقول، يقولون: هو سحر. وعن مجاهد أيضاً قوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ ..﴾ الآية. يهجرون فيه بالقول، قال مجاهد: وقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧] قال: مستكبرين بالبلد سامراً مجالس تهجرون، قال: بالقول السيئ في القرآن غير الحق.

عن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] قال: قالوا غير الحق، ألم تر إلى المريض إذا هذى قال غير الحق.

القول الآخر: بل معنى ذلك الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا به.

قال ابن زيد في قول الله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ

﴿مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]. لا يريدون أن يسمعوه، وإن دعوا إلى الله قالوا: لا. وقرأ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]. قال: ينهون عنه، ويبعدون عنه.

ترجيح ابن جرير الطبري:

(قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بتأويل ذلك، وذلك أن الله أخبر عنه أنهم قالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] وذلك هجرهم إياه)(١).

قال الإمام الألوسي البغدادي - رحمه الله -: (والمراد بالرسول نبينا - صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وعظم وكرم -، وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتحقيق العدل والرد على نحورهم حيث كان ما حكى عنهم قدحاً في رسالته ﷺ أن قالوا: كيت وكيت، وقال الرسول إثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث إلى ربه -عز وجل- والشكوى عليهم ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ الذين حكى عنهم ما حكى من الشنائع ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ الجليل الشأن المشتمل على ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم:

﴿مَهْجُورًا﴾ أي متروكاً بالكلية، ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا إليه رأساً ولم يتأثروا بوعيده ووعده، فمهجوراً من الهَجر بفتح الهاء بمعنى الترك وهو الظاهر، وروي ذلك عن مجاهد والنخعي وغيرهما، واستدل ابن الفرس بالآية على كراهة هجر المصحف وعدم تعهده بالقراءة فيه، وكان ذلك لئلا يندرج من لم يتعاهد القراءة فيه تحت ظاهر النظم الكريم، فإن ظاهره ذم الهجر مطلقاً وإن كان المراد به عدم

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام ابن جرير الطبري (١١/ ٩) بتصرف طبعة دار الفكر، عام ١٤٠٥هـ.

القبول لا عدم الاشتغال مع القبول ولا ما يعمهما فإن كان مثل هذا يكفي في الاستدلال فذاك وإلا فليطلب دليلاً آخراً للكراهة. وأورد بعضهم في ذلك خبراً وهو «مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينه» وقد تعقب هذا الخبر العراقي بأنه روي عن أبي هدبة وهو كذَّاب، والحق أنه متى كان ذلك مخلاً باحترام القرآن، والاعتناء به كَرِه، بل حرم وإلا فلا.

وقيل: مهجوراً من الهُجر بالضم على المشهور أي الهذيان وفحش القول، والكلام على الحذف والإيصال أي جعلوه مهجوراً فيه إما عن زعمهم الباطل نحو ما قالوا أنه أساطير الأولين اكتتبها، وإما بأن هجروا فيه ورفعوا أصواتهم بالهذيان لما قرئ لئلا يسمع كما قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]. وفي هذه الشكوى من التخويف والتحذير ما لا يخفى فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا)(١).

قال الإمام ابن الجوزي – رحمه الله –: وفي المراد بقوله: ﴿مَهْجُورًا﴾ قولان:
أحدهما: متروكاً لا يلتفتون إليه ولا يؤمنون به، وهذا معنى قول ابن عباس، ومقاتل.
والثاني: هجروا فيه، أي: جعلوه كالهذيان، ومنه يقال: فلان يَهْجُر في منامه، أي: يَهْذي، قاله ابن قتيبة، وقال الزجاج: الهُجْر: ما لا ينتفع به من القول..).(٢)

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي البغدادي (١٩/ ١٣-١٤) طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
(٢) زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٦/ ٨٧-٨٨) طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.

قال الإمام الشنقيطي - رحمه الله -: (معنى هذه الآية الكريمة ظاهر، وهو أن نبينا ﷺ شكى إلى ربه هجر قومه وهم كفار قريش لهذا القرآن العظيم، أي تركهم لتصديقه والعمل به، وهذه شكوى عظيمة وفيها أعظم تخويف لمن هجر القرآن العظيم، فلم يعمل بما فيه من الحلال والحرام والآداب والمكارم، ولم يعتقد ما فيه من عقائد، ويعتبر لما فيه من الزواجر والقصص والأمثال)[1].

الخلاصة: مما سبق يتضح أن هجر القرآن يقع على المعاني الآتية:

١- القول السيئ في القرآن، والزعم الباطل بأنه سحر أو شعر أو أساطير الأولين (قول مجاهد والنخعي وغيرهما).

٢- الإعراض والبعد عن القرآن، وعدم سماعه، ورفع أصواتهم بالهذيان إذا قرئ لئلا يسمع (قول ابن زيد، وابن جرير).

٣- الترك كلياً: أي تركهم للإيمان به، وتركهم للعمل به، وكذلك عدم الالتفات إليه (قول ابن عباس، ومقاتل).

٤- وسيأتي مزيد بيان لمعنى هجر القرآن عند ذكر أنواعه.

---

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للإمام محمد الأمين الشنقيطي (٦/ ٤٨) طبعة دار الفكر.

الفصل الثاني

عاقبة هجر القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

الأول: حكم هجر القرآن.

الثاني: أنواع هجر القرآن.

الفصل الثاني

عاقبة هجر القرآن الكريم

تعال معنا - أخي الحبيب - لنتعرف على عاقبة من هجر القرآن، وأعرض عنه في الدنيا والآخرة:

١- إن صاحب الهجر والإعراض من أعظم الناس ظلماً.

٢- يجعل الله على قلبه الأكنة - أغطية وغشاوة - حتى لا تفقه الحق، وعلى الآذان الوقر - الصمم المعنوي عن الرشاد -.

٣- صاحب الهجر من الضالين، وأخبر الله عن عدم اهتدائه أبداً إلى الحق.

الدليل على هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

٤- انتقام الله من المعرضين عن القرآن، ووصفهم بالإجرام. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

٥- كون المعرض كالحمار. قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١].

٦- ينذر الله من هجر القرآن ويتوعده بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

٧- المعيشة الضنك في الدنيا. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[طه: ١٢٤]. إن مَنْ هجر القرآن يعيش معيشة ضنكاً، وهذه الكلمة صعبة في النطق كأنها تشير إلى صعوبة تلك الحياة.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في بيان حال من هجر القرآن: (في الدنيا فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبه يتردد فهذا من ضنك المعيشة.. وجاء أيضاً في تفسير الضنك بأنه الكسب الحرام، والعمل السيئ، والرزق الخبيث، وأنه عذاب القبر وضمته).(١)

قال الإمام الشنقيطي - رحمه الله -: (وهذه الأقوال متقاربة لا يكذب بعضها بعضاً، والأولى شمول الآية لجميع الأقوال المذكورة).(٢)

٨- يحشر يوم القيامة أعمى. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[طه: ١٢٤-١٢٦].

سبحان الله! يحشر من أعرض عن القرآن يوم القيامة أعمى، بعد أن كان بصيراً في الدنيا، لكنه ما نظر بعينه إلى القرآن فتلاه، وعمل بمقتضاه، لكنه أعرض عنه، وهجره، وتناساه؛ فصار كالأعمى الذي حرم نعمة البصر؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٣) بتصرف، طبعة المكتبة القيمة.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٥٩٥ - ٥٩٦) طبعة مكتبة ابن تيمية.

قال مجاهد، وأبو صالح، والسدي: ﴿أَعْمَىٰ﴾: لا حجة له.

وقال عكرمة: عُمِّيَ عليه كُلُّ شيء إلا جهنم.

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (ويحتمل أن يكون المراد أنه يبعث، أو يحشر إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضاً، كما قال تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ﴾ [الإسراء: ٩٧](١).

٩- يسلكه الله عذاباً صعداً. قال تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (أي عذاباً مشقاً، شديداً، موجعاً، مؤلماً. قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وابن زيد: ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي مشقة لا راحة معها، وعن ابن عباس: جبل في جهنم، وعن سعيد بن جبير: بئر فيها)(٢).

لا إله إلا الله! مَنْ منا يقوى على هذا العذاب؟ فهل من توبة إلى الله؟.

١٠- يقيض الله له قريناً من الشيطان. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ أي: يتعامى، ويتغافل، ويعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ والعشا في العين: ضعف بصرها، والمراد هنا: عشا البصيرة ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨]. أي هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم،

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٤) طبعة المكتبة القيمة.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣١).

فإذا وافى الله - عز وجل - يوم القيامة يتبرأ من الشيطان الذي وُكِّلَ به: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨][1].

١١- الحسرة والندامة يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

١٢- وقوعه تحت شكوى النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠].

قال الإمام الشنقيطي - رحمه الله -: (وهذه شكوى عظيمة، وفيها أعظم تخويف لمن هجر هذا القرآن العظيم، فلم يعمل بما فيه من الحلال والحرام والآداب والمكارم، ولم يعتقد ما فيه من العقائد، ويعتبر بما فيه من الزواجر والقصص والأمثال)[2].

فكيف يكون حال من هجر القرآن مع الرسول ﷺ يوم القيامة؟ وإذا به يتجه مع المسلمين - وكله شوق وحنين - لرؤية النبي الأمين ﷺ ليشرب من يده شربة هنيئة، لا يظمأ بعدها أبداً، فإذا به يفاجأ بالملائكة تطرده عن الحوض،وتبعده عن رسول الله ﷺ، فيقول النبي ﷺ: «أمتي أمتي» فتقول الملائكة: إنك لا تدري ماذا أحدثوا من بعدك، فيدعو عليهم رسول الله ﷺ بالهلاك والدمار فيقول: «**سُحْقاً سُحْقاً**».

---

(١) المرجع السابق (٤/ ١٢٨) بتصرف.

(٢) أضواء البيان (٦/ ٤٨) طبعة دار الفكر.

١٣- حرمان شفاعة القرآن يوم القيامة. قال رسول الله ﷺ: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»(١).

وقال أيضاً: «**القرآن حجة لك أو عليك**»(٢).

بالله عليك كيف يشفع القرآن في رجل هجره، وأعرض عنه، وأقبل على غيره من كلام البشر يقرأه، أو يسمعه؟ فإن المحروم حقيقةً من حرم شفاعة القرآن يوم القيامة.

١٤- يختم لمن هجر القرآن بسوء الخاتمة. إن نصيب الإنسان من الدنيا عمره، فإن أحسن الاستفادة منه فيما ينفعه في دار القرار فقد ربحت تجارته، وإن استغله في المعاصي والسيئات حتى لقي الله على تلك الخاتمة السيئة فهو من الخاسرين، والعاقل من حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله، وخاف من ذنوبه قبل أن تكون سبباً في هلاكه.

والإنسان يعيش على ما نشأ عليه، ويموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من وفقه الله إلى عمل صالح ثم يقبضه عليه، والشقي من حرم ذلك، ومنهم من هجر القرآن، ونسوق قصة واحدة على ذلك:

قال الشيخ محمد حسان - حفظه الله -: (وهذه قصة رجل ينقلها إليَّ أحد إخواننا في المنصورة فيقول: لقد كان جاري لا يصلي، ومدمناً للغناء، وذكرته مراراً فلم يتذكر، فلما نام على فراش الموت صعدت إليه، ولا زال الغناء يسمع في

(١) رواه مسلم عن أبي أمامة - رضي الله عنه -.

(٢) رواه مسلم والترمذي وابن ماجة والنسائي عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه -. انظر صحيح الترغيب رقم (١٨٤).

البيت، فقلت لأهله: اتقوا الله أبوكم يحتضر والغناء لا ينقطع! ضعوا شريطاً للقرآن. يقول: فلما أخرجت شريط الغناء من الكاسيت، ووضعت شريطاً للقرآن، كشف الرجل الغطاء عن وجهه ونظر إليّ، وقال: دع الغناء، فإنه ينعش قلبي. ومات عليها. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)(١).

وبعد هل تريد - أخي الحبيب - أن تكون مع هؤلاء؟ وتكون منهم في يوم من الأيام؟ تتصف بأوصاف من هجر القرآن؟ وتحشر معهم يوم القيامة؟

هل تريد أن تكون في الدنيا:

ظالماً، ضالاً، مجرماً، كالحمار، قريناً للشيطان، تعيش معيشة ضنكاً، ثم الخاتمة السيئة؟ نعوذ بالله من الخذلان.

أم تريد أن تكون في الآخرة:

ممن يعذب في القبر، ويحشر أعمى يوم القيامة، ويكون من أهل الحسرة والندامة والحزن والأسف، وممن يدعو النبي ﷺ عليه، ويشكو منه، أو ممن يحرم من شفاعة القرآن، ثم العذاب الصعد الصعب الشاق في جبل في جهنم أو في بئر منها. نسأل الله السلامة والعافية.

هل من توبة؟ يغفر الله بها الذنوب، ويستر بها العيوب، ويصلح بها فساد القلوب، ويبدل بها السيئات حسنات.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) الثبات حتى الموت ص (٥١) للشيخ الفاضل محمد حسان - حفظه الله - دار ابن رجب.

يا مَنْ هجرت القرآن، تب إلى الله، والحق قافلة العائدين إلى الله، التي تزداد يوماً بعد يوم، ورافق أهل القرآن حتى تكون منهم، تفز بالسعادة في الدارين.

حكم الهجر

سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حكم هجر القرآن؟ وهل هو حرام أم مكروه؟.

فأجابت: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

أنزل الله القرآن للإيمان به وتعلمه وتلاوته وتدبره والعمل به وتحكيمه والتحاكم إليه والاستشفاء به من أمراض القلوب وأدرانها إلى غير ذلك من الحكم التي أرادها الله من إنزاله. والإنسان قد يهجر القرآن فلا يؤمن به ولا يسمعه ولا يصغي إليه، وقد يؤمن به ولكن لا يتعلمه، وقد يتعلمه ولا يتلوه، وقد يتلوه ولكن لا يتدبره، وقد يحصل التدبر ولكن لا يعمل به، فلا يحل حلاله ولا يحرم حرامه ولا يحكمه ولا يتحاكم إليه ولا يستشفي به مما فيه من أمراض في قلبه وبدنه، فيحصل الهجر للقرآن من الشخص بقدر ما يحصل منه من الإعراض كما سبق[1].

فعلى العبد أن يتقي الله في نفسه وأن يحرص على الانتفاع بالقرآن في شتى وجوه الانتفاع، ويفوته من الخير بقدر ما يتصف به من الهجر.

وإلى نفس المعنى وهو أن الهجر لا يأخذ حكماً واحداً، ولكن يختلف باختلاف الأشخاص، وعلى حسب ما فيه من الهجر، أشار الإمام ابن القيم - رحمه الله -

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٤/ ٦٨ ، ٦٩) من الفتوى رقم (٨٨٤٤) طبعة دار أولي النهى. الطبعة الأولى..

فقال بعد ما ذكر أنواع هجر القرآن: (وإن كان بعض الهجر أهون من بعض).[١]

وسيأتي مزيد بيان لحكم هجر القرآن عند ذكر أنواعه.

أنواع هجر القرآن

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – موضحاً أنواع هجر القرآن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

يقول تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال: ﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى﴾ الآية. وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يستمعونه كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

فكانوا إذا يتلى عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعوه، فهذا من هجرانه، وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه، فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء، وأن يخلصنا مما يسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه، آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يحبه ويرضاه إنه كريم وهاب).[٢]

وبيّن الإمام ابن القيم – رحمه الله – أنواع هجر القرآن فقال: هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

---

(١) الفوائد ص (١١٢) طبعة الريان.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٢٧) طبعة المكتبة القيمة.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به.

وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠]. وإن كان بعض الهجر أهون من بعض.[1]

ومما سبق يتضح أن أنواع هجر القرآن والتي ستكون موضوع كتابنا - إن شاء الله - ستة أنواع:

الأول: هجر التلاوة.

الثاني: هجر الاستماع.

الثالث: هجر التدبر.

الرابع: هجر العمل.

الخامس: هجر التحاكم.

السادس: هجر التداوي والاستشفاء.

(اعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره، ثم لم يحكم أمره؛ ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله والرمز

---

(١) الفوائد لابن القيم (١١٢) طبعة الريان.

إلى بعض فصوله؛ فإن الصناعة طويلة والعمر قصير، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير)[1].

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي (١/ ٣٢) دار الفكر، الطبعة الأولى.

الباب الأول

هجر التلاوة

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: أسباب هجر التلاوة.

الفصل الثاني: صور من هجر التلاوة.

الفصل الثالث: أحوال الناس مع القرآن الكريم.

الفصل الرابع: فضل تلاوة القرآن الكريم.

الفصل الخامس: آداب وأحكام تلاوة القرآن الكريم.

الفصل الأول

أسباب هجر التلاوة

الفصل الأول

أسباب هجر التلاوة

تمهيد

لقد هجر كثير من الناس كتاب ربهم هجراً لم تعرفه الأمة من قبل، فإذا بالواحد منا - إلا مَنْ رحم الله - في هذه الأوقات لا نقول تمر عليه الساعات لكن الأيام والأسابيع بل الشهور، وهو لا يتذكر أنه فتح مصحفاً أو قرأ آيات من كتاب ربه - سبحانه وتعالى - على الرغم من حرصه الشديد على قراءة الجرائد والصحف والمجلات ليتابع بلهف وشوق أخبار مَنْ لا خلاق لهم من اللاعبين واللاعبات، والفنانين والفنانات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكم من بيوت خربة وصدور جوفاء تعيش بيننا ولا تدري عن هذا الخراب شيئاً.

معنى التلاوة لغة واصطلاحاً

التلاوة لغة: مصدر تلا الشيء يتلوه، وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ت ل و) التي تدل بحسب وضع اللغة على معنى واحد هو الاتباع، يقال: تلوته إذا تبعته، ومنه تلاوة القرآن لأن القارئ يتبع آية بعد آية، ويختلف مصدر الفعل (تلا) باختلاف الشيء المتلو.

يقول الراغب: تلا الشيء أي تبعهم متابعة ليس بينها ما ليس منها، وذلك

يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم، والمصدر حينئذ هو التُّلُوُّ والتِّلْوُ، وتارة بالقراءة وتدبر المعنى، والمصدر في هذه الحالة هو (التلاوة).(١)

وقال ابن منظور: تلوته أتلوه وتلوت عنه تلواً، كلاهما: خذلته وتركته، وتلوته تلواً: تبعته. يقال: ما زلت أتلوه حتى أتليته أي تقدمته وصار خلفي.

وأتليته: أي سبقته، وتلوت القرآن: تلاوة: قرأته، وعمَّ به بعضهم كل كلام.

وقوله عز وجل: ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴾ [الصافات: ٣] قيل: هم الملائكة، وجائز أن يكون الملائكة وغيرهم ممن يتلون ذكر الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [البقرة: ١٢١]. معناه يتبعونه حق اتباعه ويعملون به حق عمله.

وقوله عز وجل: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال عطاء: على ما تُحدِّث وتَقُصُّ، وقيل: ما تتكلم به كقولك فلان يتلو كتاب الله أي يقرأه ويتكلم به (٢).

التلاوة اصطلاحاً: ويراد بترتيل القرآن: تلاوته تلاوة تبين حروفها ويتأنى في أدائها ليكون أدنى إلى فهم المعاني.

والتلاوة عند القراء: قراءة القرآن الكريم متتابعاً كالأوراد والأسباع (٣).

---

(1) نضرة النعيم (٤/ ١١٧٦).

(2) لسان العرب (١٤/ ١٠٢-١٠٤)، ومقاييس اللغة (١/ ٣٥١) والمفردات للراغب ص٧٥.

(3) فتح الباري (٨/ ٧٠٧)، وكشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٢٢٤).

أسباب هجر التلاوة

إن أسباب هجر القرآن كثيرة ومتعددة تختلف من شخص لآخر وكذلك تختلف حسب نوع هجر القرآن وسيأتي بيان أسباب هجر كل نوع من أنواع هجر القرآن في مكانه ولكننا نذكر أهم الأسباب العامة التي تؤدي إلى هجر التلاوة وهي:

أولاً: الجهل بفضل تلاوة القرآن الكريم.

ثانياً: الانشغال بالدنيا.

ثالثاً: الفتور وضعف الهمة.

رابعاً: تقديم طلب العلوم الأخرى على القرآن.

خامساً: الغزو الفكري والحرب المعلنة ضد القرآن.

وسوف نتناول هذه الأسباب بشيء من التفصيل وذلك بعون الله وتوفيقه.

أولاً: الجهل بفضل تلاوة القرآن الكريم

إن جهل الكثير من أبناء المسلمين بفضل تلاوة القرآن الكريم، والثواب المترتب عليه، من أكبر الدواعي لهجر تلاوة القرآن، وعدم الاعتناء بتحصيله، والمداومة على تلاوته.

ولو يعلم المرء ما في هذا القرآن الكريم من الفضل العظيم، والثواب الجزيل، ومنزلة قارئه في الدنيا والآخرة؛ لجعله أنيسه آناء الليل وأطراف النهار، وما غفل عنه طرفة عين، ويكفي أن تعلم - أخي الحبيب - حديث النبي ﷺ: «**مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، بل ألف**

حرف، ولام حرف، وميم حرف»(١).

وحديث: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**» (٢).

قال خباب بن الأرت ﷺ: (تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه).

وقال ابن مسعود ﷺ: (من أحب أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فلينظر، فإن كان يحب القرآن، فهو يحب الله ورسوله ﷺ) (٣).

وقال بعض السلف لأحد طلابه: أتحفظ القرآن؟ قال: لا. قال: واغوثاه لمؤمن لا يحفظ القرآن فَبِمَ يترنم؟ فَبِمَ يتنعم؟ فَبِمَ يناجي ربه؟.

وسيأتي مزيد بيان لفضائل تلاوة القرآن وسوره في الفصل الرابع من هذا الباب.

---

(١) (حديث صحيح) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم، والدارمي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٦٠)، وصحيح الجامع الصغير (٦٤٦٩).

(٢) (حديث صحيح) رواه الترمذي وقال: حديث صحيح. ورواه أبوداود، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣١٧)، وصحيح الجامع (٨١٢٢).

(3) (سنده صحيح) أخرجه الطبراني في الكبير (ج٩/ رقم ٨٦٥٧). قال الهيثمي في (المجمع) (٧/ ١٦٥): رجاله ثقات. وقال أبو إسحاق الحويني: سنده صحيح. انظر تفسير ابن كثير - تحقيق الحويني (١/ ١٥٢).

ثانياً: الانشغال بالدنيا:

إن الواقع الذي يعيشه بعض هذه الأمة من البعد عن الله، والجرأة على ما حرم الله، والتعامل بالربا، وغير ذلك من المعاصي والآثام؛ أوقعهم في المعيشة الضنك التي توعد الله بها أمثالهم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

فبدأ الناس يلهثون وراء الدنيا، ويواصلون الليل بالنهار، لسد تلك الاحتياجات الضرورية فضلاً عن الكمالية وقلما يجد أحدهم وقتاً يقرأ فيه القرآن أو يستمعه، فما أن يعود إلى بيته فيجد نفسه منهكاً متعباً يتمنى رؤية الفراش، فمثله كما روي ذلك عن النبي ﷺ: «إن الله يبغض كل جعظري جواظ[١]، سخاب في الأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة»[٢].

ولو يعلم هؤلاء الغاية التي خلقوا من أجلها - لتغير حالهم قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨] - لوجب عليهم الاعتناء بما خلقوا له والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة، فإنها دار نفاد لا محل إخلاد، ومركب عبور لا منزل حبور، ومشرع انفصام لا موطن دوام، فملكها يفنى، وجديدها يبلى، وكثيرها يقل، وعزيزها يذل، وحيها يموت، وخيرها يفوت،

(١) (جعظري): فظ غليظ متكبر، (جواظ): الجموع المنوع. انظر صحيح الجامع (١/ ٣٨٢).

(٢) رواه البيهقي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٧٨) والسلسلة الصحيحة (١٩٥) وقد رأى الألباني ضعفه مؤخراً في السلسلة الضعيفة.

ولهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العباد، وأعقل الناس فيها هم الزهاد، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

فينبغي للعاقل أن يعمل للآخرة، ويسعى لها، وأن يأخذ من الدنيا بقدر ما يوصله إلى الآخرة قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].

ولقد أحسن القائل:

إن لله عباداً فطناً ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمّا علموا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجةً واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا(١)

ثالثاً: الفتور وضعف الهمة:

إن الفتور وضعف الهمة من الأمراض التي تكاد تعصف بالكثير منا، فلا تكاد تجد من يحافظ على شيء، أو يهتم به - إلا من رحم الله -، فما أن يمسك المرء المصحف يوماً حتى يتركه أياماً.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في شأن ضعيف الهمة: (لا شيء أقبح بالإنسان أن يكون غافلاً عن الفضائل الدينية ، والعلوم النافعة، والأعمال

---

(١) رياض الصالحين للإمام النووي (١٨) دار الفيحاء بدمشق، دار السلام بالرياض الطبعة الثالثة عشرة حققه عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق وراجعه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

الصالحة، فمن كان كذلك فهو من الهمج الرعاع، الذين يكدرون الماء، ويغلون الأسعار، إن عاش عاش غير حميد، وإن مات مات غير فقيد، فقدهم راحة للبلاد والعباد، ولا تبكي عليهم السماء، ولا تستوحش لهم الغبراء) وقال أيضاً: (وهذا الصنف شر البرية، رؤيتهم قذى العيون، وحمى الأرواح، وسقم القلوب، يضيقون الدار، ويغلون الأسعار، لا يستفاد من صحبتهم إلا العار والشنار، وعند أنفسهم أنهم يعلمون ولكن ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة غافلون، ويعلمون ولكن ما يضرهم ولا ينفعهم، وينطقون ولكن عن الهوى ينطقون، ويتكلمون ولكن بالجهل يتكلمون..)(١).

ومن الأدوية النبوية لعلاج ضعف الهمة: المداومة على الأعمال الصالحة والاستمرار عليها وإن قلت.

عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال: «مَنْ هذه؟» قالت: فلانة تذكر من صلاتها. قال: «مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا» وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه(٢).

قال الإمام النووي - رحمه الله -: بدوام القليل تستمر الطاعة بالذكر والمراقبة والإخلاص والإقبال على الله، بخلاف الكثير الشاق حتى ينمو القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة.

---

(١) مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم (١/ ١٣٤) نقلاً عن كتاب علو الهمة للشيخ الفاضل محمد بن أحمد بن إسماعيل - حفظه الله - وننصح بقراءته فإنه كتاب نافع ومفيد.

(٢) رواه البخاري (ح٤٣) كتاب الإيمان: باب (أحب الدين إلى الله أدومه).

وقال الإمام ابن الجوزي - رحمه الله -: إنما أحب الدائم لمعنيين:

أحدهما: أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصل، فهو متعرض للذم، ولهذا ورد الوعيد في حق من حفظ آية ثم نسيها[١]، وإن كان قبل حفظها لا يتعين عليه.

ثانيهما: أن مداومة الخير ملازم للخدمة، وليس مَنْ لازم الباب في كل يوم وقتاً ما كمَنْ لازم يوماً كاملاً ثم انقطع. وزاد المصنف ومسلم من طريق أبي سلمة عن عائشة أن رسول الله ﷺ سئل أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**ما دووم عليه وإن قل**»[٢].

رابعاً: تقديم طلب العلوم الأخرى على القرآن:

(إن عدم المنهجية في طلب العلم لدى كثير من طلاب العلم، وعدم التلقي عن العلماء ؛ أدى إلى ذلك التخبط، وذلك الغبش الذي أصاب الكثير منهم، حتى قدموا كلام البشر على كلام رب البشر، وأقبلوا على حفظ المتون في شتى الفنون، وما حفظوا كلام الله الذي هو أساس العلوم، وما هكذا فعل السلف الصالح، ولا هذه طريقتهم في طلب العلم)[٣].

---

(١) قلنا: الحديث الوارد في ذلك ضعيف. عن أنس مرفوعاً: «عُرضت عليَّ أجور أمتي، حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليَّ ذنوب أمتي، فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن، أو آية أوتيها رجل ثم نسيها». راجع ضعيف الترمذي (٥٥٨) وضعيف أبي داود (٧١، ٣١٧) وكذلك ضعيف الجامع (٥١٥٣).

(٢) فتح الباري للإمام الحافظ ابن حجر - رحمه الله - (١/ ١٢٧) طبعة الريان.

(٣) الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ والانتفاع بالقرآن لمحمد بن مصطفى بن أحمد بن شعيب ص (٥) طبعة مكتبة آل ياسر، الطبعة الأولى.

دخل أحد فقهاء مصر على الإمام الشافعي - رحمه الله - في المسجد وبين يديه المصحف، فقال له الشافعي: (شغلكم الفقه عن القرآن! إني لأصلي العتمة وأضع المصحف في يدي فما أطبقه حتى الصبح)(١).

قال شعبة بن الحجاج - رحمه الله - لأصحاب الحديث: (يا قوم إنكم كلما تقدمتم في الحديث تأخرتم في القرآن)(٢).

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله -: (الذي أرى في طلب العلم أن يبدأ الإنسان ولاسيما الشاب الصغير بحفظ القرآن العظيم قبل كل شيء، أرأيت لو أنك تكلمت في مجمع وتريد أن تستدل بالقرآن، وأنت لم تحفظه ؛ إنك لا تتمكن من الاستدلال بالقرآن)(٣).

سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن الذي يُقدم في الطلب حفظ القرآن أو العلم؟

فأجاب: (أما العلم الذي يجب على الإنسان عيناً كعلم ما أمر الله به، وما نهى الله عنه، فهو مقدم على حفظ ما لا يجب من القرآن، فإن طلب العلم الأول واجب، وطلب الثاني مستحب، والواجب مقدم على المستحب، وأما طلب حفظ القرآن: فهو مقدم في التعليم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن،

---

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي (١/ ٥٤٥) طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى.

(٢) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٧/ ٢٢٣).

(٣) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات لابن عثيمين، إعداد وترتيب أبو أنس علي بن حسين أبو لوز ص (٩٦) طبعة دار المجد.

فإنه أصل علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدعة من الأعاجم وغيرهم، حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم: من الكلام، أو الجدال والخلاف، أو الفروع النادرة، أو التقليد الذي لا يحتاج إليه، أو غرائب الحديث التي لا تثبت ولا ينتفع بها، وكثير من الرياضات التي لا تقوم عليها حجة، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله، فلابد في هذه المسألة من التفصيل، والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه، والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين)[1].

خامساً: الغزو الفكري والحرب المعلنة ضد القرآن:

لما عجز أعداء الله عن السيطرة على بلاد المسلمين عن طريق الغزو العسكري، إذا بهم يلجؤون إلى حيل ماكرة، وطرق ملتوية ؛ للقضاء على الإسلام والمسلمين عن طريق الغزو الفكري، وركزوا على إبعاد المسلمين عن كتابهم - القرآن الكريم - الذي منه يستمدون منهجهم، وأسلوب حياتهم،

ويتضح ذلك من خلال تصريحات الأعداء المعلنة ومنها:

ما قاله جلادستون - رئيس وزراء إنجلترا - وقد وقف في أواخر القرن الماضي في مجلس العموم البريطاني، وقد أمسك بيده القرآن المجيد وصاح في أعضاء البرلمان قائلاً: (إن العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هي شيئان، ولابد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر: أولهما: هذا الكتاب، وسكت قليلاً، بينما أشار بيده الأخرى نحو الشرق، وقال هذه الكعبة)[2].

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٣/ ٥٤-٥٥) طبعة دار التقوى.

(٢) الحركات النسائية في الشرق ص (٧).

وقال أيضاً: (مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان)[١].

وقال أيضاً: (لن تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن)[٢].

وهذا اللورد كرومر يقول: (جئت لأمحو ثلاثاً: القرآن، والكعبة، والأزهر)[٣].

وكان الجندي الإيطالي يرتدي لباس الحرب قادماً لاحتلال بلاد الإسلام، وهو ينشد بأعلى صوته (يا أماه! أتمي صلاتك... ولا تبكي... بل اضحكي وتأملي... ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني... وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً... لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة... ولأحارب الديانة الإسلامية... سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن...)[٤].

وفي ذكرى مرور مئة عام على احتلال الجزائر قال الحاكم الفرنسي في الجزائر: (إننا لن ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم)[٥].

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص (٣٩).

(٢) المرأة ومكانتها ص (١٢).

(٣) الخنجر المسموم للأستاذ أنور الجندي ص (٢٩).

(٤) هذه الأنشودة المشهورة تسمى: (أغنية الفاشست) كانت جيوش إيطاليا الجرارة تترنم بها، وهي تسير مدججة بالسلاح في طرقات طرابلس وبرقة بصوت واحد. انظر الاتجاهات الوطنية (٢/ ١٥٧).

(٥) القومية والغزو الفكري ص (٣٣)، انظر كتاب عودة الحجاب (١/ ٩٣). وما بعدها للشيخ الفاضل/ محمد بن أحمد بن إسماعيل -حفظه الله-.

واتخذوا في ذلك أساليب شتى منها:

١- الازدراء بحفظة القرآن الكريم، والعلماء، والدعاة، وتصويرهم بصور قبيحة حتى يحال بينهم وبين مجتمعاتهم.

٢- السخرية من اللغة العربية - لغة القرآن الكريم -، ومهاجمتها من حين لآخر، ورفع شأن اللغات الأخرى ؛ مما أدى إلى إهمال تدريسها في المراحل التعليمية المختلفة حتى نشأ جيل من أبناء المسلمين يجهل القراءة في المصحف، ولا يكاد يقرأ سطراً صحيحاً بالرغم من حصوله على أعلى الشهادات، وإتقانه العديد من اللغات الأخرى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣- إغراق المجتمعات المسلمة بالحشد الهائل من الصحف والمجلات، التي تبعد عن الله، وتقرب من الشيطان، وتنشر الفاحشة والرذيلة، وأصدق وصف لها أنها (حمَّالة للكذب، قتَّالة للوقت).

٤- تدمير عقيدة المسلمين وأخلاقهم وذلك من خلال البث المباشر، والقنوات الفضائية، فضلاً عن البرامج الهدامة التي تعرض على شاشات التلفاز.

٥- صرف الناس عن القرآن والصلاة ومجالس العلم عن طريق الرياضة وبخاصة كرة القدم التي تحولت إلى عبادة! وليس أدل على ذلك من الولاء والبراء لهذه الأندية، فضلاً عن متابعة المباريات والحرص عليها - حتى ولو كانت في السحر - مع تضييع الصلاة.

الفصل الثاني

صور من هجر التلاوة

أولاً: التلحين في القراءة

ثانياً: جمع القراءات في مجلس واحد

ثالثاً: بدع تتعلق بسورة الفاتحة

رابعاً: بدعة أخذ الفأل من المصحف

خامساً: قراءة القرآن عند القبر

سادساً: قراءة القرآن للأموات

الفصل الثاني

صور من هجر التلاوة

هذه بعض الصور من هجر تلاوة القرآن الكريم نذكرها تحذيراً للمسلمين من الوقوع فيها أو العمل بها:

أولاً: التلحين في القراءة:

شاع في هذا الزمان بدعة قراءة القرآن على الألحان الموسيقية بل وقع في ذلك كثير من مشاهير القراء حتى سمعنا من بعضهم في الإذاعة عندما كان يُسْأَلُ عن سبب شهرته فأجاب: الفضل في ذلك يرجع إلى تعلم الألحان الموسيقية! ولقد تعلمت السلم الموسيقي من بعض الفنانين! فإنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإليك نقول من كلام العلماء في هذه المسألة.

الإمام أحمد في رواية علي بن سعيد في قراءة الألحان: ما تعجبني وهو مُحْدَث.
وفي رواية المروزي: القراءة بالألحان بدعة لا تسمع.

الإمام الشافعي قال: لمَّا ذُكِرَ له حديث معاوية بن قرة في قصة قراءة سورة الفتح والترجيع فيها، فأنكر أبو عبدالله أن يكون على معنى الألحان، وأنكر الأحاديث التي يُحتج بها في الرخصة في الألحان.

وروى ابن القاسم، عن **مالك**، أنه سُئِلَ عن الألحان في الصلاة، فقال: لا

تعجبني، وقال: إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم.

ومَنْ رُوِيَت عنهم الكراهة: أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والقاسم بن محمد، والحسن، وابن سيرين، وإبراهيم النخعي، وغيرهم.

وقال النووي في فتوى عن التلحين في القرآن: ذلك حرام يفسق به القارئ، ويأثم به المستمع، لأنه عدل عن النهج القويم.

ونقل الفوراني من الشافعية الإجماع على التحريم فقال: إذا اختل بالتحسين شيء من الحروف عن مخرجه حَرُمَ بالإجماع.

وقال القسطلاني في إرشاد الساري: (وقد عُلِمَ مما ذكرناه أن ما أحدثه المتكلفون بمعرفة الأوزان والموسيقى في كلام الله تعالى من الألحان والتطريب، والتغني المستعمل في الغناء بالغزل على إيقاعات مخصوصة، وأوزان مخترعة، من أشنع البدع، وأسوأ المنكرات، وأنه يوجب عليهم التعزير، وعلى سامعيهم النكير).

قال الشيخ حسنين مخلوف - مفتي الديار المصرية سابقاً - (ومما لا ريب فيه أنه لن يكون مع رعاية توقيعات الغناء خشية، ولا رهبة، بل تكون القراءة لهواً ولعباً، ومَنْ أضل ممن اتبع هواه واتخذ آيات الله هزواً)[1].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في مقدمة تفسيره بعدما ذكر كلاماً طويلاً عن حرمة القراءة بالألحان والغناء: (وهذا الخلاف إنما هو ما لم يفهم معنى القرآن بترديد الأصوات، وكثرة الترجيعات، فإن زاد الأمر على ذلك حتى لا يفهم معناه؛ فذلك حرام باتفاق، كما يفعل القُرَّاءُ بالديار المصرية الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز،

(١) القرآن آداب تلاوته وسماعه للشيخ حسنين مخلوف ص (١٢).

ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز، ضل سعيهم، وخاب عملهم، فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله، ويهونون على أنفسهم الاجتراء على الله بأن يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه جهلاً بدينهم، ومروقاً عن سنة نبيهم، ورفضاً لسير الصالحين فيه من سلفهم، ونزوعاً إلى ما يزين لهم الشيطان من أعمالهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فهم في غيهم يترددون، وبكتاب الله يتلاعبون، فإنا لله وإنا إليه راجعون) [١].

ثانياً: جمع القراءات في مجلس واحد:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (وأما جمعها - القراءات - في الصلاة، أو في التلاوة فهو بدعة مكروهة، وأما جمعها لأجل الحفظ والدرس فهو من الاجتهاد الذي فعله طوائف في القراءة) [٢].

قال الإمام النووي - رحمه الله -: (إذا ابتدأ بقراءة أحد القراء ؛ فينبغي أن يزال على القراءة بها ما دام الكلام مرتبطاً، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة آخر من السبعة، والأَوْلى دوامه على الأُولى في هذا المجلس) [٣].

قال الشيخ محمود خليل الحصري -رحمه الله-: (إذا كان التواصي بالحق، والتناهي عن المنكر، من سنن الإسلام، فليعلم إخواننا القراء - وفقهم الله- أن الله -تعالى- قد حَمَّلهم أمانة تلاوة كتابه، وألزمهم فيها التأدب بآدابه، والإتباع لسنة رسوله فيها، والنهي عما فيه إخلال بحقها، أو ابتداع فيها، والقراءة سنة

---

(١) مقدمة تفسير القرطبي (١/ ١٦) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. وانظر تحقيق ابن القيم - رحمه الله - في زاد المعاد (١/ ٤٨٢-٤٩٣) طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٠٤) طبعة دار التقوى للنشر والتوزيع.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن ص (٦٨) طبعة مكتبة ابن عباس بالمنصورة.

مأثورة، وجعل جزاء تقصيرهم في ذلك مضاعفاً بقدر ما منحهم الله من العلم بأحكام التلاوة ؛ لذلك أدعوهم - هداني الله وإياهم - إلى القيام بحق كتابه وترك ما اعتادوه في هذا العصر من الجمع بين القراءات في المحافل، فإنه كما نص عليه الأئمة الثقات، وهم القدوة في هذا الشأن، بدعة مستحدثة، غير معروفة، لا عند السلف، ولا عند الخلف) [١].

ثالثاً: بدع قراءة الفاتحة:

١- قراءة الفاتحة زيادة في شرف النبي ﷺ بدعة لا أصل لها. وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. ولم يقل اقرءوا عليه.

٢- قراءة الفاتحة بنية قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وهلاك الأعداء، بدعة لم يأذن بها الدين.

٣- قراءة الفاتحة بالسماح كما يفعله الفقراء، بدعة.

٤- قراءة الفاتحة عند شرط خِطْبة الزواج، واعتقادهم أن قراءتها عهد لا ينقض، أو بأنها بأربعة وأربعين يميناً، بدعة واعتقاد فاسد وجهل [٢].

٥- قول بعضهم بعد قراءة القرآن: الفاتحة [٣].

---

(١) القرآن آداب تلاوته وسماعه ص (٢٩).

(٢) السنن والمبتدعات لمحمد بن أحمد بن عبدالسلام الشقيري - رحمه الله - ص (١٩١-١٩٢) طبعة الريان.

(٣) بدع القراء القديمة والمعاصرة ص (٢١) طبعة مؤسسة قرطبة.

٦- وقول بعضهم: (الفاتحة لروح فلان)[١].

٧- قراءة الفاتحة بعد الدعاء بدعة.[٢]

٨- قراءة الفاتحة بعد الصلاة يعني الفريضة.[٣]

رابعاً: بدعة أخذ الفأل من المصحف

قال الشيخ محمد بن أحمد بن عبد السلام - رحمه الله -: (فمن ذلك أخذ الفأل والبخت من المصحف، ولا أدري ماذا يصنع صاحب البخت إن وقف على آية ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[البقرة: ٢٧٩]، أو ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾[العلق: ١٥]، أو ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾[العلق: ١٦]، أو ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[العلق: ١٨]. مثلاً.

وفي كتاب أدب الدنيا والدين[٤] أن الوليد بن يزيد تفاءل يوماً في المصحف فخرج له قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[إبراهيم: ١٥]، فمزق المصحف، وأنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد ... فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث إلا أياماً حتى قُتِلَ شر قِتْلَة، وصُلِبَ رَأْسُه على قصره، فنعوذ بالله فهذا فعل مذموم جداً، يجب تركه ومحاربته).[٥]

---

(١) أحكام الجنائز للألباني ص (٧) طبعة مكتبة المعارف بالرياض.

(٢) فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٣٨٤) طبعة دار أولي النهى.

(٣) المرجع السابق (٢/ ٣٨٤).

(٤) كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي ص (٥٠٠-٥٠١) طبعة دار ابن كثير، دمشق.

(٥) السنن والمبتدعات ص (١٩٤-١٩٥) طبعة الريان.

خامساً: قراءة القرآن عند القبر

قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-: (وقراءة القرآن عند زيارة المقابر، أو عندها، لا أصل له في السنة، إذ لو كانت القراءة مشروعة لفعلها رسول الله ﷺ وعلمها أصحابه، لاسيما وقد سألته عائشة -رضي الله عنها- وهي من أحب الناس إليه، عما تقول إذا زارت المقابر، فعَلَّمها السلام والدعاء، ولم يعلمها أن تقرأ الفاتحة أو غيرها من القرآن ؛ فلو أن القراءة كانت مشروعة لما كتم ذلك عنها، كيف وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز كما تقرر في علم الأصول، فكيف بالكتمان، ولو أنه ﷺ علَّمهم شيئاً من ذلك لنُقِلَ إلينا، فإذ لم ينقل بالسند الثابت دل على أنه لم يقع.

ومما يقوي عدم المشروعية قوله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة**»[1] فقد أشار ﷺ إلى أن القبور ليست موضعاً للقراءة شرعاً، فلذلك حض على قراءة القرآن في البيوت، ونهى عن جعلها كالمقابر التي لا يقرأ فيها، كما أشار في الحديث الآخر إلى أنها ليست موضعاً للصلاة أيضاً، وهو قوله: «**صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً**»[2]، أخرجه مسلم وغيره عن ابن عمر، وهو عند البخاري بنحوه، وترجم له بقوله: (باب كراهية الصلاة في المقابر) فأشار به إلى أن حديث ابن عمر يفيد كراهة الصلاة في المقابر، فكذلك حديث أبي هريرة يفيد كراهة قراءة القرآن في المقابر ولا فرق.

ولذلك كان مذهب جمهور السلف كأبي حنيفة ومالك وغيرهم كراهة القراءة

---

(١) رواه مسلم (٧٨٠) والترمذي (٢٨٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١٨٧) وغيره عن ابن عمر.

عند القبور، وهو قول الإمام أحمد، فقال أبو داود في مسائله[1]: وسمعت أحمد سئل عن القراءة عند القبر ؟ فقال: لا. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: (ولا يحفظ عن الشافعي نفسه في هذه المسألة كلام، وذلك لأن ذلك كان عنده بدعة، وقال مالك: ما علمت أحداً يفعل ذلك، فعُلِمَ أن الصحابة والتابعين ما كانوا يفعلونه).

وقال شيخ الإسلام[3]: (والقراءة على الميت بعد موته بدعة، بخلاف القراءة على المحتضر فإنها تستحب بـ يس).

قال الألباني: لكن حديث قراءة (يس) ضعيف، والاستحباب حكم شرعي، ولا يثبت بالحديث الضعيف كما هو معلوم من كلام ابن تيمية نفسه في بعض مصنفاته)[4].

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله -: (ولم يكن ﷺ يجلس يقرأ عند القبر، ولا يلقن الميت كما يفعله الناس اليوم - ثم ذكر حديث التلقين وبين ضعفه -)[5].

وقال أيضاً: (هديه ﷺ تعزية أهل الميت، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء، ويقرأ له القرآن، لا عند قبره، ولا غيره، وكل هذا بدعة حادثة مكروهة)[6].

---

(١) ص (١٥٨).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص (١٨٢).

(٣) الاختيارات العلمية ص (٥٣).

(٤) أحكام الجنائز وبدعها للألباني ص (٢٤١-٢٤٣) طبعة مكتبة المعارف بالرياض.

(٥) زاد المعاد (١/ ٥٢٢).

(٦) المرجع السابق (١/ ٥٢٧).

سادساً: قراءة القرآن للأموات:

ذهب الجمهور إلى عدم وصول ثواب القراءة للأموات إذا كان بالأجرة، والمال المأخوذ على ذلك حرام، ويأثم الآخذ والمعطي.

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - بعدم وصول ثواب قراءة القرآن بأجرة أو بغير أجرة وهو الصواب الذي ندين لله - تعالى - به، قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، وقال النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أوعلم ينتفع به،أو ولد صالح يدعو له**»[١].

وإذا كانت القراءة تصل إلى الموتى فما بال الأحياء لا يضعون آلات التسجيل على القبور يتلى فيها القرآن ليل نهار﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨][٢].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: (ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته، ولا حَثَّهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنصٍ ولا إيماء، ولم يُنْقل ذلك عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم- بسند صحيح، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وباب القربات يُقتصر فيه على النصوص، ولا يُتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء)[٣].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) انظر كتاب حكم القراءة للأموات هل يصل ثوابها إليهم ؟ للشيخ محمد بن أحمد بن عبدالسلام.

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٨) طبعة المكتبة القيمة.

الفصل الثالث

أحوال الناس مع القرآن الكريم

الفصل الثالث

أحوال الناس مع القرآن الكريم

لقد وضح النبي ﷺ أحوال الناس مع القرآن، وأثر القرآن فيهم فقال: «**إن مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كالتمر لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**»[1].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: قوله: «طعمها طيب وريحها طيب» قيل: خص صفة الإيمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن إذا يمكن حصول الإيمان بدون القراءة، وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه، ثم قيل: الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة لأنه يتداوى بقشرها وهو مفرح بالخاصية، ويستخرج من حبها دهن له منافع وقيل: إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترج فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين، وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن، وفيها أيضاً من المزايا كبر جرمها وحسن منظرها وتفريح لونها ولين ملمسها، وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة وجودة

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. الأترجة: فاكهة ذات رائحة طيبة. البخاري (٥٢٠٠) مسلم (٧٩٧).

هضم ولها منافع أخرى مذكورة في المفردات. ووقع في رواية شعبة عن قتادة كما سيأتي بعد أبواب (المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به) وهي زيادة مفسرة للمراد وأن التمثيل وقع بالذي يقرأ القرآن ولا يخالف ما اشتمل عليه من أمر ونهي لا مطلق التلاوة، فإن قيل: لو كان كذلك لكثر التقسيم كأن يقال الذي يقرأ ويعمل وعكسه والذي يعمل ولا يقرأ وعكسه، والأقسام الأربعة ممكنة في غير المنافق وأما المنافق فليس له إلا قسمان فقط لأنه لا اعتبار بعمله إذا كان نفاقه نفاق كفر، وكأنه الجواب عن ذلك أن الذي حذف من التمثيل قسمان: الذي يقرأ ولا يعمل، والذي لا يعمل ولا يقرأ، وهما شبيهان بحال المنافق فيمكن تشبيه الأول بالريحانة والثاني بالحنظلة فاكتفي بذكر المنافق، والقسمان الآخران قد ذكرا.

قوله: «ولا ريح فيها» في رواية شعبة « لها».

قوله: «ومثل الفاجر الذي يقرأ» في رواية شعبة «ومثل المنافق» في الموضعين.

قوله: «ولا ريح لها» في رواية شعبة «وريحها مر» واستشكلت هذه الرواية من جهة أن المرارة من أوصاف الطعوم فكيف يوصف بها الريح؟ وأجيب بأن ريحها لما كان كريهاً استعير له وصف المرارة، وأطلق الزركشي هنا أن هذه الرواية وهم وأن الصواب ما في رواية هذا الباب «ولا ريح لها» ثم قال في كتاب الأطعمة لما جاء فيه «ولا ريح لها» هذا أصوب من رواية الترمذي «طعمها مر وريحها مر» ثم ذكر توجيهها وكأن ما استحضر أنها في هذا الكتاب وتكلم عليها فلذلك نسبها للترمذي. وفي الحديث فضيلة حاملي القرآن. وضرب المثل للتقريب للفهم، وأن المقصود من تلاوة القرآن العمل بما دل عليه).(١)

---

(١) فتح الباري (١١/ ٨١) باب فضل القرآن على سائر الكلام.

قال رسول الله ﷺ: «**تعلموا القرآن، وسلوا الله به الجنة، قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرؤه لله**»(١).

روى ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار: حدثنا بكر بن خنيس، عن ضرار بن عمرو، عن الحسن، قال: (قُرَّاءُ القرآنِ ثلاثة: رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس، وقوم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده، واستدروا به الولاة، واستطالوا به على أهل بلادهم. ورجل قرأ القرآن، فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه، فسهر ليله، وهملت عيناه، وتسربلوا بالخشوع، وارتدوا الحزن، وركدوا في محاريبهم، وحثوا في برانسهم، فبهم يسقي الله الغيث، وينزل المطر، ويرفع البلاء، والله لهذا الضرب في حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر)(٢).

عن إياس بن عمر قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي ثم قال: (إنك إن بقيت سيقرأ القرآن ثلاثة أصناف: فصنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدنيا، ومن طلب أدرك)(٣).

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (والناس في هذا أربع طبقات:

الأولى: أهل القرآن والإيمان وهم أفضل الناس.

والثانية: من عدم القرآن والإيمان.

---

(١) (حديث صحيح) انظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٢٨٥).

(٢) نقلاً عن كتاب الفرقان لابن الخطيب ص (٩٧) طبعة مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى.

(٣) سنن الدرامي (٢/ ٥٢٦) برقم (٣٣٢٩) طبعة الريان.

والثالثة: من أوتي قرآناً ولم يؤت إيماناً.

والرابعة: من أوتي إيماناً ولم يؤت قرآنا.

قالوا: فكما أن من أوتي إيماناً بلا قرآن أفضل ممن أوتي قرآنا بلا إيمان، فكذلك من أوتي تدبراً وفهما في التلاوة أفضل ممن أوتي كثرة قراءة وسرعتها بلا تدبر).(١)

وبعد.. فمن أي الأقسام نحن، وما هو حالنا مع كتاب الله، نسأل الله أن يردنا إلى كتابه رداً جميلاً.

هؤلاء هجروا تلاوة القرآن ؟!

إن المعرضين عن القرآن طوائف كثيرة منهم:(٢)

الطائفة الأولى: (بعض الأئمة)

ويرجع هجر بعض الأئمة للقرآن وإعراضهم عنه إلى سببين هما:

السبب الأول: الكتب التي يقرأونها ويتدارسونها والتي تمتلئ بالمسائل المنطقية والبيانية والفلسفية، وغيرها من القضايا الجدلية التي لا توصلهم إلى إدراك عظمة الله سبحانه وتعالى، ولا تحقق لهم الترغيب في الطاعة، والترهيب من المعصية، ولذلك ترى بعضهم - إلا مَنْ رحم الله - يخالف قوله فعله، بل أحياناً يتهاون في الطاعة، ويقع في المنكر، فهم المسئولون أمام الله عن ضياع هذه الأمة بسبب إعراضهم عن القرآن.

فوالله لو ذاق هؤلاء طعم القرآن وحلاوته، ولذة مناجاة الله تعالى لما وقعوا في

---

(١) زاد المعاد (١/ ٣٣٨ ، ٣٣٩) طبعة مؤسسة الرسالة. وقد ورد معناه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر سنن الدارمي (٣٣٦٢).

(٢) مستفاد بتصرف من كتاب (السنن والمبتدعات) لمحمد بن أحمد بن عبدالسلام ص (١٩٧-٢٠٢) طبعة الريان.

محارم الله، ولأدى بهم إلى الجهاد في سبيله ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وخصوصاً في عصرنا هذا الذي سالت فيه سيول الفتن والأباطيل، وكادت عواصف الملحدين والزائفين والمبتدعين تنسف أنوار الهداية المحمدية نسفاً ـ لولا حفظ الله لهذا الدين ـ وهذا مقتضى القرآن والإيمان، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

السبب الثاني: المرتبات الضخمة، والأموال الكثيرة التي تدفعهم إلى الاستزادة من متاع الدنيا الفاني من عقارات وسيارات وغيرها، وهذا يحتاج ضرورة إلى ضياع أكثر الأوقات، ونحن لا نريد أئمتنا فقراء ينشغلون بطلب الرزق عن طلب العلم، وكذلك لا نريد أن يشغلهم المال والمتاع عن الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن نطالبهم بما يلي حفاظاً على عودة القرآن إلى حياة الأمة كما كانت من قبل.

- الجمع بين العلم والعمل ليكونوا قدوة حسنة.
- نشر علوم القرآن بين المسلمين.
- إعلاء شأن أهل القرآن والدعوة إلى احترامهم وتوقيرهم.
- الاهتمام بمكاتب تحفيظ القرآن بوقف الأموال للإنفاق عليها وتحسين أحوالها.
- إرسال الدعاة والوعاظ إلى القرى والأرياف.
- إنشاء المساجد في الأماكن التي تحتاج لذلك.

الطائفة الثانية: بعض الأغنياء

هؤلاء أطغتهم الأموال، وألهتهم الآمال، فكانوا ممن أو كمن قال الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]. منعوا

الزكاة المفروضة والنفقات الواجبة والمندوبة، فعشوا عن القرآن الكريم، والذكر الحكيم، فسُلِّطَت عليهم الشياطين، يدعونهم إلى الشر، ويأمرونهم بالمنكر، وينهونهم عن المعروف، ويصدونهم عن الجمعة والجماعات، وسماع القرآن والمحاضرات، فهم يجاهدون في سبيل الشيطان بأموالهم وأنفسهم، معرضون عن الحق، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

فيا أغنياء المسلمين: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

الطائفة الثالثة: بعض قُرَّاءُ القرآن:

نقصد القُرَّاء الذين لا يقرؤون القرآن إلا لجمع حطام الدنيا، فيتلونه في سرادقات المآتم، وفي الختمات والليالي، وكثير منهم يتعلم القراءات لأجل التعيش، ولأجل أن يرغبوا فيه أكثر من غيره، ولو سألتهم عن معنى كلمة واحدة لعجزوا، وهؤلاء يصدق عليهم قول النبي ﷺ: «**أكثر منافقي أمتي قراؤها**»(١).

الطائفة الرابعة: المتصوفة:

والسبب في إعراض هؤلاء الناس عن القرآن إنما هو اشتغالهم بأحزاب مشايخهم، وبالبيارق والبازات، والليالي والختمات، والموالد والحضرات والمنامات، فترى الجماعات من الرجال والنساء - بزعم أنهم إخوة على الطريق - يطوفون حول المقامات، ويقدمون لها النذور، يذبحون لها الذبائح، ويعتقدون فيها جلب

(١) (حديث صحيح) رواه أحمد، والطبراني، والبيهقي عن ابن عمرو رضي الله عنهما وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٣).

النفع، ودفع الضر، ويطلبون منها المدد والولد، ويُقبِّلُون الأعتاب، ويزعمون أن مَنْ قبل الأعتاب ما خاب، فهؤلاء قد انتكست فطرتهم، وضلت عقولهم، وخابت أعمالهم وخسرت، وصدق عليهم قول الله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

الطائفة الخامسة: بعض المثقفين:

وهؤلاء قد شغلوا أنفسهم بقراءة الجرائد السياسية، والمجلات الفكاهية والهزلية، وكتب الحكايات والروايات، والقصص والأشعار، فتراهم يحفظون الكثير منها، ولا يحفظون قليلاً ولا كثيراً من علوم الإسلام، بل يعدون المقبلين على فهمها والعمل بها مجانين أو عقولهم متأخرة، وهؤلاء كل آية نزلت فيمن يعرضون عن ذكر الله تصفعهم على نواصيهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

الطائفة السادسة: بعض العامة:

وهؤلاء يحفظ أحدهم مئة موال ومئة قصة وكثيراً من الأمثال والنوادر، ويذكر لك كل ما يسمعه من الحكايات...، ثم إذا خاطبته في حفظ شيء من القرآن ليصحح به صلاته يعتذر لك بعدم القراءة والكتابة، هذا جوابهم بالرغم أننا نعرف أناساً أميين يجيدون قراءة وكتابة اللغات الأجنبية، ولا يحسنون النطق (بسمع الله لمن حمده) ولا بالفاتحة، فالمسألة راجعة إلى العناية والاجتهاد، فلو اجتهد رجل أمي في حفظ ما يسمعه من أوامر الدين ونواهيه، ومن آيات القرآن وسنن النبي ﷺ كبعض محافظته على التعاليم الأجنبية لحفظ شيئاً كثيراً، بل لو

شاء حفظ القرآن كله، وألف حديث نبوي لكان ذلك سهلاً عليه جداً.

وجماعة العميان أكبر شاهد على ذلك، ولكنهم أعرضوا ونأوا: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. واذكروا قول ربكم لنبيه: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ٩٩ - ١٠٢].

الطائفة السابعة: جماعة اللهو والعبث

إن طائفة من المجتمع - للأسف الشديد - تظن أنها خلقت بلا هدف وغاية، وكما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦].

فإذا بهم يقضون أوقاتهم بين اللهو والطرب، ولعب النرد والشطرنج، وتناول الخمور والمخدرات والمسكرات، وهذه الأشياء الخبيثة الملعونة قد أضرت وأفسدت أخلاق كثير من الشبان، بل والشابات، وكم خربت من بيوت كانت عامرات، فإلى الله المشتكى ومنه الهداية وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فاحذر أخي الحبيب. أن تكون من هؤلاء الذين هجروا القرآن الكريم، فإن عاقبة الهجر وخيمة، ونهايته أليمة.

أما علم هؤلاء الذين هجروا قراءة القرآن الكريم فضله في الدنيا والآخرة ولذلك سوف نذكر طرفاً من هذه الفضائل ترغيباً لطالب الأجر والثواب.

الفصل الرابع

فضل تلاوة القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

أولاً: فضل تلاوة القرآن الكريم.

ثانياً: الترغيب في قراءة سور وآيات مخصوصة.

ثالثاً: أحاديث ضعيفة في فضل تلاوة القرآن الكريم للتحذير منها.

الفصل الرابع

فضل تلاوة القرآن الكريم

المبحث الأول: فضل تلاوة القرآن الكريم:

إن فضل تلاوة القرآن كثيرة لا تحصى ولو يعلم الناس ما في تلاوته من الفضائل لما تركوا كتاب الله من بين أيديهم، يتلونه آناء الليل وأطراف النهار.

ومن هذه الفضائل ما يلي:

١- تلاوة القرآن الكريم تحصيل للأجر العظيم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[فاطر: ٢٩ - ٣٠].

قال قتادة: كان مطرف بن عبدالله إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراء.

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[1].

---

(١) (حديث صحيح) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم والدارمي (٣٣١)، وصححه الألباني. راجع الصحيحة (حديث رقم ٦٦٠) وصحيح الجامع (٦٣٤٥).

انظر - أخي الكريم - إلى الأجر العظيم لمن قرأ كتاب الله فالحرف بعشر حسنات والله يضاعف لمن يشاء فما بالك إذا قرأت سطراً أو صفحة أو ربعاً.. كم تحصل من الحسنات إذا أخلصت نيتك لخالق الأرض والسموات.

وهذه إحصائية تقريبية لسورة الفاتحة والتي لا تستغرق تلاوتها أكثر من دقيقة وعلى الرغم من ذلك كم تحصل من الأجر والثواب، سورة الفاتحة (كلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مئة وثلاثة عشر حرفاً)[1] والحرف كما علمنا بحسنة والحسنة بعشر أمثالها أي المجموع ١١٣× ١٠ = ١١٣٠ حسنة ويضاعف الله لمن يشاء، هذا عن الفاتحة فما بالك إذا قرأ غيرها من السور، كم يحصل من الأجر والثواب.

فلا إله إلا الله كم ضيع المسلمون من حسنات بتضييع الأوقات فيما لا يجدي ولا ينفع.

عن عقبة بن عامر ﵁ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن بالصُّفة، فقال: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم**» فقلنا: يا رسول الله!، كلنا يحب ذلك. قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله - عز وجل - خير له من ناقتين وثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل**»[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٢) تحقيق أبي إسحاق الحويني.

(٢) رواه مسلم (٨٠٣)، وأبو داود (١٤٥٦)، وبطحان: موضع بالمدينة، والعقيق: واد بالمدينة، والكوماء: الناقة عظيمة السنام.

٢- تلاوة القرآن سبب لتنزل السكينة:

عن البراء بن عازب ﷺ قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: «**تلك السكينة تنزلت للقرآن**»(١) وقال النبي ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(٢).

فيا من تشكون من ضيق الصدور، ومن الاضطرابات والقلق والأرق، اعلموا أنه لا راحة لكم إلا في القرآن لأن سعادة القلوب في تلاوة كتاب علام الغيوب ولذلك قال عثمان بن عفان ﷺ: (لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم).

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

٣- كرامة قارئ القرآن:

لقد رفع الله - جل وعلا - من شأن القرآن وقارئه، وأعطاه من الكرامة والمنزلة العالية ما لا يعطي لغيره وهذه الفضائل بعض منها:

---

(١) البخاري (٣٦١٤) ومسلم (٧٩٥) واللفظ لمسلم. الشطن: الحبل.

(٢) رواه مسلم وأبوداود والترمذي مختصراً عن أبي هريرة. قال الحافظ في الفتح (٨/ ٦٧٥) في تفسير السكينة: (....عن وهب بن منبه: هي روح من الله، وعن الضحاك بن مزاحم قال: هي الرحمة، وعنه هي سكون القلب وهذا اختيار الطبري، وقيل هي الطمأنينة، وقيل الوقار، وقيل الملائكة ذكره الصغاني. والذي يظهر أنها مقولة بالاشتراك على هذه المعاني، فيحمل كل موضع وردت فيه على ما يليق به، والذي يليق بحديث الباب هو الأول).

أ - في الدنيا:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [المجادلة: ١١].

عن أبي الطفيل أن نافع بن الحارث أتى عمر بن الخطاب بعسفان وكان قد استعمله على أهل مكة، فقال: له عمر: (مَنْ استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبزى. فقال: من ابن أبزى؟ فقال: رجل من موالينا، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟! فقال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض. فقال عمر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين**»(١).

وصدق القائل:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً	فالناس موتى وأهل العلم أحياء

ب- في القبر:

عن هشام بن عامر قال: لما كان يوم أحد أُصِيبَ مَنْ أُصِيب من المسلمين، وأصاب الناس جراحات، فقلنا: يا رسول الله!، الحفر علينا لكل إنسان شديد، فكيف تأمرنا؟ قال: «**احفروا وأوسعوا وأعمقوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر،**

---

(١) رواه مسلم (٨١٧).

وقدموا أكثرهم قرآناً» قال: فكان أبي ثالث ثلاثة وكان أكثرهم قرآناً فَقُدِّمَ.[١]

جـ- في يوم القيامة:

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقال لصاحب القرآن اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها»**[٢].

قال الإمام الخطابي: وجاء في الأثر (أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة) فيقال للقارئ: ارتق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى[٣] على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه، كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة)[٤].

عن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»**[٥].

---

(١) (إسناده صحيح) أخرجه أبو داود والنسائي والبيهقي وأحمد وابن ماجه مختصراً وقال الترمذي: حسن صحيح، وإسناده صحيح كما قال الترمذي وهو على شرط الشيخين. قاله الألباني في أحكام الجنائز ص (١٤٣) طبعة المكتب الإسلامي.

(٢) (حديث صحيح) رواه الترمذي (٢٩١٥) وأبو داود وابن ماجة وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي: حديث صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٢٢) وصحيح أبي داود (١٣١٧).

(٣) الأولى أن يعبر بلفظ الحديث (ارتقى)؛ لأن كلمة (استولى) توحي بالقهر والغلبة والاستيلاء، وأهل الجنة ليسوا كذلك والله أعلم.

(٤) الترغيب والترهيب (٢/ ٣١٥) طبعة الريان، وتحفة الأحوذي (٨/ ١٨٧) طبعة دار الكتب العلمية، وقال الألباني: (وجملة القول أن إسناد هذا الأثر ضعيف والله أعلم). الصحيحة (٥/ ٢٨٣) طبعة مكتبة المعارف.

(٥) رواه مسلم (٨٠٤).

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: أي رب منعته النوم بالليل، فشفعني فيه قال: فيشفعان**»(١).

عن النواس بن سمعان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما**»(٢).

تفكر - أخي الحبيب - في يوم القيامة وبخاصة في ذل الخلائق وانكسارهم واستكانتهم انتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة، وأنت فيما بينهم منكسراً كانكسارهم، متحيراً كتحيرهم، فكيف حالك وحال قلبك هنالك وقد بُدِّلت الأرض غير الأرض والسموات، وطمس الشمس والقمر، وأظلمت الأرض، واشتبك الناس وهم حفاة عراة غرلاً، وازدحموا في المواقف شاخصة أبصارهم، منفطرة قلوبهم، فتأمل يا مسكين! في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه والخجل والحياء من الافتضاح عند العرض على الجبار تعالى، وأنت عارٍ مكشوف ذليل متحير مبهوت منتظر ما يجرى عليك القضاء بالسعادة والشقاوة، وأعظم بهذه الحال فإنها عظيمة، واستعد لهذا اليوم العظيم شأنه، والقاهر سلطانه، القريب

---

(١) (حديث حسن الإسناد) رواه أحمد (٦٦٢٦) وسنده ضعيف ولكن رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وقال الألباني: (وقد وهما فإن شيخ ابن وهب وكذا ابن لهيعة فيه حيي بن عبدالله ولم يخرج له مسلم شيئاً ثم إنه تكلم فيه بعضهم بما لا ينزل حديثه عن رتبه الحسن إن شاء الله، وجملة القول: أن الحديث حسن الإسناد، والله أعلم) تمام المنة ص (٣٩٤/ ٣٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٧٣).

(٢) رواه مسلم (٨٠٥). تقدمه: تسبقه، تحاجان: تشفعان.

أوانه، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد [١].

وفي أثناء هذه الشدائد العظام كأني بسورة البقرة وآل عمران تأتيان في صورة سحابة عظيمة تظلان صاحبها، وكأني بالقرآن يجيء يوم القيامة كالرجل الشاحب [٢]، يأتي وقد أخذ بيد صاحبه ليشفع له عند الله ويقول يا رب إني أشهد لهذا الرجل بالصلاح والتقى، فقد كان في الدنيا لا يشغله شيء عن ذكرك وتلاوة كتابك، فقد كان يتلوه آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك، يا رب لقد منعته من النوم بالليل فشفعني فيه، وعندها يأذن الله - جل وعلا - للقرآن أن يشفع في صاحبه في تلك اللحظات التي يتخلى فيها عن الإنسان أقرب الناس إليه ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

فيا حسرة على أولئك المحرومين الذين حرمهم الله من شفاعة القرآن لأنهم حرموا أنفسهم من تلاوته في الدنيا، فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً.

---

(١) البحر الرائق في الزهد والرقائق لأحمد فريد ص (٢٨٨).

(٢) عن بريدة بن الحصيب مرفوعاً بلفظ (يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول لصاحبه أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك) رواه الدارمي وابن ماجة وأحمد وابن عدي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، قال الألباني: (لكن الحديث حسن أو صحيح فإن له شاهداً) راجع السلسلة الصحيحة (٢٨٢٩).

المبحث الثاني: الترغيب في قراءة سور وآيات مخصوصة

هذه فضائل بعض السور والآيات لتكون حافزاً على قراءتها والمواظبة عليها:

١- الفاتحة أعظم سورة في القرآن:

عن أبي سعيد رافع بن المُعَلَّى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟**» فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن. قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**»[1].

وقال ﷺ: «**ما أنزل الله عز وجل في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**»[2].

قال الباجي: يريد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[الحجر: ٨٧]. وسُمِّيت بالسبع، لأنها سبع آيات والمثاني، لأنها تثنى في كل ركعة (أي تعاد)، وإنما قيل لها: (القرآن العظيم) على معنى التخصيص لها بهذا الاسم وإن كان كل شيء من القرآن قرآناً عظيماً، كما يقال في الكعبة (بيت الله) وإن كانت البيوت كلها لله، ولكن على سبيل التخصيص والتعظيم)[3].

٢- سورة البقرة حصن يمنع من الشيطان:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان**

---

(١) رواه البخاري (٥٠٠٦) وأبوداود (١٤٥٨).

(٢) (حديث صحيح) رواه النسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صفة الصلاة، صحيح النسائي (٨٧٧) وصحيح الترمذي (٢٤٩٩).

(٣) صفة صلاة النبي ﷺ للألباني ص (٥٢) طبعة المكتب الإسلامي.

ينفر[١] **من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»**[٢].

معنى «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر**»: أي مثل المقابر في عدم اشتغال مَنْ فيها مِنْ الموتى بالصلاة والقراءة أي: لا تكونوا كالموتى في ترك القراءة ونحوها.

وأما عن فضل خواتيم سورة البقرة، عن أبي مسعود البدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»[٣].

قيل: كفتاه عن المكروه تلك الليلة، وقيل: كفتاه عن قيام الليل، وقيل: كفتاه عما ورد من الأدعية الكثيرة لأن الدعاء بما فيها متكفل لخيري الدنيا والآخرة. وقيل غير ذلك.

٣- آية الكرسي أعظم آية في القرآن:

عن أُبَيّ بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر!، أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟**» قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾، فضرب في صدري وقال: «**لِيَهْنَكَ العلم أبا المنذر**»[٤].

قال الإمام النووي - رحمه الله -: (وفيه منقبة عظيمة، ودليل على كثرة علمه، وفيه تبجيل العالم لفضلاء أصحابه، وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان

---

(١) ومعنى (ينفِر) بكسر الفاء أي: يصد ويعرض إعراضاً بالغاً.

(٢) رواه مسلم (٧٨٠) والترمذي (٢٨٨٠).

(٣) رواه البخاري (٥٠٠٨، ٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٨)، وأبو داود (١٣٩٧)، والترمذي (٢٨٨٤).

(٤) رواه مسلم (٨١٠) ورواه أبوداود (١٤٦٠) «ليهنك العلم» ليكن العلم هنيئاً لك، أبو المنذر: كنية أبي بن كعب ﷺ.

في مصلحة، ولم يخف عليه الإعجاب ونحوه لكمال نفسه ورسوخه في التقوى)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (وليس في القرآن آية واحدة تضمنت ما تضمنته آية الكرسي. وإنما ذكر الله في أول سورة الحديد، وآخر سورة الحشر عدة آيات لا آية واحدة)[٢].

ويستحب قراءة آية الكرسي في المواطن الآتية:

أ - دبر كل صلاة مكتوبة:

عن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت**»[٣].

ب- أذكار الصباح والمساء:

عن أُبَيّ بن كعب أن الجِنّيَّ قال له: (إذا قرأتها - يعني آية الكرسي - غدوة أُجرت مني حتى تمسي، وإذا قرأتها حين تمسي أجرت مني حتى تصبح) قال أُبَيٌّ: فغدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك، فقال: «**صدق الخبيث**»[٤].

جـ- عند النوم:

عن أبي هريرة ﷺ أن الشيطان قال له: (إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية

---

(١) شرح مسلم للنووي (٦/ ٩٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٠).

(٣) (حديث حسن) أخرجه النسائي في (عمل اليوم والليلة) وغيره، وقد صححه ابن حبان، والمنذري، وابن حجر، والألباني. انظر السلسلة الصحيحة (٩٧٢).

(٤) (حديث صحيح) أخرجه النسائي في اليوم والليلة (٩٦١) والطبراني (١/ ٥٤١) والحاكم (١/ ٥٦٢) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٦٥٥).

الكرسي من أولها حتى تختم الآيـة ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ وقـال لي: (لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح) وكـانوا أحـرص شيء على الخير. فلما أخبر النبي ﷺ بذلك قال: **«صدقك وهو كذوب»**[1].

٤- فضل سورة آل عمران:

عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: **«... اقـرءوا الزهراوين[2]: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان كأنهما غمامتان أو غيايتان[3]، أو كأنهما فرقان[4] من طير صواف تحاجان عن أصـحابهما، اقـرءوا سـورة البقـرة فـإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة[5]»** قال معاوية بن سلام: بلغني أن البطلة السحرة.[6]

عن القاسم بن عبـدالرحمن، عـن أبي أمامـة، أن النبـي ﷺ قـال: **«اسـم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، في ثلاث سور من القرآن: في البقرة، وآل عمران، وطه»**. قال القاسم بن عبدالرحمن: فالتمست ذلك فوجدت في سورة البقـرة آيـة

---

(١) رواه البخاري (٥٠١٠) كتاب فضائل القرآن، وقد رواه قبل ذلـك في الوكالـة (٢٣١١) تعليقاً ووصله غيره.

(٢) قوله: **«الزهراوين»** قال الإمام النووي - رحمه الله -: (سميتا بذلك لنورهما، وهـدايتهما، وعظيم أمرهما).

(٣) **«الغيايتان»**: مثنى غياية وهي كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه: كالـسحابة، والغاشـية، ونحوهما.

(٤) **«فرقان»**: قطعتان. والمعنى: أن ثوابهما يظله يوم القيامة كأنـه غمامتـان، أو كقطيـع الطـير وجماعته.

(٥) **«لا تستطيعها البطلة»**: قيل لا تستطيع قراءتها، وقيل: لا تستطيع النفاذ إلى قارئها.

(٦) رواه مسلم (٨٠٤).

الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾، وفي سورة آل عمران ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[آل عمران: ١ - ٢]، وفي سورة طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴾[طه: ١١١] (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (فالحي نفسه مستلزم لجميع الصفات، وهو أصلها، ولهذا كانت أعظم آية في القرآن: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾، وهو الاسم الأعظم؛ لأنه ما من حي إلا هو شاعر مريد، فاستلزم جميع الصفات، فلو اكتفى في الصفات بالتلازم لاكتفى بالحي)..

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى: هو اسم ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾)(٢).

٥- سورة الكهف حصن يعصم من الدجال:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال**»(٣).

قال الإمام النووي - رحمه الله -: (قيل: سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتن من الدجال).

ويستحب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين**

(١) (حديث صحيح) أخرجه ابن ماجه (٣٨٥٦)، والحاكم (١/ ٥٠٦) وغيرهما. انظر السلسلة الصحيحة للألباني (٧٤٦).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٨/ ٣١١)، زاد المعاد (٣/ ١٣٠).

(٣) رواه مسلم (٨٠٩).

الجمعتين»[١]. وفي رواية «أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق»[٢].

٦- سورة الفتح يحبها رسول الله ﷺ:

عن عمر بن الخطاب ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**لقد أُنزِلَتْ عليَّ سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس**. ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾»[٣].

عن أنس بن مالك ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**لقد أُنزِلَتْ عليَّ آية هي أحب إليَّ من الدنيا جميعاً**: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾»[٤].

٧- سورة تبارك تمنع من عذاب القبر:

قال رسول الله ﷺ: «**سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر**»[٥].

عن عمر بن الخطاب ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت في صاحبها حتى غُفِرَ له وهي**: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]»[٦].

٨- سورة الكافرون تعدل ربع القرآن:

عن أنس بن مالك ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**من قرأ** ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾

---

(١) (صحيح الإسناد) رواه النسائي في اليوم والليلة، والبيهقي والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٧٣٨) والسلسلة الصحيحة (٢٦٥١).

(٢) انظر صحيح الجامع (٦٤٧١).

(٣) رواه البخاري (٥٠١٢)، باب فضل سورة الفتح.

(٤) رواه مسلم (١٧٨٦).

(٥) (حديث صحيح) انظر السلسلة الصحيحة (١١٤٠)، وصحيح الجامع (٣٦٤٣).

(٦) (حديث صحيح) رواه أبوداود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩٣) وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٦٥)، وصحيح الجامع (٣٦٤٤).

عدلت له بربع القرآن»[١].

٩- سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال في فضل سورة الإخلاص: «**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**». وفي رواية: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ بثلث القرآن في ليلة؟**» فشق عليهم ذلك. وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ **ثلث القرآن**»[٢].

قيل: سميت السورة بالإخلاص لأن الله أخلصها لنفسه فلم يذكر فيها غيره، وكما أنها تخلص قارئها من الشرك والتعطيل.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (والأحاديث بكونها تعدل ثلث القرآن تكاد تبلغ مبلغ التواتر)[٣].

وقد اختلف العلماء في تأويل ذلك على أقوال: أقربها ما نقله شيخ الإسلام، وحاصله أن القرآن الكريم اشتمل على ثلاثة مقاصد أساسية:

أولها: الأوامر والنواهي ...

ثانيها: القصص والأخبار لأحوال الرسل مع أممهم ...

ثالثها: علم التوحيد وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه وصفاته، وهذا هو أشرف الثلاثة.

---

(١) (حديث حسن) رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٦٦).

(٢) رواه البخاري (٥٠١٣، ٥٠١٤، ٥٠١٥)، وأبو داود (١٤٥٨)، والنسائي (٢/ ١٣٩)، ومثله عند مسلم من حديث أبي الدرداء مرفوعاً.

(٣) شرح العقيدة الواسطية ص (٢٣) للدكتور / صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الخامسة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد.

ولما كانت سورة الإخلاص قد تضمنت أصول هذا العلم، واشتملت عليه إجمالاً صح أن يقال أنها تعدل ثلث القرآن.[١]

عن معاذ بن جبل ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتاً في الجنة**»[٢].

١٠- فضل المعوذتين:

عن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أنزل الله عليَّ آيات لم ير مثلهن قط ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾**»[٣].

وعنه أيضاً قال: (أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة)[٤].

وعن عائشة - رضي الله عنها -: (أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات)[٥].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ص(٢٥، ٢٦) تأليف العلامة/ محمد خليل هراس -رحمه الله-، الطبعة الرابعة من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة.

(٢) (حديث صحيح) رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٢)، والسلسلة الصحيحة (٥٨٩).

(٣) (حديث صحيح)رواه الترمذي (٣٦٠٦) وقال: حديث حسن. وهو عند البخاري تعليقاً، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٨٢).

(٤) (حديث صحيح) رواه أبو داود (١٥٢٣)، والترمذي (٣٠٧٩)، وأحمد (٤/ ٢٠١) انظر السلسلة الصحيحة (٦٤٥)، (١٥١٤).

(٥) (متفق عليه) رواه البخاري (٥٠١٧)، ومسلم (٢١٩٢).

شبهة والرد عليها:

وبعد معرفة هذه الفضائل لا يحق لأحد أن يهجر تلاوة القرآن. ولكن قد يأتي الشيطان إلى أحدنا ليصرفه عن القراءة والتلاوة ويحرمه من الخير والفضل ويوسوس له ويقول: إنك لا تعرف أو لا تحسن أحكام الترتيل فإذا قرأت بغير أحكامه فإنك آثم بل مأزور غير مأجور؟!!

فإذا به ينصرف عن التلاوة وفي نفس الوقت يتكاسل عن تعلم الأحكام. والحق أن ترد كيد الشيطان في نحره، وتستمر في القراءة ولا تنقطع أبداً واجتهد في تعلم الأحكام على يد شيخ متقن، وضع نصب عينيك حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به**[١] **مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[٢].

(ويمكنك إذا كنت لا تجيد قراءة القرآن أن تذهب إلى أقرب مسجد لتتعلم فيه كيفية التلاوة، وهناك طريقة سهلة، وهي أنك تأتي بشرائط القرآن المرتل، ثم تتابع مع الشريط في المصحف. وإذا لم يكن في إمكانك الحصول على تلك الشرائط، فيمكنك أن تسمع إلى محطة القرآن الكريم وتتابع مع القارئ في المصحف أيضاً)[٣].

---

(١) «ماهر به»: مجيد لفظه على ما ينبغي بحيث لا يتشابه ولا يقف في قراءته. «مع السفرة الكرام البررة»: مع الملائكة المطيعين في منازلهم في الآخرة. «يتتعتع فيه»: يتردد في قراءته. انظر هامش رياض الصالحين ص (٣٢٧).

(٢) (متفق عليه) رواه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) كتاب ففروا إلى الله لأبي ذر القلموني، ص (١٨٨) طبعة دار المنار.

المبحث الثالث: أحاديث ضعيفة للتحذير منها

أولاً: أحاديث ضعيفة في فضل القرآن.

ثانياً: أحاديث ضعيفة في فضل قراءة القرآن عند القبور.

ثالثاً: أحاديث ضعيفة في فضائل السور.

رابعاً: حديث دعاء الحفظ الضعيف.

أحاديث ضعيفة للتحذير منها

هذه بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضائل قراءة القرآن وسوره، اشتهرت بين الناس، وتداولها كثير من الوعاظ والخطباء على أنها صحيحة، نذكرها: بياناً لحالها من الضعف والوضع، حتى يكون الناس على بينة من ذلك ؛ لأن في الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك ما يغني عن الضعيف والموضوع، وتحذيراً من القول على الرسول ﷺ بغير علم، فقد قال ﷺ: «**مَنْ كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار**»، وقال أيضاً: «**مَنْ يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**».

أولاً: أحاديث ضعيفة في فضل القرآن:

١ - عن علي بن أبي طالب مرفوعاً: «من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله، وحرم حرامه، أدخله الله الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد استوجب النار». (ضعيف جداً) ضعيف ابن ماجه (٣٨)، ضعيف الترمذي (٥٥٣) وضعيف الجامع (٥٧٦١)، المشكاة (٢١٤١).

٢ - عن سهل بن معاذ مرفوعاً: «مَنْ قرأ القرآن وعَمِلَ بما فيه، أُلبس والده تاجاً يوم القيامة، ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم،

فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟» (ضعيف) ضعيف أبي داود (٣١٥)، ضعيف الجامع (٥٧٦٢)، المشكاة (٢١٣٩).

٣- عن أبي أمامة الباهلي مرفوعاً: «مَنْ قرأ ربع القرآن فقد أُوتِيَ ربع النبوة، ومَنْ قرأ ثُلُثَ القرآن فقد أُوتِيَ ثلث النبوة، ومَنْ قرأ ثلثي القرآن فقد أوتي ثلثي النبوة، ومن قرأ القرآن فقد أوتي النبوة». (موضوع) السلسلة الضعيفة (٤٧٦).

٤- عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «يقول الله عز وجل: (مَنْ شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)». (ضعيف) ضعيف الترمذي (٥٦٢)، ضعيف الجامع (٦٤٣٥)، السلسلة الضعيفة (١٣٣٥)، المشكاة (٢١٣٦).

٥- عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «اقرءوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا..» ضعيف ابن ماجه (٢٨١)، ضعيف الجامع (٢٠٢٥).

٦- عن حذيفة مرفوعاً: «اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتاب والفسق، فإنه سيجيء من بعدي أقوام يرجعون ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم». (ضعيف) ضعيف الجامع (١٠٦٧).

٧- عن أنس مرفوعاً: «مَنْ جمع القرآن متعه الله بعقله حتى يموت». (موضوع) السلسلة الضعيفة (٢٧١).

٨- عن أنس مرفوعاً: «عُرضت عليَّ أجور أمتي، حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليَّ ذنوب أمتي، فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن، أو آية أوتيها رجل ثم نسيها». (ضعيف) ضعيف الترمذي (٥٥٨)،

ضعيف أبي داود (٧١)، ضعيف الجامع (٣٧٠٠).

٩- عن سعد بن عبادة مرفوعاً: «ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه، إلا لقي الله - عز وجل - يوم القيامة أجذم». أجذم: مقطوع اليدين. (ضعيف) ضعيف أبي داود (٣١٧)، ضعيف الجامع (٥١٥٣)، المشكاة (٢٢٠٠).

١٠- عن ابن عباس مرفوعاً: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب». (ضعيف) ضعيف الترمذي (٥٥٧) المشكاة (٢١٣٥).

١١- عن ابن عباس قال: (قال رجل: يا رسول الله! أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الحال المرتحل». قال: وما الحال المرتحل؟ قال: «الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره. كلما حلَّ ارتحل».(ضعيف الإسناد) رواه الترمذي ح (٢٩٤٨) وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (فهم من هذا بعضهم أنه إذا فرغ من ختم القرآن، قرأ فاتحة الكتاب وثلاث آيات من سورة البقرة ؛ لأنه حلَّ بالفراغ، وارتحل بالشروع. وهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا استحبه أحد من الأئمة)[1].

ثانياً: أحاديث ضعيفة في فضل قراءة القرآن عند المقابر

١- «مَنْ دخل المقابر فقرأ سورة (يس) خفف الله عنهم وكان له بعدد من فيها حسنات». (حديث لا أصل له في شيء من كتب السنة)، السلسلة الضعيفة (١٢٤٦).

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٢٥١) طبعة دار الحديث.

٢- «اقرءوا (يّس) على موتاكم».(ضعيف بل منكر)، ضعيف أبي داود رقم (٦٨٣)، أحكام الجنائز ص (٢٠).

٣- «مَنْ مَرَّ بالمقابر فقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أُعْطِيَ من الأجر بعدد الأموات». حديث (باطل موضوع) أحكام الجنائز ص (٢٤٥).

٤- قال الشعبي: «كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرءون القرآن». (ضعيف الإسناد). أحكام الجنائز ص (٢٤٤).

٥- «ما من مؤمن ولا مؤمنة يقرأ آية الكرسي ويجعل ثوابها لأهل القبور إلا لم يبق على وجه الأرض قبر إلا أدخل الله فيه نوراً، ووسَّعَ قبره من المشرق إلى المغرب، وأعطاه الله بعدد كل مَلَك في السموات عشر حسنات، وكتب الله للقارئ ثواب سبعين شهيداً» (موضوع).

ثالثاً: أحاديث ضعيفة في فضائل السور

١- سورة الفاتحة:

عن أبي أيوب مرفوعاً: «لمَّا نزلت ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وآية الكرسي و﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تعلقن بالعرش وقلن: أنزلتنا على قوم يعملون بمعاصيك؟ فقال: «وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا يتلوكن عبد دبر كل صلاة مكتوبة إلا غفرت له ما كان فيه وأسكنته جنة الفردوس ونظرت إليه كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة أدناها المغفرة» (موضوع) السلسلة الضعيفة (٦٩٩).

٢- سورة البقرة:

عن أبي هريرة مرفوعاً: «كل شيء سنام، وإن سنام القرآن البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي» (ضعيف) السلسلة الضعيفة (٤٦٣٣) ضعيف الجامع (٥٧٧١).

٣- سورة آل عمران:

عن ابن عباس مرفوعاً: «مَنْ قرأ السورة التي يذكر فيها (آل عمران) يوم الجمعة، صلَّى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس». (موضوع) السلسلة الضعيفة (٤١٥)، ضعيف الجامع (٥٧٥٩).

٤- سورة الكهف :

عن أبي الدرداء مرفوعاً: «مَنْ قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عُصِمَ من الدجال». (شاذ) والمحفوظ (عشر آيات). ضعيف الترمذي (٥٤٢) ضعيف الجامع (٥٧٦٥).

عن ابن عمر مرفوعاً: «مَنْ قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء، يضيء له يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين».

(إسناده غريب) تمام المنة (ص ٣٢٤/ ٣٢٥).

٥- سورة الرحمن:

«لكل شيء عروس، وعروس القرآن الرحمن». (منكر) السلسلة الضعيفة (١٣٥٠).

٦- سورة يّس:

عن أنس مرفوعاً «إن لكل شيء قلباً وإن قلب القرآن يّس، مَنْ قرأها فكأنما

قرأ القرآن عشر مرات». (موضوع) ضعيف الترمذي (٥٤٣) السلسلة الضعيفة (١٦٩)، ضعيف الجامع (٥٧٨٥).

٧- سورة الدخان:

عن أبي هريرة مرفوعاً: «مَنْ قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف مَلَك». (موضوع) ضعيف الترمذي (٥٤٤)، ضعيف الجامع (٥٧٦٦).

وعنه أيضاً مرفوعاً: «مَنْ قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غُفِرَ له». (ضعيف جداً) ضعيف الترمذي (٥٤٥)، السلسلة الضعيفة (٤٦٣٢)، ضعيف الجامع (٥٧٦٧).

٨- سورة الواقعة:

عن ابن مسعود مرفوعاً: «»مَنْ قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً». (ضعيف)، السلسلة الضعيفة (٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١)، ضعيف الجامع (٥٧٧٣).

٩- سورة الحشر:

عن أبي أمامة مرفوعاً: «مَنْ قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فَقُبِضَ في ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجب الجنة». (ضعيف جداً) السلسلة الضعيفة (٤٦٣١)، ضعيف الجامع (٥٧٧٠).

عن معقل بن يسار مرفوعاً: «مَنْ قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وَكَّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومَنْ قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة» (ضعيف)، ضعيف الترمذي (٥٦٠)، ضعيف الجامع (٥٧٣٢).

١٠- سورة الإخلاص والمعوذتين:

عن أنس مرفوعاً: «مَنْ قرأ كل يوم مائتي مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مُحِيَ عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دَيْن».

(ضعيف) ضعيف الترمذي (٥٥١)، السلسلة الضعيفة (٣٠٠)، ضعيف الجامع (٥٧٨٣).

عن أنس مرفوعاً: «مَنْ قرأ في يوم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، سبع مرات، أعاذه الله بها من السوء إلى الجمعة الأخرى». (ضعيف) السلسلة الضعيفة (٤٦٣٠) وضعيف الجامع (٥٧٦٤).

رابعاً: دعاء الحفظ الضعيف:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال: بأبي أنت وأمي! تفلت هذا القرآن من صدري، فما أجدني أقدر عليه. فقال له رسول الله ﷺ: «**يا أبا الحسن!، أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمته، ويثبت ما تعلمت في صدرك؟** قال: أجل يا رسول الله! فعلمني. قال: **إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم ثلث الليل الآخر، فإنها ساعة مشهودة، والدعاء فيها مستجاب، وقد قال أخي يعقوب لبنيه:** ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[يوسف: ٩٨]. يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة.

فإن لم تستطع، فقم في وسطها، فإن لم تستطع، فقم في أولها، فصل أربع ركعات، تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة (يس)، وفي الثانية بفاتحة

الكتاب وحم (الدخان)، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل (السجدة) وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب و (تبارك) المفصل فإذا فرغت من التشهد، فاحمد الله، وأحسن الثناء على الله، وصلِّ عليَّ وأحسن، وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل في آخر ذلك: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني.

اللهم بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام... إلى أن قال: يا أبا الحسن! تفعل ذلك ثلاث جُمَع، أو خمساً، أو سبعاً، تُجب بإذن الله، والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمناً قط».

قال ابن عباس: فوالله ما لبث علي إلا خمساً، أو سبعاً، حتى جاء رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسول الله! إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن، فإذا قرأتهن على نفسي تفلتن، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، فإذا قرأتها على نفسي، فكأنما كتاب الله بين عيني، ولقد كنت أسمع الحديث، فإذا أردته تفلت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث، فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عند ذلك: «مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن».

(حديث موضوع) السلسلة الضعيفة (٣٣٧٤) نقلاً من كتاب ضعيف سنن الترمذي حديث رقم (٧١٩).

الفصل الخامس

آداب وأحكام تلاوة القرآن الكريم

وفيه أحد عشر مبحثاً:

١- آداب تلاوة القرآن الكريم.

٢- صفة قراءة النبي ﷺ للقرآن.

٣- في كم يقرأ القرآن؟

٤- أيهما أفضل القراءة من المصحف أم عن ظهر قلب؟

٥- أيهما أفضل الجهر بالقراءة أم الإسرار؟

٦- هل يجوز مس المصحف على غير طهارة؟

٧- هل يجوز قراءة القرآن للجنب والحائض؟

٨- سجود التلاوة وأحكامه.

٩- حكم نسيان القرآن.

١٠- حكم تقليد صوت القارئ.

١١- حكم القراءة من المصحف في صلاة التراويح.

الفصل الخامس

آداب وأحكام تلاوة القرآن الكريم

١ آداب تلاوة القرآن:

هناك الكثير من الآداب التي ينبغي للقارئ أن يتأدب بها عند تلاوة كتاب الله - تعالى - وسوف نذكر طرفاً منها مجملاً ومن أراد التفصيل فعليه بكتاب (التبيان في آداب حملة القرآن) للإمام النووي - رحمه الله - فإنه قد أجاد في ذلك وأفاض.

١ - الإخلاص:

ينبغي للقارئ أن يقصد بتلاوة القرآن رضا الله - تعالى - وما عنده من الأجر والثواب، وأن لا يقصد به توصلاً إلى غرض من أغراض الدنيا من مال، أو رياسة، أو وجاهة، أو ارتفاع على أقرانه، أو ثناء عند الناس، أو صرف وجوه الناس إليه، أو نحو ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. وقال ﷺ: **«مَنْ تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة»**[1].

---

(١) (حديث صحيح) رواه أبوداود وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (١٠٠).

٢- الطهارة:

يستحب للقارئ أن يقرأ القرآن وهو على طهارة فإن قرأ مُحْدِثاً جاز بإجماع المسلمين والأحاديث فيه كثيرة معروفة، قال إمام الحرمين: ولا يقال ارتكب مكروهاً ولكن تارك للأفضل.

٣- السواك:

يستحب للقارئ أن ينظف فاه بالسواك لأنه «**مطهرة للفم ومرضاة للرب**»(١).

٤- نظافة المكان:

يستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف مختار ولهذا استحب جماعة العلماء القراءة في المسجد لكونه جامعاً للنظافة وشرف البقعة أما القراءة في الطريق وعلى الراحلة ونحو ذلك فالصحيح أنها جائزة غير مكروهة إذا لم ينشغل القارئ عن قراءته، فإن انشغل عنها يكره مخافة الخلط.

٥- استقبال القبلة:

يستحب للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة ويجلس متخشعاً بسكينة ووقار، وهذا هو الأكمل، ولو قرأ قائماً أو مضطجعاً أو في فراشه أو على غير ذلك من الأحوال جاز وله أجر ولكنه دون الأول.

٦- الاستعاذة والبسملة:

فإن أراد الشروع في القراءة استعاذ بأي صيغة من صيغ التعوذ الواردة لقوله

---

(١) (حديث صحيح) رواه البخاري في كتاب الصوم معلقاً بصيغة الجزم عن عائشة. وقال الحافظ في الفتح (٤/ ١٨٨): (وصله أحمد والنسائي وابن خزيمة وابن حبان). وصححه الألباني في الإرواء (٦٦).

تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

٧- الترتيل:

وينبغي أن يرتل قراءته لقوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢١].

وذلك لأن الترتيل أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب ويستحب إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر ومن العذاب.

٢ | صفة قراءة النبي ﷺ للقرآن

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في هديه ﷺ في قراءة القرآن:

(كان له ﷺ حزب يقرأه، ولا يخل به[1]، وكانت قراءته ترتيلاً، لا هذاً[2] ولا عجلة، بل قراءة مفسرة حرفاً[3]، وكان يقطع قراءته آية آية[4]، وكان يمد حروف

---

(١) وأما حديث «**أنه كان له حزب لا يخل به**» رواه أبوداود (١٣٩٣) في كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، من حديث أوس بن حذيفة، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢٩٧).

(٢) (هذاً): سرعة القراءة بغير تأمل. الفتح (٨/ ٧٠٨).

(٣) رواه أبوداود (١٤٦٦)، والترمذي والنسائي وقال الترمذي: حسن صحيح. وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣١٦)، ضعيف الترمذي (٥٦١)، وضعيف النسائي، المشكاة (١٢١٠) التحقيق الثاني. وصححه عبدالقادر الأرناؤوط في تخريجه للتبيان ص (٧٠).

(٤) قال أبو عمرو الداني في (المكتفى ٥/ ٢): (وكان جماعة من الأئمة السالفين والقُرَّاء الماضين يستحبون القطع على الآيات وإن تعلق بعضهن ببعض).

وقال الألباني: وهذه سنة أعرض عنها جمهور القراء في هذه الأزمان فضلاً عن غيرهم. هامش صفة الصلاة ص (٥١).

المد، فيمد الرحمن ويمد الرحيم[١]، وكان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في أول قراءته، وربما كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه، ونفثه**»[٢] وكان تعوذه قبل القراءة.. وكان يقرأ القرآن قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً، ومتوضئاً، ومحدثاً، ولم يكن يمنعه من قراءته إلا الجنابة [٣] وكان ﷺ يتغنى به، ويرجع صوته به أحياناً كما رجع يوم الفتح في قراءته ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]. وحكى عبدالله بن المغفل ترجيعه آآآ ثلاث مرات، ذكره البخاري ... وهذا الترجيع منه ﷺ كان اختياراً لا اضطراراً لهز الناقة له) [٤].

هديه ﷺ في القراءة في الصلاة:

١- كان ﷺ يطيل القراءة في الركعة الأولى أكثر من الثانية.

٢- كان يبتدئ من أول السورة ويكملها في أغلب أحواله، وتارة يقسمها في ركعتين، وتارة يعيدها كلها في الركعة الثانية، وأحياناً يجمع في الركعة بين السورتين أو أكثر، وكان يقرن النظائر[٥] من المفصل كثيراً.

٣- وكان يطيل القراءة أحياناً، ويقصرها أحياناً أخرى، وربما لعارض سفر

---

(١) رواه البخاري ح (٥٠٤٦) عن أنس بن مالك.

(٢) (حديث سنده حسن) أخرجه أحمد وأبوداود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد وأبوداود والترمذي بسند حسن عن أبي سعيد الخدري. قاله الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد (١/ ٤٨٢).

(٣) الحديث (ضعيف) انظر ضعيف الترمذي (٢٢).

(٤) زاد المعاد لابن القيم (١/ ٤٨٣-٤٨٤) وانظر فتح الباري (٨/ ٤٤٨).

(٥) النظائر: السور المتماثلة في المعاني كالموعظة أو الحكم أو القصص. انظر (صفة الصلاة) للألباني ص (٥٧).

أو سعال أو مرض أو بكاء صبي.

٤- وكانت تختلف قراءته باختلاف الصلوات، ولم يكن يلتزم سورة معينة في صلاة معينة في كثير من الأحوال غير صبح الجمعة فإنه كان يقرأ فيها ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ١-٢] و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١][(١)]، وصلاة الجمعة والعيدين.

٥- وكان يجهر بالقراءة في صلاة الصبح والجمعة والعيدين، والاستسقاء، والكسوف، والأوليين من صلاة المغرب والعشاء، ويُسر بها في صلاة الظهر والعصر، وربما كان يسمعهم فيها الآية والآيتين وكان يسر تارة ويجهر أخرى في صلاة الليل.

٦- وكان يطيل في صلاة الفجر ما لا يطيل في غيرها في سائر الصلوات ثم الظهر ثم العصر والعشاء، ثم المغرب غالباً.

---

(١) قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (ولم يفعل ما يفعله كثير من الناس اليوم من قراءة بعض هذه وبعض هذه في الركعتين، أو قراءة السجدة وحدها في الركعتين، وهو خلاف السنة، وأما ما يظنه كثير من الجهال أن صبح يوم الجمعة فُضل بسجدة، فجهل عظيم، ولهذا كره بعض الأئمة قراءة سورة السجدة لأجل هذا الظن، وإنما كان ﷺ يقرأ هاتين السورتين لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد، وخلق آدم ودخول الجنة والنار، وذلك مما كان ويكون في يوم الجمعة، فكان يقرأ في فجرها ما كان ويكون في ذلك اليوم، تذكيراً للأمة بحوادث هذا اليوم، كما كان يقرأ في المجامع العظام كالأعياد والجمعة بسورة (ق) و (اقتربت) و (سبح) و (الغاشية)). زاد المعاد (١/ ٢١٠ - ٢١١).

أما عن هديه ﷺ في القراءة في الصلوات فهو كالآتي:

١ - **صلاة الفجر**: كان ﷺ يقرأ فيها أحياناً بطوال المفصل فربما قرأ الواقعة أو الطور أو ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾[ق: ١]، وربما قرأ ما بين الستين إلى المئة آية في الركعة أو الركعتين، وربما قرأ بقصار المفصل مثل ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١].

٢- **صلاة الظهر**: كان يطيلها أحياناً حتى أنه كانت تقام الصلاة فيذهب الذاهب إلى البقيع، فيقضي حاجته ثم يأتي والرسول ﷺ في الركعة الأولى مما يطولها، وربما قرأ قدر الثلاثين آية في الركعتين، وأحياناً كان يقرأ بـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ ، ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ ، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ ونحوها من السور.

٣- **صلاة العصر**: وكانت قراءته فيها على النصف تقريباً من صلاة الظهر أي قدر خمس عشرة آية في كل ركعة أو في الركعتين جميعاً.

٤- **صلاة المغرب**: كان يقرأ فيها أحياناً بقصار المفصل حتى إنه لينصرف الواحد منهم ليبصر مواقع نبله وكان يقرأ أحياناً ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾، وأحياناً بطوال المفصل وأواسطه، فربما قرأ بالطور، والمرسلات قرأ بها في آخر صلاة صلاها، وكان أحياناً يقرأ بطولى الطوليين (الأعراف).

٥- **صلاة العشاء**: كان يخفف فيها ما لا يخفف في غيرها، وكان ينهى عن إطالة القراءة فيها كما في حديث معاذ بن جبل، فتارة يقرأ بـ ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ وأشباهها من السور، وتارة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ وكان يسجد بها.

٦- **صلاة الجمعة**: كان يقرأ فيها أحياناً بـ الجمعة والمنافقون، وتارة الجمعة والغاشية ، وأحياناً الأعلى والغاشية.

٧- صلاة العيدين: كان يقرأ فيها أحياناً ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ أو ﴿قٓ﴾ و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

٣ | في كم يقرأ القرآن؟:[١]

أخرج الإمام البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب في كم يقرأ القرآن وقول الله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[المزمل: ٢٠].

وأورد تحته حديث عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ القرآن في شهر**» قلت: إني أجد قوة... حتى قال: **اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك**»[٢].

وأخرج أبوداود أن عبدالله بن عمرو سأل النبي ﷺ في كم يقرأ القرآن؟ قال: «**في أربعين يوماً**» ثم قال: «**في شهر**» ثم قال: «**في عشرين**» ثم قال: «**في خمس عشرة**» ثم قال: «**في عشر**» ثم قال: «**في سبع**»[٣].

وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يفقه مَنْ قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[٤].

---

(١) تراجع هذه المسألة في الكتب الآتية: فتح الباري (٨/ ٧١٢،٧١٧)، التبيان ص (٤٦ ، ٥٠) طبعة البيان، فضائل القرآن لابن كثير، البرهان في علوم القرآن (١/ ٥٥٤ ، ٥٥٥)، والإحياء للغزالي (١/ ٣٢٥ ، ٣٢٦).

(٢) رواه البخاري (٥٠٥٤).

(٣) (حسن) رواه أبو داود (١٣٩٥) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٦١)، صحيح الجامع (١١٥٤)، السلسلة الصحيحة (١٥١٢).

(٤) (صحيح) رواه أبوداود والترمذي وابن ماجة وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٤٣).

قال الإمام النووي - رحمه الله -: (وكان السلف - رضي الله عنهم - لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه، فروى ابن أبي داود عن بعض السلف - رضي الله عنهم -، أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة، وعن بعضهم في كل شهر ختمة، وعن بعضهم في كل عشر ليال ختمة، وعن بعضهم في كل خمس ليال، وعن بعضهم في كل أربع ليال، وعن كثيرين في كل ثلاث ليال. وعن بعضهم ليلتين. وعن بعضهم في كل ليلة واحدة)(١).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (قوله: (باب في كم يقرأ القرآن) وقول الله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كأنه أشار إلى الرد على من قال: أقل ما يجزئ من القراءة في كل يوم وليلة جزء من أربعين جزءاً من القرآن، وهو منقول عن إسحق بن راهوية والحنابلة، لأن عموم قوله تعالى ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ يشمل أقل من ذلك، فمن ادَّعى التحديد فعليه البيان)(٢).

وفي فتاوى اللجنة الدائمة:

(ويشرع أن لا يتجاوز في ختمه للقرآن شهراً؛ لفعل السلف، ولكن لو ختمه في أكثر من شهر لا يُعد هاجراً لتلاوة القرآن).(٣)

قال الإمام النووي - رحمه الله -: (الاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان من أهل الفهم والتدقيق استحب له أن يقتصر على القدر الذي لا يختل به المقصود من التدبر واستخراج المعاني وكذا من كان له شغل

---

(١) التبيان للنووي ص (٤٦) طبعة البيان بتصرف.

(٢) فتح الباري (٨/ ٧١٣) طبعة الريان.

(3) فتاوى اللجنة الدائمة: المجموعة الثانية المجلد الثالث ص ٧٧ .

بالعلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة استحب له أن يقتصر منه على القدر الذي لا يخل بما هو فيه، ومن لم يكن كذلك فالأولى له الاستكثار ما أمكنه من غير خروج إلى الملل ولا يقرأه هزرمة. والله أعلم) [١]

وينبغي للمسلم ألا يقرأ القرآن في أقل من ذلك لقوله ﷺ: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ذلك**»[٢].

قال أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي - رحمه الله -: (وهذا نص صريح في أنه لا يختم القرآن في أقل من ثلاثة أيام)[٣].

وقال الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط: (أقول: هذا هو الصواب الموافق للسنة)[٤].

وأما ما ورد عن السلف في ختمهم للقرآن في أقل من ذلك مثل: ما ورد عن عثمان بن عفان ﷺ أنه جمع القرآن في ركعة يوتر بها وروى عن سعيد بن جبير أنه قرأ القرآن في ركعة في الكعبة وتميم الداري وغيرهم من العلماء والصالحين.

فهذا يحمل على ما ذكره ابن كثير في فضائل القرآن: (فهذا وأمثاله محمول إما على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مما تقدم، أو أنهم كانوا يفقهون، ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة، والله سبحانه وتعالى أعلم) [٥].

---

(١) التبيان ص (٣٢) طبعة مكتبة الزهراء، الهزرمة: سرعة الكلام الخفي.

(٢) (حديث صحيح) انظر صحيح الجامع (٧٧٤٣).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤/ ١٨٧) المجلد الثاني طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

(٤) تخريج كتاب التبيان ص (٤٩) طبعة البيان، دمشق، الطبعة الأولى.

(٥) فضائل القرآن لابن كثير.

وقال العلامة الألباني - رحمه الله -: (ولقد أحسن الإمام الترمذي برواية هذا الخبر والذي بعده (خبر عثمان، وسعيد) بصيغة التضعيف، لأن الركعة مهما طالت لا يمكن أن يقرأ فيها القرآن الكريم كاملاً، فضلاً عما في ذلك من مخالفته لسنة رسول الله ﷺ في الركوع والسجود والقيام، وحاشا لسيدنا عثمان أن يفعل مثل ذلك)[1].

وقال سماحة العلامة عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ: (... وبعض السلف قال: إنه يستثنى من ذلك أوقات الفضائل وأنه لا بأس أن يختم كل ليلة أو في كل يوم كما ذكروا هذا عن الشافعي وعن غيره، ولكن ظاهر السنة أنه لا فرق بين رمضان وغيره وأنه ينبغي له أن لا يعجل وأن يطمئن في قراءته وأن يرتل كما أمر النبي عليه الصلاة والسلام عبدالله بن عمرو فقال: «**اقرأه في سبع**» هذا آخر ما أمره به، وقال: «**لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث**»، ولم يقل إلا في رمضان، فحمله بعض السلف هذا على غير رمضان محل نظر.

والأقرب ـ والله أعلم ـ أن المشروع للمؤمن أن يعتني بالقرآن ويجتهد في إحسان قراءته وتدبر القرآن والعناية بالمعاني ولا يعجل، والأفضل أن لا يختم في أقل من ثلاث، هذا هو الذي ينبغي حسب ما جاءت به السنة ولو في رمضان)[2]

والخلاصة:

مما سبق يتضح أن الأفضل للمسلم أن لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث لحديث النبي عليه الصلاة والسلام وأن لا يزيد عن شهر لفعل السلف الصالح رضوان الله عليهم.

---

(١) ضعيف الترمذي للألباني ص (٣٥٧).

(2) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩/ ٤١٦).

٤ أيهما أفضل القراءة من المصحف أم عن ظهر قلب؟

قال الإمام النووي - رحمه الله -: (قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب، لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة فتجتمع القراءة والنظر هكذا قاله القاضي حسين من أصحابنا وأبو حامد الغزالي وجماعة من السلف؛ ونقل الغزالي في الإحياء أن كثيرين من الصحابة -رضي الله عنهم - كانوا يقرأون من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف وروي ابن أبي داود القراءة في المصحف عن كثيرين من السلف ولم أر فيه خلافاً، ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص فيختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة في المصحف وعن ظهر قلب، ويختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف لكن هذا قولاً حسناً والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل)[1].

٥ هل الجهر بالقراءة أفضل أم الإسرار؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

الأول: الجهر أفضل.

الثاني: الإسرار أفضل.

الثالث: التفصيل وهو ما نميل إليه.

قال أبو حامد الغزالي - رحمه الله -: (فالوجه في الجمع في هذه الأحاديث أن

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي ص (٥٥، ٥٦) طبعة مكتبة الزهراء. وانظر البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٥٤٤-٥٤٧)، فضائل القرآن للحافظ ابن كثير (٦٢-٦٤) والإحياء للغزالي (١/ ٣٢٩) طبعة الريان، فتح الباري (٨/ ٦٩٦-٦٩٧) طبعة الريان.

الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه، فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصلٍ آخر، فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه، ويصرف إليه سمعه، ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه، ولأنه قد يراه بَطَّال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة، فمتى حضره شيء من هذه النيات، فالجهر أفضل، وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر، وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار، وتتضاعف أجورهم، فإن كان في العمل الواحد عشر نيات، كان فيه عشر أجور)[١].

وفي فتاوى اللجنة الدائمة: (يراعى فيه الأصلح للقارئ من الجهر أو الأسرار مما يجمع قلبه على القراءة وتدبر معاني ما يتلوه من معاني القرآن الكريم)[٢].

٦ هل يجوز مس المصحف على غير طهارة؟

ذهب جمهور العلماء إلى عدم جواز مس المصحف للمحدث مطلقاً سواء أكان حدثاً أصغر أو حدثاً أكبر فمنعوا غير المتوضئ والجنب والحائض والنفساء من مس المصحف؛ واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[الواقعة: ٧٩] ، وقوله ﷺ: «**لا يمس القرآن إلا طاهر**»[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٣٢٩)، وانظر البرهان في علوم القرآن (١/ ٥٤٧)، التبيان ص(٥٨-٥٩).

(2) فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية، المجلد الثالث، ص ٨٠.

(٣) (حديث صحيح) صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٨٠)، المشكاة (٤٦٥) والإرواء (١٢٢) وقال: (وجملة القول: أن الحديث طرقه كلها لا تخلو من ضعف لكنه ضعف

وفعل الصحابة رضي الله عنهم ومنهم سعد بن أبي وقاص كما رواه الإمام مالك في الموطأ كتاب الطهارة، باب الوضوء من مس الفرج عن مصعب بن سعد ابن أبي وقاص؛ أنه قال: كنت أمسك المصحف على سعد بن أبي وقاص، فاحتككت. فقال سعد: لعلك مسست ذكرك؟ قال: فقلت نعم. فقال: قم، فتوضأ. فقمت، فتوضأت، ثم رجعت.

وأجاب عن ذلك القائلون بالجواز بأن الاستدلال بالآية الكريمة لا يسلم للقائلين بالمنع وذلك لأن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أن الضمير في الآية في قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ المقصود به الكتاب المكنون الذي في السماء، والمطهرون هم الملائكة، وهذا ما يشعر به سياق الآيات الكريمة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ – ٧٩] ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣ – ١٦].

أما الحديث «**لا يمس القرآن إلا طاهر**» فلفظ «طاهر» لفظ مشترك، يطلق على الطاهر من الحدث الأكبر، والطاهر من الحدث الأصغر، ويطلق على المؤمن، وعلى من ليس على بدنه نجاسة، ولابد لحمله على معين من قرينه، والأحاديث التي احتجوا بها في المنع لا يثبت منها شيء. قال الإمام ابن حزم – رحمه الله –: (وأما مس المصحف فإن الآثار التي احتج بها من لم يجز للجنب مسه فإنه لا يصح

يسير إذ ليس في شيء منها من اتهم بالكذب، وإنما العلة بالإرسال أو سوء الحفظ وكثرة الطرق يقوي بعضها بعضاً).

منها شيء لأنها إما مرسلة وإما صحيفة لا تسند وإما عن مجهول وإما عن ضعيف)[١] والذي نراه أن رأي الجمهور أولى وأحوط. والله أعلم.

٧ أهل يجوز قراءة القرآن للجنب والحائض؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (وأما قراءة الجنب والحائض للقرآن فللعلماء فيه ثلاثة أقوال:

قيل: يجوز لهذا ولهذا، وهو مذهب أبي حنيفة والمشهور من مذهب الشافعي وأحمد.

وقيل: لا يجوز للجنب، ويجوز للحائض. إما مطلقاً أو إذا خافت النسيان. وهو مذهب مالك وقول في مذهب أحمد وغيره. فإن قراءة الحائض القرآن لم يثبت عن النبي فيه شيء غير الحديث المروي عن إسماعيل بن عياش عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر: «**لا تقرأ الحائض ولا الجنب من القرآن شيئاً**»[٢] وإسماعيل بن عياش ما يرويه عن الحجازيين أحاديث ضعيفة. بخلاف روايته عن الشاميين، ولم يرو هذا عن نافع أحد من الثقات، ومعلوم أن النساء كن يحضن على عهد رسول الله ولم يكن ينههن عن قراءة القرآن كما لم يكن ينههن عن الذكر والدعاء، بل أمر الحيض أن يخرجن يوم العيد، فيكبرن بتكبير المسلمين. وأمر الحائض أن تقضي المناسك كلها إلا الطواف بالبيت: تلبي وهي حائض، وكذلك

---

(١) راجع المحلى لابن حزم (١/ ٧٧-٨٤) طبعة دار الفكر.

(٢) قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٧٨): (وأما حديث ابن عمر مرفوعاً فضعيف من جميع طرقه)، وقال عنه الألباني: (حديث منكر) راجع ضعيف الترمذي (١٨)، ضعيف ابن ماجه (١٣٠)، ضعيف الجامع (٦٣٦٤)، وإرواء الغليل (١٩٢).

بمزدلفة ومنى، وغير ذلك من المشاعر)[1].

وإذا ثبت جواز القراءة للحائض، فإنه يثبت للجنب كذلك، وأما التفريق بينهما فلا دليل عليه. وأورد الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الحيض: باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت.

وقال إبراهيم: لا بأس أن تقرأ الآية. ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأساً. وكان النبي ﷺ يذكر الله في كل أحيانه ...

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (والأحسن ما قاله ابن رشيد تبعاً لابن بطال وغيره: أن مراده الاستدلال على جواز قراءة الحائض والجنب بحديث عائشة - رضي الله عنها - ؛ لأنه ﷺ لم يستثن من جميع مناسك الحج إلا الطواف، وإنما استثناه لكونه صلاة مخصوصة، وأعمال الحج مشتملة على ذكر وتلبية ودعاء، ولم تُمْنَع الحائض من شيء من ذلك، فكذلك الجنب لأن حدثها أغلظ من حدثه، ومنع القراءة إذا كان لكونه ذكراً لله فلا فرق بينه وبين ما ذكر، وإن كان تعبداً فيحتاج إلى دليل خاص، ولم يصح عند المصنف شيء من الأحاديث الواردة في ذلك، وإن كان مجموع ما ورد في ذلك تقوم به الحجة عند غيره لكن أكثرها قابل للتأويل كما سنشير إليه، ولهذا تمسك البخاري ومن قال بالجواز غيره كالطبري وابن المنذر وداود بعموم حديث: «**كان يذكر الله على كل أحيانه**» لأن الذكر أعم أن يكون بالقرآن أو بغيره، وإنما فُرِّقَ بين الذكر والتلاوة بالعرف...

وأما حديث علي رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ لا يحجبه عن القراءة

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢١/ ٤٦٠-٤٦١) طبعة دار التقوى.

شيء ليس الجنابة) رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي وابن حبان وضعف بعضهم بعض رواته، والحق أنه من قبيل الحسن يصلح للحجة [١]، لكن قيل: في الاستدلال به نظر لأنه فعل مجرد فلا يدل على تحريم ما عداه، وأجاب الطبري عنه بأنه محمول على الأكمل جمعاً بين الأدلة) [٢].

والخلاصة:

أنه لم يثبت في منع الحائض أو الجنب من القراءة حديث صحيح صريح، فيبقى الأمر على البراءة الأصلية، وبالرغم من هذا فإننا نرى أن الأولى أن يكون الإنسان على طهارة لقوله ﷺ: «**إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر**» [٣].

٨ / سجود التلاوة:

هل يشترط لسجود التلاوة طهارة؟ وهل يُكبِّر إذا خفض ورفع سواء كان في الصلاة أو خارجها؟ وماذا يُقال في هذا السجود؟ وهل ما ورد من الدعاء صحيح؟ وهل يشرع السلام من هذا السجود إذا كان خارج الصلاة؟

الجواب: قال العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله-: (سجود التلاوة لا تشترط له الطهارة في أصح قولي العلماء وليس فيه تسليم ولا تكبير عند

---

(١) الحديث (ضعيف) قال النووي: (خالف الترمذي الأكثرون، فضعفوا هذا الحديث) وضعفه الإمام الشافعي وأحمد والبيهقي والخطابي والألباني في الإرواء (٤٨٥،١٣٣)، تمام المنة ص (١٠٨-١١٠)، وضعيف الترمذي (٢٢).

(٢) فتح الباري (١/ ٤٨٥-٤٨٧) طبعة الريان.

(٣) (حديث صحيح) راجع السلسلة الصحيحة (٨٣٤).

الرفع منه في أصح قولي أهل العلم.

ويشرع فيه التكبير عند السجود لأنه قد ثبت من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - ما يدل على ذلك. أما إذا كان سجود التلاوة في الصلاة فإنه يجب فيه التكبير عند الخفض والرفع لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك في الصلاة في كل خفض ورفع وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١).

ويشرع في سجود التلاوة من الذكر والدعاء ما يشرع في سجود الصلاة لعموم الأحاديث ومن ذلك: «**اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته، فتبارك الله أحسن الخالقين**»(٢) روى ذلك مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه كان يقول هذا الذكر في سجود الصلاة وروي عن النبي ﷺ أنه دعا في سجود التلاوة بقوله: «**اللهم اكتب لي بها عندك أجراً وامح عني بها وزراً واجعلها لي عندك ذخراً وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام**»(٣).

والواجب في ذلك قوله: (سبحان ربي الأعلى) كالواجب في سجود الصلاة. وما زاد عن ذلك من الذكر والدعاء فهو مستحب، وسجود التلاوة في الصلاة، وخارجها سنة وليس بواجب لأنه ثبت عن النبي ﷺ من حديث زيد بن ثابت ما

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم ح (٧٧١) من حديث علي، ورواه أحمد من حديث عائشة وأبو داود والنسائي بإسناد حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) (حديث حسن) رواه الترمذي من حديث ابن عباس وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧١٠).

يدل على ذلك[١] وثبت عن عمر ﷺ ما يدل على ذلك أيضاً.[٢] والله ولي التوفيق[٣].

حكم سجود التلاوة في الأوقات المكروهة:

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله -: (روي عن بعض الصحابة أنه يكره سجود التلاوة في الأوقات المكروه، والظاهر عدم الكراهة، لأن السجود المذكور ليس بصلاة والأحاديث الواردة بالنهي مختصة بالصلاة)[٤].

سجود المستمع لسجود القارئ:

من استمع إلى قارئ، فقرأ آية فيها سجدة ؛ فالمستحب ألا يسجد المستمع حتى يسجد القارئ، لأنه بمثابة الإمام، وأما إن لم يسجد القارئ فلا يسجد المستمع.

قال ابن مسعود لتميم بن حذلم - وهو غلام - فقرأ عليه سجدة فقال: اسجد، فأنت إمامنا فيها[٥].

---

(١) عن زيد بن ثابت قال: (قرأت على النبي ﷺ النجم فلم يسجد فيها) رواه البخاري (١٠٧٣)، ورواه مسلم وأبو داود والترمذي.

(٢) حديث عمر: رواه البخاري (ح ١٠٧٧) وفيه قال عمر: (يا أيها الناس إنما نَمُرُّ بالسجود فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه) راجع الفتح (٢/ ٦٤٩).

(٣) تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام ص (١٢٩/ ١٣٠) تأليف الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز - رحمه الله - وأشرف على تجميعه وطبعه محمد بن شايع بن عبدالعزيز الشايع. نشرة دار طيبة. الطبعة الثانية.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤/ ٢٠٤،٢٠٣) طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

(٥) رواه البخاري (٢/ ٦٤٧) باب من سجد لسجود القارئ معلقاً بصيغة الجزم، وقال الحافظ: (وهذا الأثر وصله سعيد بن منصور من رواية مغيرة عن إبراهيم.. وقد رُوي مرفوعاً أخرجه ابن أبي شيبة من رواية ابن عجلان عن زيد بن أسلم ورجاله ثقات إلا أنه مرسل). الفتح (٢/ ٦٤٨).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: (كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدنا موضع جبهته)(١).

وفرق بعض العلماء بين السامع والمستمع، لما ورد من الآثار ما يفيد ذلك، ومنها: قال عثمان بن عفان - رضي الله عنه -: (إنما السجدة على من استمعها)(٢).

وعن سعيد بن المسيب أن عثمان مَرَّ بقاصٍ فقرأ سجدة ليسجد معه عثمان، فقال عثمان: (إنما السجود على من استمع ثم مضى ولم يسجد)، وعنه أيضاً أنه قال: قال عثمان: (إنما السجدة على مَنْ جلس لها واستمع)(٣).

وعن أبي عبدالرحمن السلمي قال: (مَرّ سلمان على قوم قعود فقرأوا السجدة فسجدوا، فقيل له، فقال: ليس لهذا غدونا)(٤)

قال الشافعي في البويطي: (لا أؤكده ـ السجود ـ على السامع ؛ كما أؤكده على المستمع)(٥).

قال الإمام النووي - رحمه الله -: (إذا سجد المستمع مع القارئ لا يرتبط به ولا ينوي الاقتداء به، وله الرفع من السجود قبله)(٦).

---

(١) رواه البخاري (١٠٧٥).

(٢) رواه البخاري (٢/ ٦٤٨ الفتح) معلقاً بصيغة الجزم.

(٣) (الطريقان صحيحان) الأول رواه عبدالرزاق، والثاني رواه ابن أبي شيبة، الفتح (٢/ ٦٤٩)

(٤) (إسناده صحيح) رواه عبدالرزاق. الفتح (٢/ ٦٤٩).

(٥) فتح الباري (٢/ ٦٥٠).

(٦) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص (١٠١) طبعة مكتبة ابن عباس بالمنصورة.

٩ أ حكم نسيان القرآن:

وردت آثار كثيرة تحث على تعاهد القرآن، والأمر باستذكاره وتلاوته، كما وردت آثار أخرى تحذر من نسيانه، والغفلة عنه، ومن ذلك حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**»(١).

وحديث أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**تعاهدوا القرآن، والذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عُقلها**»(٢).

قال الحافظ ابن حجر: (الإبل المعقلة): أي المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير، شبه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الفرار، فما زال التعاهد موجوداً فالحفظ موجود كما أن البعير مادام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفوراً، وفي تحصيلها بعد استكمان نفورها صعوبة).(٣)

واختلف السلف في نسيان القرآن، فمنهم من جعل ذلك من الكبائر، وأخرج أبوعبيد من طريق الضحاك بن مزاحم موقوفاً قال: (ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى: ٣٠].

---

(١) رواه البخاري ح (٥٠٣١).

(٢) رواه البخاري (ح ٥٠٣٣) ومعنى تفصياً: تفلتاً وتخلصاً، الفتح (٨/ ٧٠٠).

(3) فتح الباري (٨/ ٦٩٧).

وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب، ومن طريق أبي العالية موقوفاً: (كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه)، وإسناده جيد، ومن طريق ابن سيرين بإسناد صحيح في الذي ينسى القرآن كانوا يكرهونه، ويقولون فيه قولاً شديداً.

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (مَنْ حفظ القرآن أو بعضه فقد علت رتبته بالنسبة إلى من لم يحفظه، فإذا أخلَّ بهذه الرتبة الدينية حتى تزحزح عنها ناسب أن يعاقب على ذلك، فإن ترك معاهدة القرآن يفضي إلى الرجوع إلى الجهل، والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد)[1].

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦]. (أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها كذلك اليوم نعاملك معاملة من نسيك ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٥١].

فإن الجزاء من جنس العمل، وأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه فليس داخلاً في هذا الوعيد الخاص، وإن كان متوعداً عليه من جهة

(١) فتح الباري (٨/ ٧٠٤، ٧٠٥) بتصرف.

أخرى، فإنه قد وردت السنة بالنهي الأكيد والوعيد الشديد في ذلك)[1].

وقال أيضا: (فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله به).

١٠ | حكم تقليد صوت القارئ

قال الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد - رحمه الله -: (فاعلم أنه في عصرنا بدت ظاهرة عجيبة، لدى بعض القراء إذ أخذوا في التقليد والمحاكاة على سبيل الإعجاب والتلذذ، وتلقنه الطلاب وهم في دور التلقي ثم سرت هذه العادة فتَكَوَّن من هذه الظاهرة ظاهرة المحاكاة والتقليد في الصوت، كل بحسب من أعجبه صوته، فعمروا المحاريب بالتقليد، وهم وقوف بين يدى الله تعالى، يؤمون المصلين، ليحرك الإمام نفوس المأمومين بصوت غيره، ويتلذذ السامعون بحسن أدائه فيه، بل وصل الحال إلى أن الإمام في التراويح، قد يقلد صوتين، أو ثلاثة، وهكذا، وقد سمعت في هذا عجبا، وصدق أبو الطيب المتنبي:

وأسرعُ مفعــــولٍ فعلـــت تغــيراً تكلــف شيء في طباعــك ضــده

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٤) طبعة المكتبة القيمة ولقد ألفت في الوسائل المعينة على حفظ القرآن وتعاهده الكثير من الكتب منها:

١ - قصد السبيل إلى الجنان ببيان كيف تحفظ القرآن - إبراهيم عبدالمنعم الشربيني.

٢ - الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ والانتفاع بالقرآن - محمد بن مصطفى.

٣ - الإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات المتشابهة الألفاظ - جمال بن عبدالرحمن.

٤ - عون الرحمن أبو ذر القلموني.

٥ - كيف تحفظ القرآن؟ د. عبدالرب نواب الدين.

وحيث إن هذا أمر إضافي في عبادة، والعبادات سبيلها الوقف على النص ومورده، بل هنا في أفضل الكلام (القرآن الكريم) وفي أفضل العبادات العملية (الصلاة) والمسلم مطالب بأن لا يعبد الله إلا بما شرع، فالسؤال الوارد إذاً: ما حكم التعبد بتقليد صوت القارئ هل هو مطلوب شرعاً أو غير مطلوب؟ وإذا كان مطلوباً فما دليله؟ وما منزلته من قسمي الطلب: الوجوب والندب؟ وإن لم يكن مطلوباً فما حكمه؟ وما موقعه من قسمي النهي: التحريم والكراهة؟

والجواب: أن مجرد الصوت حسناً أو غير حسن، لم يعلق الله عليه حكماً، لا مدحاً، ولا ذماً، بل لا يجوز فيه ذمه إذا كان غير حسن، لأنه خلق الله، ولا اختيار للعبد فيه، وأن الصوت الطبيعي الحسن، نعمة على العبد، وأن النعم محن، فإن استعمله في الطاعة في قراءة كتاب الله تعالى كان ذلك أمراً مرغوباً فيه شرعاً، واستماعه مرغوب شرعاً، لا لذات الصوت لكن، لأنه يحمل كلام الله، ويحببه إلى النفوس ويوصل معانيه إلى القلوب، وأن من كان كذلك لم يمنحه الشرع حكماً مستقلاً لذات الصوت دون غيره. وأن تحريك الصوت للإنسان أمر طبعي، كما يتحرك كل إلى ما يناسبه من الأصوات وإنما التعبد أن يتحرك العبد إلى كلام الله وما فيه من العظة والعبرة، والتذكير بالمصير، وبالجنة والنار، وعظيم الحِكَم والأحكام، أما لو تحرك عند قراءة القرآن طرباً لمجرد حسن الصوت، دون ما يحمله من آيات القرآن الكريم، فهذا عشق مجرد من التعبد، لعدم ورود أمر التعبد عليه في الشرع المطهر.

وإذا استقر عندك هذا المحصول الجامع لأحكام الصوت الحسن، بقي الوقوف على حكم هذه الظاهرة الحادثة:

(الافتتان بتقليد أصوات القراء، والقراءة بها في المحاريب بين يدى الله تعالى) عندئذ نقول:

١- هذا أمر إضافي إلى التعبد في القراءة، فهذا التقليد (عبادة) ومعلوم أنه قد وجد المقتضي لهذا في عصر النبي ﷺ، وعصر صحابته - رضي الله عنهم - فلم يُعلم العمل به عند أحد منهم رضي الله عنهم وقد عُلم في (الأصول): (أن ترك العمل بالشيء في عصر النبي ﷺ مع وجود المقتضى له يدل على عدم المشروعية).

فالصوت الحسن في القراءة موجود في عصر النبي ﷺ، ورأس الأمة في هذا نبينا ورسولنا محمد ﷺ فهذا المقتضى موجود، ولم يُعلم أن أحداً تقرب إلى الله بتقليد صوت النبي ﷺ أو أحد من صحابته، ولا من بعدهم، وهكذا. فدل هذا على عدم مشروعية هذا التقليد، وعُلِمَ به أن التقرب إلى الله تعالى بذلك التقليد والمحاكاة لأصوات القراء أمر مهجور، فالتعبد به أمر مُحْدَث، وقد نُهِينَا عن الإحداث في الدين.

وقاعدة الشرع: أن كل أمر تعبدي مُحْدَث فهو: بدعة وكل بدعة ضلالة، وأن الشغف والتدين بحسن الصوت فحسب، والتلذذ به، كالتدين بعشق الصور، فهما في الابتداع والتحريم سواء.

بل يضاف إلى المحاكاة للصوت الحسن، وأن فيها نوع تبعية مُذلة، والشرع يبني في النفوس: العزة، والكرامة، وترقية العقول، واستقلالها، وتمحض متابعتها لهدي النبوة لا غير.

٢- والشرع يدعو إلى تحسين القارئ صوته، وهذا أمر مشروع في حق مَنْ يملكه، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وتطلبه بالتقليد والمحاكاة، تكليف بما لا

يسع العبد في طبعه، فهو غير مطلوب، وتكلف العبد ما لا يطيقه كمن يريد شبر البسيطة، وهذا يخالف الفطرة حساً، ويعاكسها عقلاً، ودين الإسلام دين الفطرة ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم: ٣٠].

٣- واعلم أن المُحْدَث يتولد منه أمور محدثة، وهكذا تبدو المحدثات صغاراً، ثم تنمو، وتزداد، حتى تنقطع السبيل إلى سبل، وتغاب السنن.

وقد تولد عن فتنة التقليد:

١- إحياء البدعة المهجورة لدى المتصوفة (التعبد بعشق الصوت) ولقد كشف أهل السنة بدعيتها.

٢- الازدحام في المساجد التي سبيل إمامها المحاكاة والتقليد، وشد الرحال إليها وبخاصة في أيام رمضان ليصلي التراويح في مسجد إمامه (حسن الصوت) وفي هذا مخالفة لقوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا**»(١).

٣- تَكَرُّه النفوس للصلاة خلف إمام لا يستحسن صوته.

٤- انصراف مَنْ شاء الله مِنْ عباده عن الخشوع في الصلاة، وحضور القلب إلى التعلق بمتابعة الصوت الحسن لذات الصوت.

وأنصح كل مسلم قارئ لكتاب الله تعالى وبخاصة أئمة المساجد أن يكفوا عن المحاكاة والتقليد في قراءة كلام رب العالمين، فكلام الله أَجَلُّ، وأعظم من أن

---

(١) رواه البخاري ح (١١٨٩) ومسلم ح (١٣٩٧).

يجلب له القارئ مالم يطلب منه شرعاً زائداً على تحسين الصوت حسب وسعه لا حسب قدرته على التقليد والمحاكاة. وقد قال الله عن نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

وليجتهد العبد في حضور القلب، وإصلاح النية فيقرأ القرآن محسناً به صوته من غير تكلف، وليجتنب التكلف من الأنغام، والتقعر في القراءة، والممنوع من حرمة الأداء)[١].

١١ | حكم القراءة من المصحف في صلاة التراويح:

انتشر في هذا الزمان ظاهرة القراءة من المصحف في صلاة التراويح، وأصبحت سمة عامة لكثير من المساجد، مما أدى إلى تكاسل كثير من الأئمة الحفاظ عن المراجعة، فما حكم هذه الظاهرة؟ وهل يجوز قراءة الإمام من المصحف في القيام استدلالاً بإمامة ذكوان لعائشة - رضي الله عنها -؟ أم أنه من محدثات الأمور.

الجواب: اختلف العلماء قديماً وحديثاً ما بين مانع ومجيز ولكل أدلته.

ولقد سئل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - فأجاب: (لا نرى ذلك، وما ذُكر عن ذكوان حادثة عين، لا عموم لها، وبإباحة ذلك لأئمة المساجد يؤدي بهم إلى ترك تعاهد القرآن والعناية بحفظه غيباً، وهذا خلاف قوله ﷺ: «**تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عقلها**»)[٢].

(١) بدع القراء القديمة والمعاصرة ص (٢٨-٥٨) بتصرف لفضيلة الشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد، طبعة دار قرطبة.

(٢) رواه البخاري ح (٥٠٣٣) واللفظ له، ومسلم ح (٧٩١).

ومعلوم أن للوسائل حكم الغايات كقولهم ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب وما يؤدي إلى معصية فهو معصية ... وهكذا).

وهذه الظاهرة عليها الكثير من المآخذ منها:

١- أنه خلاف لهدي النبي ﷺ الذي يقول «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١).

٢- أنه أيضاً خلاف لسنة الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمرنا أن نتأسى بهم.

٣- أنه يميت الرغبة لدى الكثير في حفظ القرآن الكريم، التي خص الله بها هذه الأمة وكان من قبلها لا يقرءون كتابهم إلا نظراً، فإذا طبقوه لم يحفظ ما فيه إلا الأنبياء، هذا وأكبر دافع وأقوى حافز للمسلم للقرآن للصلاة، فما دام يجوز القراءة من المصحف لماذا العناء والنصب؟

٤- وبه - أيضاً - يهمل العمل بحديث النبي ﷺ «**ليليني منكم أولو الأحلام والنُهى**.. الحديث»(٢) إذ لا حاجة لأن يقفوا خلف الإمام للفتح عليه.

٥- وكذا به لا يستطيع الإمام النظر إلى موضع السجود لتعلق نظره بصفحات المصحف.

٦- فيه نقص لتمام الطمأنينة والخشوع لانشغال الإمام بتقليب الصفحات وتقديمه أثناء القيام من المصحف للقراءة والتأخر والرجوع عندما يريد الركوع بل البعض يكون المصحف عن يمينه فتراه يشيح بوجهه عن المسجد الحرام بدلاً

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم ح (٤٣٢) وأحمد وأبوداود والترمذي.

من أن يصمد إليه وجهه صمداً، لقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[البقرة: ١٥٠].

٧- كثير من أهل العلم كره هذا الصنيع كما جاء ذلك عن مجاهد وعن الأعمش وعن إبراهيم قال: كانوا يكرهون أن يؤم الرجل في المصحف كراهية أن يتشبهوا بأهل الكتاب، بل إن سليمان بن حنظل مَرَّ بقوم يؤمهم رجل في مصحف في رمضان على مشجب فرمى به.

٨- ما قاله ابن حزم في المحلى (ولا يحل لأحد أن يؤم وهو ينظر ما يقرأ به في المصحف لا في فريضة ولا نافلة، فإن فعل عالماً بأن ذلك لا يجوز بطلت صلاته وصلاة من ائتم به عالماً بحاله بأن ذلك لا يجوز وأما أبو حنيفة - رحمه الله - قال عن صلاته: أنها فاسدة).

أما حجج من أجاز ذلك أهمها اثنتان:

١- احتجاجهم بأنه لم يعد هناك من يحفظ القرآن فنقول لهم: إن النبي ﷺ قام ليلة بآية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨]. كان بها يسجد وبها يركع وبها يقوم يقعد حتى يصبح.. الحديث[(١)].

٢- استدلالهم بصنيع مولى عائشة - رضي الله عنها - ذكوان بأنه كان يؤمها من المصحف في رمضان فنقول: أهذا الأمر كان من الدين؟ فهل عمل به النبي ﷺ سكت عنه وتجاهله؟! سبحانك هذا بهتان عظيم! وإلا فما معنى قوله تعالى:

---

(١) (حديث صحيح) رواه النسائي وابن خزيمة وأحمد وابن نصر والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. راجع صفة الصلاة للألباني ص (٦٩).

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

أما الأئمة الأعلام الذين أجازوا ذلك فإنهم قيدوه بقيد الاضطرار فهذا الإمام أحمد -رحمه الله- سئل هل يؤم في المصحف في رمضان؟ قال: ما يعجبني إلا أن يضطر إلى ذلك. وبه قال إسحاق.

وقال قتادة عن سعيد بن المسيب في الذي يقوم في رمضان: إن كان معه ما يقرأ به في ليلة، وإلا فليقرأ في المصحف.

وأما الحسن - رحمه الله - فقال: يقرأ بما معه ويردده ولا يقرأ من المصحف كما تفعل اليهود.(١)

الخلاصة:

ومما سبق يتضح أن: الأولى أن يقرأ المسلم من حفظه ولو كان قليلاً يردده كما فعل الرسول ﷺ والسلف الصالح من بعده، ولا يقرأ من المصحف في الصلاة إلا أن يضطر إلى ذلك. والله أعلم.

---

(١) المقتصد في ترجمة الشيخ أبو يوسف عبدالرحمن عبدالصمد بقلم إبراهيم بن حميد الساجر. وراجع كلام السلف عن القراءة من المصحف في الصلاة في كتاب المصاحف لابن أبي داود تحقيق سليم الهلالي ص (٧١٠ - ٧٢١) طبعة مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ط الأولى ١٤٢٧هـ.

الباب الثاني

هجر استماع القرآن

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: استماع القرآن الكريم.

(معناه – فضله – آدابه – سبب هجره)

الفصل الثاني: أقسام الناس في استماع القرآن.

الفصل الثالث: نماذج من استماع القرآن الكريم.

الفصل الرابع: صور من هجر استماع القرآن الكريم.

الفصل الأول

استماع القرآن الكريم

وفيه أربعة مباحث:

١- معنى السماع والفرق بينه وبين الاستماع.

٢- فضائل استماع القرآن الكريم.

٣- آداب استماع القرآن الكريم.

٤- سبب هجر استماع القرآن الكريم.

الفصل الأول

استماع القرآن الكريم

أولاً: معنى السماع

السماع لغةً:

قال ابن منظور - رحمه الله -: سمع: السَّمْعُ حسُّ الأذن، وفي التنزيل: وقال ثعلبُ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]؛ معناه: خلا له فلم يشتغل بغيره، وقد سمعه سَمْعاً وسِمْعاً وسَماعاً وسَماعة وسَماعية...

قال ابن السكيت: (السَّمْعُ) سَمْعُ الإنسان وغيره، ويكون واحداً وجمعاً، كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]. لأنه في الأصل مصدر قولك (سَمِعَ) الشيء بالكسر (سَمْعاً) و (سَماعاً) وقد يجمع على (أسماع) وجمع الأسماع (أسامع).

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١]. أي ما تسمع إلا من يؤمن بها، وأراد بالإسماع ههنا القبول والعمل بما يسمع، لأنه إذا لم يقبل ولم يعمل فهو بمنزلة من لم يسمع. وسَمَّعه الصوت وأسمعه: استمع له. وتَسَّمع إليه أي أصغى.

وقد تأتي (سَمِعَ) بمعنى أجاب، ومن أمثلة ذلك: (سمع الله لمن حمده) أي

أجاب الله حمده وتقبله، وفي الحديث: «**اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يُسمع**» أي لا يستجاب ولا يعتد به فكأنه غير مسموع.

والسميع: من صفاته عز وجل وأسمائه، لا يعزب عن إدراكه مسموع، وإن خفي، وسع سمعه الأصوات كلها، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]. وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى﴾ [الزخرف: ٨٠].

قال الأزهري: وهو سبحانه سميع ذو سمع بلا تكييف ولا يشبه بالسمع من خلقه ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصف الله بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف.

ورجل سمّاع إذا كان كثير الاستماع لما يقال وينطق به، قال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤٢].

فُسِّر قوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ على وجهين: **أحدهما**: أنهم يسمعون لكي يكذبوا فيما سمعوا. **الثاني**: ويجوز أن يكون أنهم يسمعون الكذب ليشيعوه في الناس. والله أعلم بما أراد[1].

السماع اصطلاحاً: قال الإمام ابن القيم: (وحقيقة السماع تنبيه القلب على معاني المسموع وتحريكه عنها طلباً أو هرباً، وحباً أو بغضاً.[2])

(١) لسان العرب لابن منظور (٦/ ٣٦٣-٣٦٥) بتصرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

(٢) (مدارج السالكين (١/ ٥١٧) انظر نضرة النعيم (٦/ ٢٣٠١)).

هل هناك فرق بين السماع والاستماع؟

نعم، فالاستماع يكون بحضور القلب مع سكون الجوارح بحيث يحصل التدبر؛ لذا يؤجر عليه صاحبه. وأما السماع فيكون بدون قصد ولا إرادة، لذا لا يترتب عليه أجر ولا إثم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (فالرجل لو سمع الكفر والكذب والغيبة والغناء والشبابة، من غير قصد منه، كأن كان مجتازاً بطريق فسمع ذلك، لم يأثم، ذلك باتفاق المسلمين، ولو كان الرجل ماراً، فسمع القرآن، من غير أن يستمع إليه، لم يؤجر على ذلك، وإنما يؤجر على الاستماع الذي يقصد)[1].

ثانياً: فضائل استماع القرآن

إن فضائل استماع القرآن الكريم كثيرة، كما أن لتلاوة القرآن الأجر العظيم، فكن - أخي الحبيب - من المحافظين على تلاوته واستماعه، حتى تفوز بالأجر العظيم في الدنيا والآخرة، وتكون من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

ومن هذه الفضائل:

١ - استماع القرآن سبب لرحمة الله - سبحانه وتعالى -: قال الله - عز وجل: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

قال ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢١٢).

(٢) رواه مسلم (٦٧٢٦) وأبوداود والترمذي مختصراً عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

قال الليث: يُقَال: ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن، لقول الله جل ذكره: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ و(لعل) من الله واجبة.[١]

قال الحسن البصري: إذا جلست إلى القرآن فأنصت له.[٢]

وقد اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية، وأن الأمر بالاستماع والإنصات في حق مَنْ؟ فمنهم مَنْ قال: في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة، وآخرون قالوا: في الصلاة والخطبة يوم الجمعة، وغيرهم قال: الإنصات يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الإمام من الصلاة وهذا اختيار ابن جرير الطبري[٣].

والذي يظهر والله أعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإن كان في الصلاة أشد مطلوباً لمكان القرب والتأثر.

---

(١) فضائل القرآن وآداب التلاوة للإمام القرطبي ص (١٢) تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، نشر المكتب الثقافي.

(تنبيه) لنا بعض الملاحظات على تحقيق الدكتور المذكور آنفاً للكتاب منها:

١- لم يخرج الأحاديث النبوية، بل تركها كما هي، والكتاب به الكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

٢- ملأ الكتاب بالتعليقات التي تدل على منهجه الاعتزالي من تقديم العقل على النقل، وتأويل الصفات وتعطيلها.

مثال: نفى الشفاعة يوم القيامة ص (١١)، فسر (استوى) بمعنى (استولى) ص (٢٥)، ويد الله بمعنى قدرة الله ص (٢٦)، ونفى صفة الكلام لله ص (٣٤) وغيرها.

٣- ينفي النسخ في القرآن ص (٢٩) كما يشكك في الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والأحكام إن لم يكن يرده مطلقاً ص (٥١، ٥٢، ٩٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٨-٢٨٧) طبعة المكتبة القيمة.

(٣) المرجع السابق.

٢- **استماع القرآن سبب لتحصيل الأجر العظيم** : وكما عرفنا أن مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء، فإن الأجر لا يتوقف على التلاوة فحسب، بل إن استماع القرآن الكريم - إذا أخلص الإنسان نيته لله - من الأسباب المعينة على تكثير الحسنات، ومضاعفة الطاعات، ومن أفضل القربات.

قال أبو هريرة ﷺ: (مَنْ استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كُتب له حسنة مضاعفة، ومَنْ تلاها كانت له نوراً يوم القيامة) [(١)].

٣- **استماع القرآن سبب لهداية الإنسان** : لقد أوضح الله سبحانه وتعالى أن القرآن مصدر الهداية في الدنيا والآخرة، ومن تمسك به تلاوة واستماعاً وعملاً وتدبراً فلن يضل أو يشقى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[الإسراء: ٩].

وإن استماع القرآن من الأعمال الصالحة التي بشر القرآن أصحابها بالهداية، ووصفهم بأنهم أصحاب العقول السليمة الراشدة فقال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر: ١٧ - ١٨].

---

(١) (ضعيف مرفوعاً، صحيح موقوفاً) رواه أحمد مرفوعاً(٣/ ٣٤١) وضعفه المنذري في الترغيب (٢/ ٣٤٥)، وقال الحافظ العراقي في تخريج الاحياء (١/ ٣٢٠): (وفيه ضعف وانقطاع) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٠٨)، وقال محقق التبيان ص (٧٣): وفيه الحسن البصري مدلس ولم يصرح بالسماع وقد اختلف في سماعه من أبي هريرة، وعباد بن ميسرة ضعيف، فالحديث ضعيف مرفوعاً، صحيح موقوفاً) طبعة مكتبة ابن عباس المنصورة.

٤- استماع القرآن سبب لتحصيل النور: عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: (من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كانت له نوراً)[1].

إن الاستماع إلى القرآن الكريم يكسب صاحبه نوراً في الدنيا: ينير له الطريق، ويبدد به الظلمات، ويكشف به الشبهات، ويقمع به الشهوات، ويقضي به على الضلالات، وكذلك يكسب صاحبه نوراً في الآخرة: يمشي به على الصراط، وينجو به من المهلكات حتى يفوز بجنة الله خالق الأرض والسموات، فمن دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: ٨].

فوائد الاستماع:

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (فهذا السماع حادٍ يحدو القلوب، إلى جوار علام الغيوب، وسائق يسوق الأرواح إلى ديار الأفراح، ومحرك يثير ساكن العزمات، إلى أعلى المقامات وأرفع الدرجات، ومنادٍ ينادي للإيمان، ودليل يسير بالركب في طريق الجنان، وداع يدعو القلوب بالمساء والصباح من قبل فالق الإصباح (حي على الفلاح، حي على الفلاح).. فلم يعدم من اختار هذا السماع إرشاداً لحجة، وتبصرة لعبرة، وتذكرة لمعرفة، وفكرة في آية، ودلالة على رشد، ورداً على ضلالة، وإرشاداً من غيّ، وبصيرة من عمى، وأمراً بمصلحة، ونهياً عن

(١) (صحيح الإسناد) رواه الدارمي في سننه برقم (٣٣٦٧) (وفيه رزين بن عبدالله بن حميد لم أقف على من ترجم له، وأما عنعنة ابن جريج فلا تضر عن عطاء لأنه قال: إذا قلت: قال عطاء، فهو سماع وإن لم أقل: سمعت، وقد تابع رزيناً عبدالرزاق (٦٠١٢) فصح الإسناد). نقلاً عن تخريج التبيان ص (٧٣) مكتبة ابن عباس المنصورة.

مضرة ومفسدة، وهداية إلى نور، وإخراجاً من ظلمة، وزجراً عن هوى، وحثاً على تقى، وجلاء لبصيرة، وحياة لقلب، وغذاء ودواء وشفاء، وعصمة ونجاة، وكشف شبهة، وإيضاح برهان، وتحقيق حق، وإبطال باطل...)[1].

ثالثاً: آداب استماع القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]. (يذكر الله - تعالى - حال المؤمنين عند استماع آيات القرآن الكريم أنهم يُلقون إليها الأسماع في إصغاء وخشوع، وأدب وخضوع، وصمت وادِّكار، وتفكر واعتبار؛ مؤمنين بأن ما يسمعونه هو كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على سيد المرسلين، فوعاه قلبه، ونطق به لسانه، وبلّغه إلى أمته أداء للأمانة، وإبلاغاً للرسالة، فرقاناً بين الحق والباطل، هادياً إلى سبيل الرشاد، مبشراً بالوعد الصادق مَنْ أذعن له وأطاع، منذراً بالوعيد العدل مَنْ تمرد عليه وعصى، مذكراً بأيام الله وما خلا من قرون، ومضى من شئون، ذاكراً ما أعدَّ الله للمتقين من جنات وعيون، ونعيم مقيم، وما أعد للكافرين من نار موقدة، وعذاب دائم أليم.

فترى المؤمنين عند تلاوته وسماعه قد خشعت أصواتهم لرهبته، ووجلت قلوبهم لخشيته، وذرفت عيونهم من مخافته، وأقبلوا على ربهم تائبين، ومن ذنوبهم مستغفرين، وفي رضاه طامعين، ومن غضبه وجلين.

ذلك كان شأن الصحابة -رضوان الله عليهم-، والصدر الأول من المسلمين عند سماع القرآن وتلاوته وذلك ما تشير إليه الآية، في وصف المؤمنين أنهم إذا

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٥٣٥) طبعة دار الجيل.

ذكر الله بصفات الجلال، وأنه القاهر فوق عباده، المنفرد بالقدرة والسلطان والقوة والجبروت وجلت قلوبهم. وإذا تليت عليهم آياته، وفقهوا ما في ثناياها من معان وأحكام، وبشارة ونذارة، ووعد ووعيد، وعظات وأمثال قوي يقينهم بالله، وأقبلوا على ما فيه رضاه، وأعرضوا عما يسخطه، ولا يرضاه كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

فإن الأمر بالاستماع والإنصات عند قراءته في الصلاة وخارج الصلاة أمر صريح، وقد جعله الله مناط الرحمة ؛ ليُعلم أن اللغو عند قراءته والتصدية والمكاء، والجَلَبة والضوضاء من موانع الرحمة، ونعوذ بالله ممن يضل سعيه، فيحول بعمله بين نفسه ورحمة ربه.

فأين نحن الآن من أسلافنا؟ وهم القدوة في الهدى، وقد اتخذنا القرآن أغاني فالقارئ يفنن في النغم والتلحين، ويخرج به عن سنن الترتيل وقواعد التجويد، ويعيد الآية عند استحسان السامعين للنغمة وطلبهم الإعادة، والسامع يستخفُّه الطرب، لا من معاني القرآن، بل من حسن التوقيع وموسيقى الشيطان، وأفانين الألحان؛ فيصيح في نهاية الآيات بكلمات الاستحسان، والثناء على القارئ والدعاء له، وطلب الإعادة منه، وغير ذلك مما يستحي المؤمن الوقور من ذكره، وكثيراً ما يكون ذلك في بيوت الله التي شرفها الله تعالى بإضافتها إليه، وجعل لها حُرمةً، وللدخول فيها والمكث بها آداباً وسنناً.

وكيف نرجو الثواب، ونقصد التعبدَّ بالقراءة والسماع؟ والأمر على ما وصفنا: من حركات طائشة، وكلمات مرذولة، وصياح وضوضاء، واستحسان للنغمات، وإغراء بالمزيد منها، وطلب الإعادة للآية لحسن التوقيع، وانتهاكٍ لحرمة

المساجد، وتجاوز في القراءة للحدود المرسومة المروية عن القدوة وأئمة الهدى؟!.

وأين الخشية من الله، والخوف عند تلاوة آية العذاب الذي تنخلع من هوله القلوب؟ والرهبة من آية الوعيد الذي يشق المرائر؟ وأين الخشوع والتفكر؟ وأين التوبة والاستغفار من الذنوب عند الذكر؟)[1].

قال الشيخ عبدالعظيم بن بدوي - حفظه الله -:[2] (ولقد أمر الله - سبحانه - النبيين وأتباعهم المؤمنين بالاستماع للوحي عند تلاوته ونهاهم عن الانشغال عن الاستماع لما يوحي بأي شيء ولو بتلاوة الوحى نفسه، قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣]، وكان النبي ﷺ إذا قرأ عليه جبريل القرآن تعجل بالقراءة خلفه خشية النسيان، فقال الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩].

وقال للمؤمنين: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لأنه بالاستماع يحصل الفهم المؤدي للعمل.

ومن أدب الاستماع:

١- سكون الجوارح. ٢- وغض البصر. ٣- والإصغاء بالسمع.

٤- وحضور القلب. ٥- والعزم على العمل.

---

(١) القرآن آداب تلاوته وسماعه لـ (حسنين محمد مخلوف) ص (٢٤-٢٦) مطبعة لجنة البيان العربي الطبعة الأولى ١٩٥٨م.

(٢) مجلة التوحيد ص (١٢-١٣) عدد ربيع الآخر ١٤١٧هـ السنة (٢٥).

فذلك هو الاستماع الذي يحبه الله تعالى، وهو أن يكف العبد جوارحه ولا يشغلها فيشتغل قلبه عما يسمع، ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى، ويحضر عقله فلا يحدث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه، ويعزم على أن يفهم فيعمل بما فهم.

قال سفيان بن عيينة: أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر[1].

فإذا استمع العبد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بنية صادقة كما يحب الله أفهمه الله كما يحب، وجعل له في قلبه نوراً، وكان من أهل البشارة التي أمر الله نبيه أن يبشر بها: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨]، وهكذا شهد الله لمن يحسن الاستماع إلى كتابه بالهداية والعقل، وذم الذين يسيئون الاستماع إلى الوحي وحكم عليهم بالضلال وشبههم بالأنعام، فقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]. وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. أي: أنه وجه سمعه، وأصغى حاسته إلى ما يتلى من الوحي وقلبه حاضر يفهم ما تسمعه الأذن، فإن السماع مع غفلة القلب سماع الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾، وهكذا تضمنت هذه الآية شروط الانتفاع بالقرآن والتأثر به وإفادتها السامعين بأوجز لفظ وأبينه وأدله

---

(١) رواه الدارمي (١/ ١٠٧) بلفظ (يراد للعلم الحفظ والعمل والاستماع والإنصات والنشر). طبعة دار الريان.

على المطلوب، فذكرت أنه لابد من محل قابل للتأثر، وهو القلب الحي، وأنه لابد من تحصيل شرط وهو إصغاء السمع وحضور القلب، وأنه لابد من انتفاء مانع يمنع من حصول الأثر وهو انشغال القلب وذهوله)(١).

رابعاً: سبب هجر استماع القرآن

من الأسباب الرئيسة لهجر استماع القرآن الكريم، استماع الغناء واللهو والمزمار، الذي أصبح سمة غالبة لكثير من المسلمين - إلا مَنْ رحم الله -.

ولقد صرح بذلك العلامة ابن القيم - رحمه الله - فقال: (ومن مكايد عدو الله ومصائده، التي كاد بها مَنْ قَلَّ نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء، والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان. فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة. وحسنه لها مكراً منه وغروراً، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجوراً. فلو رأيتهم عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له ولا كتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان؟ ويحق لهم ذلك وقد خالط خماره النفوس، ففعل فيها

---

(١) راجع شروط الانتفاع بالقرآن الكريم ص(٩-١١) من كتاب الفوائد لابن القيم. طبعة دار مكتبة الحياة.

أعظم ما يفعله حميا الكئوس فلغير الله، بل للشيطان، قلوب هناك تمزق، وأثـواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق. حتى إذا عمل السكر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزهم بصوته وحيله، وأجلب عليهم برجله وخيله، وخز في صدورهم وخزاً، وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزاً، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالذباب ترقص وسط الدمار.

فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام، ويا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام، ويا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام، قضوا حياتهم لذة وطرباً واتخذوا دينهم لهواً ولعباً، **مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور الرحمن**، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك ساكناً، ولا أزعج له قاطناً، ولا أثار فيهم وجداً، ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زنداً حتى تُلِيَ عليه قرآن الشيطان، وولج مزموره سمعه، تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينيه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفقت وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زمراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت.

فيا أيها الفاتن المفتون، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون، هلا كانت هذه الأشجان عند سماع القرآن؟ وهذه الأحوال السنيات، عند تلاوة السور والآيات؟ ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، والجنسية علة الضم قدراً وشرعاً، والمشاكلة سبب الميل عقلاً وطبعاً، فمن أين هذا الإخاء والنسب؟ لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب، ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خللاً؟ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠] [(١)].

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في موضع آخر: (والسلف الصالح كانوا يجدون الأذواق الصحيحة المتصلة بالله في الأعمال الصحيحة المشروعة، وفي قراءة كتاب الله وتدبره واستماعه، وفي مزاحمة العلماء بالرُّكب، وفي الجهاد في سبيل الله، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الحب في الله، والبغض فيه، وتوابع ذلك فصار ذوق المتأخرين - إلا مَنْ رحم الله - في اليراع (القصبة التي يصفر بها الراعي) والدف والمواصيل والأغاني المطربة ومن الصور المستحسنة والرقص والزعقات، وتعطيل ما يحبه الله ويرضاه من عبوديته المخالفة لهوى النفوس، فشتان بين ذوق الألحان وذوق القرآن، وبين ذوق العود والطنبور، وذوق (المؤمنين) و (النور)، وبين ذوق الزَّمْر وذوق (الزُمَر)، وبين ذوق الناي وذوق (اقتربت الساعة وانشق القمر) وبين ذوق المواصيل والشبابات وذوق (يس) و (الصافات)، وبين ذوق غناء الشعر وذوق سورة (الشعراء)، وبين ذوق سماع المكاء والتصدية، وذوق (الأنبياء)، وبين الذوق على سماع تذكر فيه العيون السود والخصور والقدود، وذوق سماع سورة (يونس) و (هود)، وبين ذوق الواقفين في طاعة الشيطان على أقدامهم صواف وذوق الواقفين في خدمة الرحمن في سورة (الأنعام) و (الأعراف)، وبين ذوق الواجدين على طرب المثالث والمثاني، وذوق العارفين عند استماع (القرآن العظيم) و (السبع المثاني)، وبين ذوق أولي الأقدام

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية (١/ ٢٢٩-٢٣٠) طبعة دار الحديث.

الصافات في حظيرة سماع الشيطان، وذوق أصحاب الأقدام الصافات بين يدي الرحمن.

سبحان الله! هكذا تنقسم الأذواق والمواجيد، ويتميز خُلُقُ المطرودين من خُلُق العبيد، سبحان المُمدِّ لهؤلاء وهؤلاء من عطائه، والمفارق بينهم في الكرامة يوم القيامة فوالله لا تجتمع محبة سماع الشيطان وكلام الرحمن في قلب رجل واحد أبداً، كما لا تجتمع بنت عدو الله وبنت رسول الله ﷺ عند رجل واحد أبداً) [(١)] [(٢)].

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله – موضحاً أقسام الناس في سماع القرآن والغناء.

والناس في السماع أربعة أقسام:

أحدها: مَنْ يشتغل بسماع القرآن عن سماع الشيطان.

الثاني: عكسه (مَنْ يشتغل بسماع الشيطان عن سماع القرآن).

الثالث: مَنْ له نصيب من هذا وهذا.

الرابع: ليس له نصيب لا من هذا ولا من هذا.

---

(١) عن المِسْوَر بن مَخْرَمة قال: (إن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله ﷺ فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني، وإن فاطمة بضعة مني، وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد. فترك علي الخطبة) رواه البخاري (٣٧٢٩) كتاب فضائل الصحابة باب ذكر أصهار النبي ﷺ (٧/ ١٠٧) فتح الباري طبعة الريان.

(٢) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء لابن القيم، ص (١٠٧/ ١٠٨)، تحقيق ربيع بن أحمد خلف نشر مكتبة السنة، الطبعة الأولى.

فالاشتغال بسماع القرآن الرحماني حال السابقين الأولين وأتباعهم ومن سلك سبيلهم.

والثاني: حال المشركين والمنافقين والفجار والفساق والمبطلين ومَنْ سلك سبيلهم.

والثالث: حال مؤمن له مادتان: مادة من القرآن ومادة من الشيطان، وهو للغالب عليه منها.

والرابع: حال الفارغ من ذوق هذا وهذا، فهو في شأن وأولئك في شأن)[1].

(١) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء لابن القيم ص (٢٤٦).

الفصل الثاني

وفيه مبحثان:

الأول: أقسام الناس في سماع القرآن الكريم

الثاني: فتاوى مهمة في استماع القرآن الكريم

الفصل الثاني

أولاً: أقسام الناس في سماع القرآن الكريم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -:[1] (أصل السماع الذي أمر الله به هو سماع ما جاء به الرسول ﷺ سماع فقه وقبول ولهذا انقسم الناس فيه أربعة أصناف:

الأول: صنف معرض ممتنع عن سماعه.

الثاني: صنف سمع الصوت و لم يفقه المعنى.

الثالث: صنف فقه المعنى ولكنه لم يقبله.

الرابع: الذي سمعه سماع فقه وقبول.

فـ (الأول) صنف معرض ممتنع عن سماعه كالذين قال الله فيهم ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦].

(والصنف الثانى) مَنْ سمع الصوت بذلك لكن لم يفقه المعنى قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٦/ ٨-١٥) طبعة دار التقوى.

هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يونس: ٤٢ – ٤٣]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥ – ٤٧]. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧]. وقوله: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ يتناول مَنْ لم يفهم منه تفسير اللفظ كما يفهم بمجرد العربية ومَنْ فهم ذلك لكن لم يعلم نفس المراد في الخارج وهو من: (الأعيان) و(الأفعال) و (الصفات) المقصودة بالأمر و الخبر بحيث يراها ولا يعلم أنها مدلول الخطاب: مثل مَنْ يعلم وصفاً مذموماً ويكون هو متصفاً به أو بعضاً من جنسه ولا يعلم أنه داخل فيه وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢ – ٢٣]. قال ذلك بعد قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠].

فقوله: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ لم يرد به مجرد إسماع الصوت لوجهين:

(أحدهما) أن هذا السماع لابد منه و لا تقوم الحجة على المدعوين إلا به كما

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦] ، وقال: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام: ١٩] ، وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

و(**الثانى**) أنه وحده لا ينفع فإنه قد حصل لجميع الكفار الذين استمعوا القرآن و كفروا به كما تقدم، بخلاف إسماع الفقه فإن ذلك هو الذي يعطيه الله لمن فيه خير، وهذا نظير ما فى الصحيحين عن النبى ﷺأنه قال: «**من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين**» وهذه الآية والحديث يدلان على أن من لم يحصل له السماع الذى يفقه معه القول فإن الله لم يعلم فيه خيراً ولم يرد به خيراً و أن من علم الله فيه خيراً أو أراد به خيراً فلابد أن يسمعه و يفقهه إذ الحديث قد بين أن كل من يرد الله به خيراً يفقهه: فالأول مستلزم للثانى، والصيغة عامة، فمن لم يفقهه لم يكن داخلا فى العموم فلا يكون الله أراد به خيراً وقد انتفى فى حقه اللازم فينتفي الملزوم.

وكذلك قوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾. بين أن الأول شرط للثانى: شرطاً نحوياً، وهو ملزوم وسبب، فيقتضى أن كل من علم الله فيه خيراً أسمعه هذا الإسماع، فمن لم يسمعه إياه لم يكن قد علم فيه خيراً فتدبر كيف وجب هذا السماع، وهذا الفقه، وهذا حال المؤمنين، بخلاف الذين يقولون بسماع لا فقه معه، أو فقه لا سماع معه أعنى هذا السماع.

وأما قوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ فقد يشكل على كثير من الناس، لظنهم أن هذا السماع المشروط هو السماع المنفي في الجملة الأولى، الذى كان يكون لو علم فيهم خيراً، وليس فى الآية ما يقتضى ذلك، بل ظاهرها و باطنها ينافي ذلك، فإن الضمير فى قوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ عائد إلى الضميرين فى

قوله: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ وهؤلاء قد دل الكلام على أن الله لم يعلم فيهم خيراً فلم يسمعهم إذن (لو) يدل على عدم الشرط دائماً وإذا كان الله ما علم فيهم خيراً فلو أسمعهم لتولوا وهم معرضون بمنزلة اليهود الذين قالوا سمعنا و عصينا وهم (الصنف الثالث).

ودلت الآية على أنه ليس لكل مَنْ سمع و فقه يكون فيه خير بل قد يفقه ولا يعمل بعلمه فلا ينتفع به، فلا يكون فيه خيراً، ودلت أيضاً على أن إسماع التفهيم إنما يطلب لمن فيه خير، فإنه هو الذى ينتفع به، فأما مَنْ ليس ينتفع به فلا يطلب تفهيمه.

و(**الصنف الثالث**) من سمع الكلام وفقهه لكنه لم يقبله ولم يطع أمره كاليهود الذين قال الله فيهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ٧٥]. إلى قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[البقرة: ٧٨]. أي تلاوة.

فهؤلاء من الصنف الأول الذين يسمعون ويقرءون ولا يفقهون ولا يعقلون إلى قوله: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[البقرة: ٨٨]. كما قال في تلك الآية: ﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: ٤٦].

وقال في النساء: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٥ – ١٥٦]. إلى آخر القصة فأخبر بذنوبهم التي استحقوا بها ما استحقوه ومنها قولهم: ﴿قُلُوبُنَا﴾.

فعلم أنهم كاذبون في هذا القول قاصدون به الامتناع من الواجب. ولهذا قال: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ و ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فهي وإن سمعت الخطاب وفقهته لا تقبله ولا تؤمن به، لا تصديقا له ولا طاعة و إن عرفوه كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]. فـ ﴿غُلْفٌ﴾ جمع أغلف. وأما (غلف) بالتحريك فجمع غلاف، والقلب الأغلف بمنزلة الأقلف فهم ادعوا ذلك وهم كاذبون في ذلك، واللعنة: الإبعاد عن الرحمة، فلو عملوا به لرحموا، ولكن لم يعملوا به، فكانوا مغضوباً عليهم ملعونين، وهذا جزاء من عرف الحق ولم يتبعه، و فقه كلام الرسل ولم يكن موافقا له بالإقرار تصديقاً وعملاً.

والصنف الرابع الذين سمعوا سماع فقه وقبول فهذا هو السماع المأمور به كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ – ٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن

﴿ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ – ٣١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ – ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ – ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء: ٨٢ – ٨٣].

وكذلك قوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

ومثله قوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]. فالبيان يعم كل من فقهه والهدى والموعظة للمتقين.

وقوله: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠].

وقوله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١ – ٢].

وهنا لطيفة تزيل إشكالا يفهم هنا وهو أنه ليس من شرط هذا التقي المؤمن

أن يكون كان من المتقين قبل سماع القرآن فإن هذا:

أولاً: ممتنع ؛ إذ لا يكون مؤمنا متقياً مَنْ لم يسمع شيئاً من القرآن.

ثانياً: أن الشرط إنما يجب أن يقارن المشروط لا يجب أن يتقدمه تقدماً زمانياً كاستقبال القبلة فى الصلاة.

ثالثاً: أن المقصود أن يبين شيئان:

أحدهما: أن الانتفاع به بالاهتداء والاتعاظ والرحمة هو وإن كان موجباً له لكن لابد مع الفاعل من القابل، إذ الكلام لا يؤثر فيمن لا يكون قابلاً له، وإن كان من شأنه أن يهدى ويعظ ويرحم وهذا حال كل كلام.

(الثاني): أن يبين أن المهتدين بهذا هم المؤمنون المتقون، ويستدل بعدم الاهتداء به على عدم الإيمان والتقوى، كما يقال: المتعلمون لكتاب بقراط هم الأطباء، وإن لم يكونوا أطباء قبل تعلمه، بل بتعلمه وكما يقال: كتاب سيبويه كتاب عظيم المنفعة للنحاة، وإن كانوا إنما صاروا نحاة بتعلمه، وكما يقال: هذا مكان موافق للرماة والركاب).

ثانياً: فتاوى مهمة في استماع القرآن

س: هل استماع القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. **يدل على الوجوب أو الاستحباب؟**

ج - يشرع لكل مسلم عند سماع القرآن في غير الصلاة: أن ينصت له إعظاماً واحتراماً له؛ لينال رحمة الله سبحانه، ويتعظ بمواعظه ويعتبر بعبره، قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾. وأن لا يعرض عن سماعه وينشغل عنه بغيره مع القدرة على الإنصات، ويتعمد ذلك فيتصف

بصفات كفار قريش الذين قال الله عنهم في إعراضهم عن سماع القرآن ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

وأما في الصلاة فيجب على المأموم أن ينصت عند سماع إمامه يقرأ في الصلاة الجهرية وفي صلاة الجمعة والخطبة والعيدين ونحو ذلك؛ ولما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا**»، وأخرج أصحاب السنن نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه. ويستثنى من ذلك قراءة الفاتحة للمأموم في الصلاة الجهرية، وإن كان الإمام يقرأ ؛ لوجوب قراءتها على كل من الأمام والمأموم والمنفرد؛ لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»، فيخصص هذا الحديث عموم الآية والحديث السابق فيوجب الإنصات لقراءة القرآن؛ جمعاًبين الأدلة الثابتة الصحيحة، ولما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا خلف رسول الله في صلاة الفجر، فقرأ رسول الله ﷺ فثقلت عليه القراءة، فلما فرغ قال: «**لعلكم تقرؤون خلف إمامكم**» قلنا نعم. قال: «**لاتفعلوا إلا بفاتحة الكتاب، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**» رواه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود بإسناد حسن.(١)

س: ما حكم الاستماع إلى القرآن المذاع في الراديو؟

ج - الراديو آلة لا حكم لها في نفسها وإنما الحكم لما يذاع بها، وإن أذيع من الراديو قرآن أو بيان حق لشرائع الله أو مواعظ ترقق القلوب أو أخبار سياسية عادلة يعرف منها الناس أحوال العباد والبلاد ليكونوا على بينة من أمرهم ومما

(١) فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية، المجلد الثالث (ص٩٠)

يراد بهم، وليتخذوا لأنفسهم موقفاً سليماً ناجحاً ممن يواليهم ويعاديهم، أو أذيع منه أخبار تجارية يعرف منها الناس ما ينفعهم في حياتهم وفي معاشهم على غير هذا من المصالح كان السماع خيراً وقد يكون واجباً أحياناً.

وإن أذيع منه غناء ماجن فيه تخنث أو استهتار، أو أذيع منه أخبار سياسية كاذبة هوجاء سداها قلب الحقائق والتلبيس على الناس ولحمتها بهرج للتهريج وإثارة العواطف بقول الزور والإثم والبهتان إلى مثل هذا من الرذائل كان ما أذيع باطلاً لا يليق بالمسلمين السكوت عنه ولا الاستماع له، اللهم إلا أن يكون من يستمع للأخبار الكاذبة أو الآراء المغرضة والأقوال المنحرفة ممن عندهم وعي ولهم في الأمة شأن ليقوموا بكشف زائفها وبيان دخنها، وقاية للأمة من قائليها، وصيانة لمن يخشى عليه أن ينخدع بزخرفها [1]

س: ما حكم الاستماع إلى القرآن الكريم أثناء مزاولة العمل؟

ج: يجوز للإنسان أن يستمع للقرآن وهو يزاول عمله.[2]

س: هل يجوز الاشتغال بعمل آخر سواء مذاكرة أو قراءة... ويوجد في نفس المكان مسجل يقرأ القرآن؟

جـ- قال الشيخ: أبومحمد بن عبدالسلام: (الاشتغال عن السماع بالتحدث بما لا يكون أفضل من الاستماع سوء أدب على الشرع، وهو يقتضي أن لا بأس بالتحدث للمصلحة)[3].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٤/ ١٣٠) طبعة دار أولي النهى.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية، المجلد الثالث (ص٨٦)

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٥٥٨) طبعة دار الفكر.

س: ما حكم استماع القرآن الكريم على غير طهارة؟

ج - يجوز استماع القرآن على غير طهارة سواء كان الإنسان غير متوضىء أو جنباً أو كانت المرأة حائضاً أو نفساء، حيث لا نعلم دليلاً يمنع من ذلك، بل ورد من الأدلة ما يفيد عكس ذلك قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

فإذا كان المشرك يجوز له أن يسمع كلام الله؛ فمن باب أولى المسلم الموحد على أيه حال.

ومن حديث عائشة أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري وأنا حائض، ثم يقرأ القرآن [١].

وقال العلامة ابن باز ـ رحمه الله ـ: (... أما الاستماع لقراءة القرآن فلا حرج في ذلك للجنب، بل يستحب له ذلك ؛ لما فيه من الفائدة العظيمة).[٢]

س: ما حكم الاستماع إلى تلاوة النساء في مسابقات القرآن الكريم التي تقام سنوياً في بعض البلاد الإسلامية؟

ج: لا أعلم بأساً في هذا الشيء إذا كان النساء على حدة والرجال على حدة، من غير اختلاط في محل المسابقة، بل يكُنَّ على حدة، مع تسترهن وتحجبهن عن الرجال.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٦٨) من مختصر صحيح البخاري للألباني.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٩/ ٩٧)

وأما المستمع فإذا استمع للفائدة والتدبر لكلام الله فلا بأس، أما مع التلذذ بأصواتهن فلا يجوز.»[١].

س: ما هو موقف المسلم عند سماع آية من المتشابه من الكتاب العزيز؟

ج - عليه أن يقول ابتداءً كما قال الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران: ٧]، ثم يسأل أهل الذكر لقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء: ٧]، وعليه أن يحذر من الذين يتبعون هذا المتشابه لقول النبي ﷺ لعائشة - رضي الله عنها -: «**إذا رأيت الرجل يتبع المتشابه ويترك المحكم فأولئك الذين سمى الله عز وجل فاحذروهم**»[٢].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٤/ ٤٩٥). وانظر فتاوى اللجنة الدائمة (٤/ ١٢٦)

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٤٧) نقلاً عن: كتاب التسهيل لتأويل التنزيل سورة آل عمران لأبي عبدالله مصطفى العدوي. دار السنة، الطبعة الأولى.

الفصل الثالث

نماذج من استماع القرآن الكريم

وفيه ستة مباحث:

أولاً: استماع الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: استماع الملائكة.

ثالثاً: استماع النبي ﷺ.

رابعاً: استماع الكفار.

خامساً: استماع الجن.

سادساً: استماع النصارى.

الفصل الثالث

نماذج من استماع القرآن الكريم

أولاً: استماع الله سبحانه وتعالى:

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت أن يتغنى بالقرآن يجهر به»** [1].

معنى قول النبي ﷺ «ما أذن الله...».

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله -: (قوله: **«أن يتغنى»** كذا لهم، وأخرجه أبونعيم من وجه آخر عن يحيى بن بكير شيخ البخاري فيه بدون **«أن»** وزعم ابن الجوزي أن الصواب حذف **«أن»** وأن إثباتها وهم من بعض الرواة لأنهم كانوا يروون بالمعنى فربما ظن بعضهم المساواة فوقع في الخطأ لأن الحديث لو كان بلفظ **«أن»** لكان من الإذن بكسر الهمزة وسكون الذال بمعنى الإباحة والإطلاق، وليس ذلك مراداً هنا وإنما هو من الأَذَن بفتحتين وهو الاستماع وقوله: **«أذِن»** أي: استمع، والحاصل أن لفظ أَذِن بفتحة ثم كسرة في الماضي وكذا المضارع مشترك بين الإطلاق والاستماع، تقول: أذنت آذن بالمد، فإن أردت الإطلاق، فالمصدر بكسرة ثم بسكون، وإن أردت الاستماع فالمصدر بفتحتين:

---

(١) رواه البخاري (٥٠٢٣) ومسلم (١٨١٤) وأبوداود (١٤٧٣) وأما حديث «إن الله لا يأذن لشيء من أهل الأرض إلا لأذان المؤذنين والصوت الحسن بالقرآن» فهو حديث موضوع راجع ضعيف الجامع للألباني (١٦٧٢).

قال عدي بن زيد:

أيها القلب تعلل بددن إن همي في سماع وأذن

أي: في سماع واستماع....

قلت (الحافظ): ومع ذلك كله فليس ما أنكره ابن الجوزي بمنكر بل هو موجه، وقد وقع عند مسلم في رواية أخرى كذلك ووجهها عياض بأن المراد الحث على ذلك والأمر به)(١).

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –: (والأذن بمعنى الإذن الذي هو إطلاق وإباحة غلط من وجهين:

أحدهما: من اللغة، والثاني: من إحالة المعنى عن وجهه.

أما اللغة فإن الأذن مصدر قوله: أذن فلان لكلام فلان، فهو يأذن: إذا استمع له وأنصت، كما قال تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢]، بمعنى سمعت لربها وحُقَّ لها ذلك، كما قال عدي بن زيد:

.... إن همي في سماع وأذن (٢).

بمعنى، في سماع واستماع. فمعنى قوله: «**ما أذن الله لشيء**» إنما هو: ما استمع الله لشيء من كلام الناس ما استمع لنبي يتغنى بالقرآن.

وأما الإحالة في المعنى، فلأن الاستغناء بالقرآن عن الناس غير جائز وصفه بأنه مسموع ومأذون فيه انتهى كلام الطبري) (٣).

---

(١) فتح الباري (٨/ ٦٨٧) بتصرف.

(٢) وهو من أمالي ابن الشجري(٢/ ٣٦)، وديوان عدي ص(١٧٢). والددن: هو اللهو واللعب.

(٣) زاد المعاد (١/ ٤٨٨).

قال الإمام النووي - رحمه الله -: ومعنى أذن في اللغة: الاستماع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ٢][1].

هكذا يتضح من خلال عرض أقوال أهل العلم أن معنى **(ما أذن الله)** أي ما استمع الله، **ولكن ما معنى استماع الله؟**

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (أصل الأَذَن بفتحتين أن المستمع يميل بأذنه على جهة مَنْ يسمعه، وهذا المعنى في حق الله لا يراد به ظاهره، وإنما هو على سبيل التوسع على ما جرى به عرف المخاطب، والمراد به في حق الله تعالى إكرام القارئ وإجزال ثوابه، لأن ذلك ثمرة الإصغاء.

ووقع عند مسلم من طريق يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة في هذا الحديث: «**ما أذن لشيء كأذنه**» بفتحتين، ومثله عند ابن أبي داود من طريق محمد ابن أبي حفصة عن عمرو بن دينار عن أبي سلمة، وعند أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيدالله: «**لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته**»[2].

قال الإمام النووي - رحمه الله -: (معنى أذن في اللغة: الاستماع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾، قالوا: ولا يجوز أن تحمل ههنا على الاستماع بمعنى

---

(١) التبيان ص (٧٦) طبعة مكتبة ابن عباس، عون المعبود (٤/ ٢٤١).

(٢) (حديث ضعيف) رواه ابن ماجه (١٣٤٠) وأحمد (٦/ ١٩) والحاكم (١/ ٥٧٠-٥٧١) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال: بل هو منقطع. وضعفه الألباني. راجع ضعيف ابن ماجه (٣٦٣)، السلسلة الضعيفة (٢٩٥١).

الإصغاء، فإنه يستحيل على الله تعالى، بل هو مجاز[1] ومعناه الكناية عن تقريبه للقارئ وإجزال ثوابه لأن سماع الله لا يختلف فوجب تأويله...)[2].

قلنا: غفر الله لعلمائنا الأجلاء[3] فقد صرفوا اللفظ عن ظاهره فوقعوا في التأويل، وكان الأولى بهم بعد أن أثبتوا أن الأذن هو الاستماع، أن يثبتوا ما يترتب عليه، وهو أن الله - سبحانه وتعالى - يسمع حقيقة أصوات عباده، وعلى وجه الخصوص أصوات قراء القرآن، سمعاً يليق بعظمته وجلاله واقتداره، لا يشابه

---

(١) تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث لم يصرح به أحد من أئمة النحاة أهل اللغة كالخليل بن أحمد وسيبويه والكسائي والفراء وأمثالهم، وأبي عمرو بن العلاء وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي عمرو الشيباني وغيرهم، بل إن أول من تكلم منهم هو مَعْمر بن المثنى أبوعبيدة، صاحب (مجاز القرآن)، المعطل لأسماء الله الحسنى فجردها عن معانيها، فاعتقد في التعطيل ثم سن المجاز ليوهم خصومه بأنه دليل، قال شيخ الإسلام: (لا ريب أن هذا التقسيم موجود في كتب المعتزلة ومَنْ أخذ عنهم وشابههم وأكثر هؤلاء ذكروا هذا التقسيم، وأما من لم يكن كذلك فليس الأمر في حقه كذلك) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٠٤)، راجع الأدلة على فساد هذا الرأي في كتاب (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز) للشنقيطي - رحمه الله-.

(٢) عون المعبود (٤/ ٢٤١).

(٣) (موقفنا من أبي بكر الباقلاني والبيهقي وأبي الفرج بن الجوزي وأبي زكريا النووي وابن حجر وأمثالهم ممن تأول الصفات أو بعضها أو فوضوا في أصل معناها أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم، فرحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم الله عنا خير الجزاء، وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة - رضي الله عنهم - وأئمة السلف في القرون الثلاثة الذين شهد لها النبي ﷺ بالخير وأنهم أخطأوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السلف - رحمهم الله -سواء تأولوا الصفات الذاتية وصفات الأفعال أم بعض ذلك) (فتاوى اللجنة الدائمة) من فتوى رقم (٥٠٨٢).

صفات خلقه مثل سائر الصفات، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. كما صرح بذلك الحافظ المفسر العلامة ابن كثير - رحمه الله - حيث قال: (ومعناه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها وذلك أن يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم، وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم.

كما قالت عائشة - رضي الله عنها -: (سبحان الذي وسع سمعه الأصوات كلها)، ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: ٦١].

ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم.

ومنهم مَنْ فسر الأذن هنا بالأمر، والأول أولى؛ لقوله: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن**» أي يجهر به، والأذن: الاستماع؛ لدلالة السياق عليه، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١ - ٢] أي: استمعت لربها وحُقَّ لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن ههنا هو الاستماع، ولهذا جاء في الحديث رواه ابن ماجه بسند جيد[1] عن فضاله بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَينة إلى قينته**»[2]

---

(١) الحديث ضعيف، أخرجه ابن ماجه (١٣٤٠) وأحمد (٦/ ٢٠) وغيرهم راجع السلسلة الضعيفة (٢٩٥١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩) تحقيق أبي إسحق الحويني.

ثانيًا: استماع الملائكة

إن الملائكة الكرام يحبون استماع القرآن الكريم، وتحف مجالسه، وأحياناً تتنزل لاستماعه والإنصات إليه، وقد وضحت الأدلة الصحيحة هذا الأمر وبينته بياناً شافياً، فمنها:

استماع الملائكة لقرآن الفجر:

قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

والمقصود بـ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: قال مجاهد: صلاة الفجر.

أي أن القرآن الذي يتلوه الإمام في صلاة الفجر تشهده الملائكة (ملائكة الليل وملائكة النهار)؛ ولذلك كان هدي النبي ﷺ في صلاة الفجر، أنه كان يطيل القراءة فيها أكثر من غيرها من سائر الصلوات، فكان يقرأ فيها ما بين الستين إلى المائة آية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح**» يقول أبوهريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[1].

عن أُسَيْد بن حُضَير رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه

---

(١) رواه البخاري ح (٤٧١٧) باب (إن قرآن الفجر كان مشهوداً).

وأما حديث «إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته» هذا حديث منكر منقطع قاله الحافظ العراقي في تخريج إحياء علوم الدين (١/ ٣٢٨) طبعة الريان.

مربوطة عنده إذ جالت الفرس، فسكت فسكت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجْتَرَّهُ رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراه، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له: «**اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير**» قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفتُ إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثلُ الظُلَّة فيها أمثالُ المصابيح، فخرجتُ حتى لا أراها، قال: «**وتدري ما ذاك؟**» قال: لا، قال: «**تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم**»(١).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: قوله: «**اقرأ يا ابن حضير**» أي كان ينبغي أن تستمر على قراءتك، وليس أمراً له بالقراءة في حاله التحديث، وكأنه استحضر صورة الحال فصار كأنه حاضر عنده لما رأى ما رأى، فكأنه يقول: استمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة واستماعها لقراءتك، وفهم أُسَيْد ذلك فأجاب بعذره في قطع القراءة أن تطأ الفرس ولدي، ودل سياق الحديث على محافظة أسيد على خشوعه في صلاته لأنه كان يمكنه أول ما جالت الفرس أن يرفع رأسه، وكأنه كان بلغه حديث النهي عن رفع المصلي رأسه إلى السماء فلم يرفعه حتى اشتد به الخطب ؛ ويحتمل أن يكون رفع رأسه بعد انقضاء صلاته فلهذا تمادى به الحال ثلاث مرات. ووقع في رواية ابن أبي ليلى المذكورة «**اقرأ أبا عتيك**» وهي كنية أسيد. قوله: «**دنت لصوتك**» في رواية إبراهيم بن سعد «**تستمع لك**» وفي رواية ابن كعب المذكورة «**وكان أسيد حسن الصوت**» وفي رواية يحيى بن أيوب عن يزيد بن الهاد

---

(١) رواه البخاري (٥٠١٨) ومسلم والنسائي.

عند الإسماعيلي أيضاً «**اقرأ أسيد فقد أوتيت من مزامير آل داود**» وفي هذه الزيادة إشارة إلى الباعث على استماع الملائكة لقراءته.

قال الإمام النووي - رحمه الله -: وفي هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة للملائكة، كذا أطلق، وهو صحيح لكن الذي يظهر التقييد بالصالح مثلاً والحسن الصوت، **قال:** وفيه فضيلة القراءة وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة.

قلت (الحافظ ابن حجر): الحكم المذكور أعم من الدليل فالذي في الرواية إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة بصفة خاصة، ويحتمل من الخصوصية ما لم يذكر، وإلا لو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارئ.

وقد أشار في آخر الحديث بقوله: «**ما يتوارى منه**» إلى أن الملائكة لاستغراقهم في الاستماع كانوا يستمرون على عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم، وفيه منقبة لأسيد بن حضير، وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل، وفضل الخشوع في الصلاة، وأن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوت الخير الكثير فكيف لو كان بغير الأمر المباح)(١).

استماع الملائكة القرآن من ثابت بن قيس رضي الله عنه

قيل لرسول الله ﷺ: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح؟ قال: «**فلعله قرأ سورة البقرة**» قال: فسئل ثابت؟ فقال: قرأت سورة البقرة.(٢)

---

(١) فتح الباري (٨/ ٦٨٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٠) تحقيق أبي إسحق الحويني الذي قال في الهامش: (وعزاه الحافظ في الفتح(٩/ ٧٥) لأبي داود. وقال: من طريق مرسلة. وقال الحافظ ابن كثير في أول سورة البقرة: هذا إسناد جيد. إلا أن فيه إبهام. ثم هو مرسل).

استماع الملائكة القرآن من قارئه:

وبَيّنَ النبي ﷺ أن الملائكة تحف مجالس القرآن تستمع وتنصت فقال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(١).

عن علي رضي الله عنه قال: أمرنا بالسواك وقال: (**إن العبد إذا قام يصلي أتاه مَلَكٌ فقام خلفه يستمع القرآن ويدنو، فلا يزال يستمع ويدنو حتى يضع فاه على فيه، فلا يقرأ آية إلا كانت في جوف المَلَك**)(٢).

ثالثاً: استماع النبي ﷺ

لقد كان النبي ﷺ يحب استماع القرآن الكريم ويطلب من غيره أن يسمعه القرآن، ويقف أحياناً فترات طويلة ينصت ويستمع لقراءة أحد أصحابه من ذوي الأصوات الحسنة الجميلة.

استماع النبي ﷺ القرآن من ابن مسعود رضي الله عنه

فقد صح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ عليَّ القرآن**» فقلت: يارسول الله! اقرأ عليك وعليك أُنْزِل؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[النساء: ٤١]. قال: «**حسبك الآن**» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان(٣).

---

(١) رواه مسلم (٦٧٢٦) وأبوداود والترمذي وابن ماجه والنسائي في الكبرى وأحمد وغيرهم.

(٢) (صحيح لغيره) انظر السلسلة الصحيحة (١٢١٣).

(٣) رواه البخاري(١٤٥٨٢) ومسلم وأبو داود وا لترمذي وأحمد وغيرهم.

قال ابن بطال: (يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون ليتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارئ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها، وهذا بخلاف قراءته هو ﷺ على أُبَيّ بن كعب لما تقدم في المناقب وغيرها (١) فإنه أراد أن يعلمه كيفية أداء القراءة ومخارج الحروف ونحو ذلك)(٢).

وعن ابن مسعود قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو بين أبي بكر وعمر وإذا ابن مسعود يصلي وإذا هو يقرأ النساء فانتهى إلى رأس المائة فجعل ابن مسعود يدعو وهو قائم يصلي. فقال النبي ﷺ: «**اسأل تعطه، اسأل تعطه، ثم قال: مَنْ سَرَّه أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنْزِل فليقرأه بقراءة ابن أم عبد**»، فلما أصبح غدا إليه أبو بكر ﷺ ليبشره، وقال له: ما سألت الله البارحة؟ قال: قلت: اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبينا محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد. ثم جاء عمر ﷺ فقيل له: إن أبا بكر قد سبقك، قال: يرحم الله أبا بكر ما سبقته إلى خير قط إلا سبقني إليه (٣).

---

(١) عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ لأُبَيّ: «**إن الله أمرني أن اقرأ عليك** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: وسماني؟ قال: «**نعم**» فبكى. رواه البخاري (٤٩٥٩).

(٢) فتح الباري (٨/ ٧١٨).

(٣) (حديث صحيح لغيره) رواه أحمد وأخرجه أبو يعلى في مسنده والطبراني في الكبير وابن ماجة مختصراً، انظر الصحيح المسند من فضائل الصحابة لمصطفى بن العدوي ص (٢٣٤)، وقال الألباني: إسناد حسن راجع السلسلة الصحيحة (٢٣٠١).

استماع النبي ﷺ القرآن من سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه

وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: أبطأتُ على عهد الرسول ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال: «أين كنت؟» قلت: كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد. قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له ثم التفت إليَّ فقال: «**هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا**»(١).

استماع النبي ﷺ القرآن من أبي موسى رضي الله عنه

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**يا أباموسى، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»(٢).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: قوله: «**يا أبا موسى، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**» كذا وقع عنده مختصراً من طريق بُرَيد، وأخرجه مسلم من طريق طلحة بن يحيى عن أبي بردة بلفظ «**لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة...**» الحديث. وأخرجه أبويعلى من طريق سعيد بن أبي بردة عن أبيه بزيادة فيه (أن النبي ﷺ وعائشة مَرَّا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته، فقاما يستمعان لقراءته، ثم إنهما مضياً. فلما أصبح لقي أبوموسى رسول الله ﷺ فقال: «**يا أبا موسى، مررت بك**» فذكر الحديث فقال: «**أما إني لو علمت بمكانك لحبرته لك تحبيراً**».

---

(١) (إسناده صحيح ورجاله ثقات) رواه ابن ماجة وأخرجه أبونعيم في الحلية (١/ ٣٧١) والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٥- ٢٢٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (١١٠٠).

(٢) رواه البخاري (٥٠٤٨) ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم.

ولابن سعد من حديث أنس بإسناد على شرط مسلم (أن أبا موسى قام ليلة يصلي، فسمع أزواج النبي ﷺ صوته - وكان حلو الصوت - فقمن يستمعن، فلما أصبح قيل له، فقال: «**لو علمت لحبرته لهن تحبيراً**»...

قال الخطابي: قوله: «**آل داود**» يريد داود نفسه، لأنه لم ينقل أن أحداً من أولاد داود، ولا من أقاربه، كان أعطي من حسن الصوت ما أعطي)[١].

استماع النبي ﷺ القرآن من الأشعريين رضي الله عنهم

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن. حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم، بالقرآن بالليل. وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار. ومنهم حكيم إذا لقي الخيل أو لقي العدو قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم**»[٢].

استماع النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأنه جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة)[٣].

قال الحافظ ابن حجر: (أول نزول جبريل بالقرآن كان في شهر رمضان، وأن جبريل كان يعارض النبي ﷺ بالقرآن في شهر رمضان وفي ذلك حكمتان: **إحداهما**: تعاهده.

---

(١) فتح الباري (٨/ ٧١١).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري مع الفتح (١/ ٤٠) طبعة الريان رواه مسلم (٢٣٠٧).

والأخرى: تبقية ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ فكان رمضان ظرفاً لإنزاله جملةً وتفصيلاً وعرضاً وأحكاماً)[١].

وقال أيضاً: (والمعارضة: مفاعلة من الجانبين كأن كلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع)[٢].

رابعاً: استماع الكفار:

لم يكن النبي ﷺ وصحابته وحدهم الذين يستمعون القرآن، ويتأثرون به، بل العجيب أن الكفار والمشركين - بالرغم من كفرهم وشركهم- كانوا كذلك يحبون استماع القرآن، ويصغون إليه أحياناً؛ لما للقرآن من سيطرة على النفوس، وتأثير على القلوب.

استماع زعماء قريش للقرآن

روى البيهقي[٣] أن جماعة من الكفار والمشركين كانوا يتسللون في ظلام الليل ليسمعوا القرآن من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، وقد أخذ كل واحد منهم مجلسه ليستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون القرآن، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر، إذا بهم يتفرقون فيجمعهم الطريق فيتساءلون أين كنتم؟ فيقولون: كنا نسمع القرآن من محمد بن عبدالله فتلاوموا على ذلك وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا لمثل هذا، فلو رآكم بعض سفائكم لأوقعتم في نفسه

---

(١) فتح الباري (٨/ ٦٢١) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (٨/ ٦٦٠).

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٦) عن الزهري مرسلاً.

شيئاً، وتعاهدوا على عدم العودة إلى سماع القرآن مرة أخرى، وبالرغم من ذلك، تكرر منهم هذا الأمر مرتين بعد ذلك؛ لسيطرة القرآن على قلوبهم، وتأثرهم بآياته ولكن يمنعهم الكبر والحسد أن يؤمنوا برسول الله ﷺ وتمنوا أن ينزل القرآن على عظيم من العظماء من القريتين (مكة والطائف) قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١].

استماع الوليد بن المغيرة للقرآن

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أباجهل فأتاه، فقال: يا عم! إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً قال: لم؟ قال: ليعطوكه فأنت أتيت محمداً تعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر لما قال. قال: وماذا أقول، فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وأنه ليعلو ولا يعلى، وأنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال: قف عني حتى أفكر فيه. فلما فكر، قال: إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١١ - ١٧][1].

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل وقواه (٢/ ١٩٩) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٦) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجه وأقره الذهبي، وقال =

استماع نساء المشركين وأبنائهم للقرآن:

عن عروة بن الزبير؛ أن عائشة زوج النبي ﷺ؛ قالت: «**لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشياً. ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين**»[1].

استماع عتبة بن ربيعة للقرآن

عن محمد بن كعب القرظي قال: حُدِّثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً قال يوماً، وهو في نادي قريش!، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد! قم إليه، فكلمه، فقام إليه عتبة، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي! إنك منا حيث قد علمت من السطة (المنزلة الرفيعة) في العشيرة، والمكان في النسب، وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت بة جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم،وكفرت به من

= الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٣٢٣) (ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وسنده جيد). وصححه محقق سيرة ابن هشام رقم (٣٦٨) طبعة مكتبة الصحابة، **وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي**: فالحديث ضعيف والله أعلم، راجع الصحيح المسند من أسباب النزول ص (٢٢٥) طبعة مكتبة ابن تيمية الطبعة الرابعة.

(١) رواه البخاري. راجع الفتح (١/ ٤٧٦)

مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها،لعلك تقبل منها بعضها قال: فقال رسول الله ﷺ: «**قل يا أبا الوليد! أسمع**» قال: يا ابن أخي!، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً (كانوا يُسمون التابع من الجن رئياً) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «**أقد فرغت يا أبا الوليد؟**». قال: نعم، قال: «**فاسمع مني**» قال: أفعل، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [فصلت: ١ - ٤].

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبه أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما، يسمع منه، فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد(١) ثم قال: «**قد سمعت يا أبا الوليد! ما سمعت، فأنت وذاك**» فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبوالوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أباالوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا

---

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلْكُه مُلْكُكُم، وعِزُّه عِزُّكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

وفي رواية أخرى أن عتبه استمع حتى جاء الرسول ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣] فقام مذعوراً، فوضع يده على فم رسول الله ﷺ يقول: أنشدك الله والرحم! وذلك مخافة أن يقع النذير، وقام إلى القوم فقال ما قال[١].

ومن هذا المنطلق - ألا وهو تأثير القرآن على النفوس، وسيطرته علي القلوب - بدأ الكفار والمشركون يخططون لصرف الناس عن استماع القرآن، حتى لايحولهم من الكفر إلى الإيمان، ومن الظلمات إلى النور، فإذا بهم يتواصون فيما بينهم أن محمداً ﷺ ساحر، وأن قوله سحر يفرق بين الناس فلايسمعوا منه شيئًا

---

(١) (إسناده حسن) أخرجه ابن إسحق في المغازي (١/ ١٨٥) من سيرة ابن هشام بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، ووصله عبد بن حميد وأبويعلى البغوي من طريق أخرى من حديث جابر ﷺ تفسير ابن كثير (٤/ ٩٠-٩١) وسنده حسن إن شاء الله. قاله العلامة الألباني في تخريج فقه السيرة ص (١١٦).

وقال صاحب المنهج الحركي للسيرة النبوية في التعليق على حديث عتبة وموقف النبي ﷺ معه: (لقد كان رسول الله ﷺ يحترم خصمه، ويتكلم معه بأدب بالغ، وتقدير جم، ويكنيه بكنيته، وبذلك يعلمنا أدب الحوار. وأهم نقطه فيه أن يتسع صدرنا لاستماع وجهة نظر الخصم، مهما كانت وجهة النظر هذه مرفوضة أو مقبولة عندنا، سامية أو منحطة لأننا بذلك نضمن أن يستمع خصمنا لنا، ويتسع صدره لوجهة نظرنا، وما لم نملك هذه الخاصية الهامة، فلن نربح الحوار مع عدونا..).

مخافة أن يسحرهم بكلماته، وذلك حكاه القرآن عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

وأخذ الكفار يشيعون هذا الخبر في القبائل المجاورة، بل وفي الوفود التي تفد إلى مكة في مواسم الحج.

استماع الطفيل بن عمرو الدوسي للقرآن:

وتحكى لنا كتب السيرة قصة رجل من اليمن من قبيلة دوس قدم مكة عام (١١) من النبوة ألا وهو الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ فاستقبله أهل مكة قبل وصوله إليها، وبذلو له أجل تحية وأكرم تقدير، وقالوا له: يا طفيل!، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرّق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئاً.

يقول الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسفًا (قطناً)؛ فرقًا من أن يبلغني شيئ من قوله، قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا هو قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريباً منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي، واثكل أمي، والله إني رجل لبيب شاعر ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإذا كان حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً رددته، فمكثت حتى انصرف إلى بيته، فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فعرضت عليه قصة مقدمي، وتخويف الناس إياي، وسد الأذن بالكُرْسف، ثم سماع بعض كلامه، وقلت

له: اعرض عليَّ أمرك، فعرض عليَّ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن، فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه،فأسلمت وشهدت شهادة الحق[١].

استماع جبير بن مطعم للقرآن:

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: (سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه).

وفي رواية: فلما وصل قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]. كاد قلبي أن يطير[٢].

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله –: (وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركاً على دين قومه وإنما كان قدم في فداء الأسارى بعد بدر، وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصر على الكفر فكان هذا سبب هدايته: ولهذا كان أحسن القراءات ما كان بخشوع القلب)[٣].

---

(١) (خبر ضعيف) أورده ابن كثير في البداية نقلاً عن ابن إسحاق بغير سند وقال ابن كثير: هكذا ذكر ابن إسحق قصة الطفيل مرسلة بلا إسناد، وقال ابن حجر في الإصابة: ذكرها ابن إسحق في سائر النسخ بلا إسناد...راجع تخريجها كاملاً في سيرة ابن هشام تحقيق مجدي فتحي السيد رقم (٣٧١) طبعة دار الصحابة. طنطا.

وإنما ذكرناها هنا للدلالة والتنبيه على ضعفها، وذلك لاشتهارها بين الخطباء والوعاظ، وكذلك قصة إسلام عمر بن الخطاب المشهورة في قراءته لسورة طه بعدما اغتسل في بيت أخته فاطمة... فهي قصة ضعيفة ومتنها منكر جداً، راجع تخريجها في كتاب السيرة النبوية الصحيحة د/ أكرم ضياء العمري (١/ ١٨٠) طبعة. مكتبة العلوم والحكم.

(٢) متفق عليه: البخاري (٢/ ٢٤٧)، مسلم (٤٦٣).

(٣) فضائل القرآن لابن كثير ص (١٧٥).

حادثة سجود المشركين عند استماع القرآن

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس) [١].

لم تكن علة سجود المشركين مع الرسول ﷺ تلك المقالة التي يقولون أن الشيطان ألقاها على لسان رسول الله وهو يتلو القرآن (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) (والغرانيق): الطير البيض المعروفة، واحدها: غرنوق، ويزعمون أن الأصنام ترتفع إلى الله كالطير البيض فتشفع عنده لعابديها، قبحهم الله ما أكفرهم، ومسألة الغرانيق مع استحالتها شرعاً، ودلالة القرآن على بطلانها لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج، وصرح بعدم ثبوتها خلق كثير من علماء الحديث كما هو الصواب. قال ابن كثير: إنه لم يرها مسندة من وجه صحيح. وقال الشوكاني: لم يصح شيء من هذا، ولا يثبت بوجه من الوجوه، وعن البزار أنها لا تروى بإسناد متصل، وعن البيهقي أنه قال: هي غير ثابتة من جهة النقل، وقال ابن خريمة هذه القصة من وضع الزنادقة)[٢].

سبحان الله العظيم! لم يتمالك المشركون أنفسهم عندما تلا النبي ﷺ على مسامعهم سورة النجم كاملة إلا أن يخروا سجداً لله رب العالمين ؛ وذلك لبلاغة القرآن وتأثيره على نفوسهم.

فما بال المنتسبين إلى هذا الدين يسمعون القرآن ولا يحرك فيهم ساكنا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٦٢).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٥/ ٢٨٦-٢٨٨) وراجع كتاب العلامة الألباني (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق).

خامساً: استماع الجن:

لقد وردت الأدلة من القرآن والسنة الصحيحة على أن الجن يستمعون القرآن، بل ويتأثرون بسماعه، وبوعده ووعيده، حتى يدفعهم إلى الدعوة للقرآن والإيمان برسول الله ﷺ.

استماع الجن للقرآن:

قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ – ٢].

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله –: (يقول الله تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن، فآمنوا به، وصدقوه وانقادوا له)[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ – ٣٢].

قال سيد قطب – رحمه الله –: (قصة النفر من الجن الذين استمعوا لهذا القرآن، فتنادوا بالإنصات، واطمأنت قلوبهم إلى الإيمان، وانصرفوا إلى قومهم منذرين يدعونهم إلى الله ويبشرونهم بالغفران والنجاة، ويحذرونهم الإعراض

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٨) طبعة المكتبة القيمة.

والضلال. سياقة الخبر في هذا المجال، بهذه الصورة، وتصوير مس القرآن لقلوب الجن هذا المس الذي يتمثل في قولهم: ﴿أَنصِتُواْ﴾ عندما طرق أسماعهم، يتمثل فيما حكوه لقومهم عنه، وفيما دعوهم إليه. كل هذا من شأنه أن يحرك قلوب البشر، الذي جاء القرآن لهم في الأصل وهو إيقاع مؤثر ولا شك، يلفت هذه القلوب لفتة عنيفة عميقة)(١).

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ (٢)، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلتْ عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم، قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو والله الذي حال بينكم وبين

(١) تفسير في ظلال القرآن (٦/ ٣٢٦٩) طبعة دار الشروق.

(٢) سوق عكاظ: هو موسم معروف للعرب، بل كان أعظم مواسمهم، وهو نخل في واد بين مكة والطائف وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال، وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن.

قال البكري: أول ما أحدثت قبل الفيل بخمس عشرة سنة، ولم تزل سوقاً إلى سنة تسع وعشرين ومائة، فخرج الخوارج الحرورية فنهبوها فتركت إلى الآن، وكانوا يقيمون به جميع شوال يتبايعون ويتفاخرون وتنشد الشعراء ما تجدد لهم، وقد كثر ذلك في أشعارهم لقول حسان:

سأنشر إن رضيت لكم كلاماً ينشر في المجامع من عكاظ.

راجع فتح الباري (٨/ ٥٣٩).

خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ – ٢].

فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن)[1].

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: (وفي الحديث إثبات وجود الشياطين والجن وأنهما لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان. وفيه أن الصلاة في الجماعة شرعت قبل الهجرة. وفيه مشروعيتها في السفر. والجهر بالقراءة في صلاة الصبح، وأن الاعتبار بما قضى الله للعبد من حسن الخاتمة لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ، لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك فغلب عليهم ما قضى لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون)[2].

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – بعدما أورد الطرق والروايات التي تفيد استماع الجن للقرآن:

(فهذه الطرق كلها تدل على أنه ﷺ ذهب إلى الجن قصداً فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله – عز وجل – وشرع الله تعالى لهم على لسانه ماهم محتاجون إليه في ذلك الوقت وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم كما قال

---

(١) متفق عليه، راجع اللؤلؤ والمرجان ص (٩٣) ح (٢٥٩).

(٢) فتح الباري (٨/ ٥٤٣).

ابن عباس - رضي الله عنهما - (ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم)، ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود ﷺ وأما ابن مسعود ﷺ فإنه لم يكن مع النبي ﷺ حال مخاطبته الجن ودعائه إياهم وإنما كان بعيداً منه ولم يخرج مع النبي ﷺ أحد سواه ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة، هذه طريقة البيهقي، وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه ﷺ ابن مسعود ﷺ ولا غيره كما هو ظاهر سياق الرواية الأولى من طريق الإمام أحمد وهي عند مسلم، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى والله أعلم)[١].

سجود الجن عند استماع القرآن:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - (أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس)[٢].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: قوله (والجن) كأن ابن عباس استند في ذلك إلى إخبار النبي ﷺ إما مشافهة له، وإما بواسطة، لأنه لم يحضر القصة لصغره، وأيضاً فهو من الأمور التي لا يطلع الإنسان عليها إلا بتوقيف، وتجويز أنه كشف له عن ذلك بعيد لأنه لم يحضرها قطعاً)[٣].

استماع الجن لسورة الرحمن:

عن جابر ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «**لقد قرأتها على الجن ليلة فكانوا**

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٦) طبعة المكتبة القيمة.
(٢) فتح الباري (٨/ ٤٨٠).
(٣) فتح الباري (٢/ ٦٤٥).

أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قالوا: «ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد»[١].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - موضحاً حكمة اختيار سورة الرحمن لقراءتها على الجن: (وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين (الإنس والجن) وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم وهي سورة الرحمن) [٢].

وقال أيضاً في موضع آخر في معرض حديثه عن مؤمن الجن هل يدخل الجنة أم لا؟

(الصحيح أن مؤمني الجن كمؤمني الإ نس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف، لقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦ – ٤٧].

فقد امتن الله تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس فقالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد، فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم، وأيضاً فإنه إذا كان يجازي كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازى مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأحرى) [٣].

(١) (حديث حسن) رواه الترمذي (٣٥٢٢) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٤)، وفي السلسلة الصحيحة (٢١٥٠)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٧٠)

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ١٧١) بتصرف يسير جداً.

سادساً: استماع النصاري

لقد أخبرنا القرآن أن النصاري استمعوا له، وتأثروا به، مما دفعهم إلى الإيمان بالرسول ﷺ والدخول في الإسلام، بعدما فاضت أعينهم بالدمع مما عرفوا من الحق.

تأثر النصارى عند استماع القرآن:

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٢ – ٨٥] (١).

لقد ضرب أولئك القوم المثل الصالح، والقدوة الحسنة، عند استماع القرآن، فلو نظرت إليهم لوجدتهم:

---

(١) يستدل كثير من دعاة (التنوير) بهذه الآية على أن النصارى أقرب الناس مودة للمسلمين، وهذا استدلال باطل يغني بطلانه عن إبطاله، وإنما مثلهم كمن قرأ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ و ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ واستدل بذلك على ترك الصلاة!!
ولكن نقول بإكمال الآيات يتضح المعنى المراد ويزول اللبس والغموض، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، وكذلك في الآيات التي معنا بإكمالها يتضح أن هؤلاء النصاري دفعهم الاستماع للقرآن إلى الإيمان ولذا قالوا ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[المائدة: ٨٣].

١- أهل التواضع وعدم الكبر.

٢- التدبر لما يسمع.

٣- البكاء والخشية عند استماع القرآن.

٤- الاستجابة السريعة، وذلك يتضح في سرعة إيمانهم بالله

٥- الدعاء الصالح بعد العمل الصالح.

٦- مراقبة الله في السر والعلن، ولذا وصفهم الله بالمحسنين

٧- جزاؤهم يوم القيامة جنات تجري من تحتها الأنهار.

استماع النجاشي وأساقفته للقرآن الكريم:

وهذه قصة أخرى في استماع النصارى للقرآن، وتأثرهم به، ترويها لنا أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - وذلك عندما هاجر المسلمون بدينهم إلى الحبشة فراراً من أذى الكفار والمشركين، ولكنه عز على المشركين أن يجد المهاجرون مأمناً لأنفسهم ودينهم، فاختاروا رجلين جلدين لبيبين، وهما: عمرو ابن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة - قبل أن يُسْلِمَا - وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشي ولبطارقته، وبعد أن ساق الرجلان تلك الهدايا إلى البطارقة، وزوداهم بالحجج التي يطرد بها أولئك المسلمون، وبعد أن اتفقت البطارقة أن يشيروا على النجاشي بإقصائهم، حضرا إلى النجاشي، وقدما له الهدايا ثم كلماه، فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه.

وقالت البطارقة: صدقا أيها الملك، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم ولكن رأى النجاشي أنه لابد من تمحيص القضية، وسماع أطرافها جميعاً، فأرسل إلى المسلمين، ودعاهم، فحضروا، وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائناً ما كان، فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلو ا به في ديني أو دين أحد من هذه الملل؟

قال جعفر بن أبي طالب: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، نأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ماجاء من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على مَنْ سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال جعفر: نعم: فقال النجاشي: فاقرأه عليَّ. فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) فبكى والله النجاشي

حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعو ما تلا عليهم، ثم **قال النجاشي**: (إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا - يخاطب عمرو وعبدالله - فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون، فخرجا...)[1].

(١) (سنده صحيح) أخرجها ابن إسحق في المغازي (١/ ٢١١-٢١٣) من ابن هشام وأحمد برقم (١٧٤٠) من طريق ابن إسحق بسند صحيح، من حديث أم سلمة – رضي الله عنها – قاله الألباني في تخريج فقه السيرة ص (١٥٤)، وقال الأرناؤوط: وهذا سنده صحيح، في تخريج زاد المعاد (٣/ ٢٩).

الفصل الرابع

صور من هجر استماع القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

أولاً: الصياح والغشي عند استماع القرآن.

ثانياً: شرب الدخان في مجلس القرآن.

ثالثاً: استماع الغناء.

الفصل الرابع

صور من هجر استماع القرآن الكريم

أولاً: الصياح والغشي عند استماع القرآن

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله - في كتابه الأمر بالاتباع والنهي عن الإبتداع:

(ومن ذلك البدع): الصياح والتغشي عند سماع القرآن والوعظ. وقد صح من حديث العرباض بن سارية ﷺ قال: «**وعظنا رسول الله ﷺ موعظة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون**»[1]. ولم يقل صرخنا ولا غشينا، كما يفعله الجاهلون أهل البدع)

قال محقق الكتاب: (قال سعيد بن عبدالرحمن الجمحي: مر ابن عمر برجل من أهل القرآن ساقط، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قرىء عليه القرآن، وسمع ذكر الله، سقط. فقال ابن عمر: إنا لنخشى الله، وما نسقط. ثم قال: إن الشيطان ليدخل في جوف أحدهم. ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ.

وقال عمر بن عبد العزيز: ذُكِرَ عند ابن سيرين الذين يُصْرَعون، إذا قرىء عليهم القرآن، فقال: بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت، باسطاً رجليه، ثم يُقْرَأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه، فهو صادق.

---

(١) (حديث صحيح): روه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم (٢٤٥٥).

وأحوال الصحابه ومن تبعهم بإحسان: الخوف والوجل عند ذكر الله، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، كأنهم بين يديه.

فهذ وصف حالهم، وحكاية مقالهم، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم، ولا على طريقتهم، فمن كان مستناً، فليستن، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون، فهو من أخسهم حالاً، والجنون فنون) (١).

ثانياً: شرب الدخان في مجلس القرآن:

(ومن العادات السيئة التي انتشرت بين الناس بلا نكير شرب الدخان في مجلس القرآن، على الرغم من أن المقام مقام عبادة لله تعالى بسماع كلامه، والتدبر في معانيه، ومقام تعلم وتفهم لأوامره ونواهيه، فكيف يعرض فيه العبد عن سيده، ويتشاغل عنه بشهوته؟!

وينبغي أن يجتنب اللهو وشرب الدخان حال سماع القرآن من المذياع كما يجتنب ذلك حال سماعه من القارىء في المجلس، إذ لا فرق عندنا بين الحالين. فالمتلو فيهما قرآن، والمجلس مجلس سماعه وموطن عبادة لله. واللهو والشرب للدخان ملهاة عنها، وإعراض إلى مافيه حظ النفس وشهوتها) (٢).

---

(١) الأمر بالاتباع والنهي عن الإبتداع للسيوطي ص (٢٧٤) تحقيق مشهور حسن آل سلمان، دار ابن القيم.

(٢) القرآن آداب تلاوته وسماعه لحسنين محمد مخلوف ص(١٩-٢٠) بتصرف.

ثالثاً: الاستماع إلى الغناء

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (وقد تواتر عن الشافعي أنه قال: (خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة، يسمونه التغبير [١] يصدون به الناس عن القرآن).

فإذا كان هذا قوله في التغبير، وتعليله أنه يصد عن القرآن - فليت شعري - ما يقول في سماع التغبير عنده كتفلة في بحر. قد اشتمل على كل مفسدة وجمع كل محرم[٢].

قال الإمام المناوي: يا لها من صفقة في غاية الخسران حيث باع سماع الخطاب من الرحمن بسماع المعازف والألحان، والجلوس على منابر الدر والياقوت بالجلوس في مجالس الفسوق.

قال الإمام ابن القيم: فمن خواصه - أي الغناء - أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبداً. لما بينهما من التضاد.

فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة، ومجانبة شهوات النفوس، وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان والغناء يأمر بضد ذلك كله.[٣]

---

(١) التغبير: شعر في الزهد يغني به مغن أو ينشد به منشد، فيضرب بعض الحاضرين بعضاً أو نحوها على مخدة ونحوها على توقيع غنائه.
ومن ذلك الأشرطة الكثيرة التي انتشرت، فيها الأناشيد مصحوبة بالدف وغيره، ويسمونها أناشيد إسلامية، وللأسف فإن بعضها قد اشتمل على أخطاء عقائدية وألفاظ غير شرعية، وقد صدت الناس عن سماع القرآن. فإنا لله وإنا إليه راجعون. راجع كتاب القول المفيد في بيان حكم الأناشيد للأخ عصام بن عبدالمنعم المري. طبعة مكتبة الفرقان – الإمارات.

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٧٧) طبعة المكتبة القيمة.

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٣) طبعة المكتبة القيمة.

أدلة تحريم سماع الغناء

١ - قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [لقمان: ٦].

قال ابن مسعود: (واللهو هنا الغناء)، وكذلك قال عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة وإبراهيم.

٢- قال تعالى: ﴿ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴾ [النجم: ٦١]، قال ابن عباس: هو الغناء، وكذلك قال مجاهد، يقول أهل اليمن: سمد فلان إذا غنى.

٣- قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قال مجاهد: هو الغناء والمزامير.

٤- قال ﷺ: «**ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر (الفرج) والحرير والخمر والمعازف**»(١)، والمعازف هي آلات اللهو كلها، لا خلاف بين أهل اللغة في ذلك.

٥- قال ﷺ: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم قردة وخنازير**»(٢).

وقد توعد مستحلي المعازف فيه بأن يخسف الله بهم الأرض، ويمسخهم قردة وخنازير.

٦- **قال ابن مسعود:** الغناء ينبت النفاق في القلب، كما ينبت الماء البقل، وقال الفضيل بن عياض: الغناء رقية الزنا، وقال الضحاك: الغناء مفسدة للقلب، مسخطة للرب.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٦٨).

(٢) رواه أبوداود (٣٦٨٩)، ورواه ابن ماجه عن أبي مالك الأشعري (٤٠٢٠) واللفظ له.

٧- **قال الحافظ السيوطي - رحمه الله -**: ومن ذلك ما أحدث من السماع والرقص والوجد، وفاعل ذلك ساقط المرءوة، عاص لله ولرسوله، وهو محظور.

وبعد فقد عرفت - أخي الحبيب - حكم استماع الغناء وأنه يجلب سخط الرحمن، فهل ترضى لنفسك بعد ذلك أن تكون من أصحاب الصفقات الخاسرة، فينبغي للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه ويحذرهم مكائد الشيطان، ولولا خوف الإطالة، لاستقصينا ماورد في ذلك، ولكن العاقل الفطن الموفق، من قبل نصح الناصح بأخصر عبارة عرف الحق، واتبعه بأدنى إشارة.

الباب الثالث

هجر تدبر القرآن

الفصل الأول: تدبر القرآن

(معناه - حكمه - فوائده).

الفصل الثاني: أسباب هجر تدبر القرآن وكيف أتدبر القرآن؟

الفصل الثالث: التدبر في القرآن والسنة وسير السلف الصالح.

الفصل الأول

تدبر القرآن الكريم

فيه ثلاثة مباحث:

أولاً: معنى التدبر.

ثانياً: حكم تدبر القرآن.

ثالثاً: فوائد تدبر القرآن وثمراته.

الفصل الأول

تدبر القرآن الكريم

أولاً: معنى التدبر

التدبر لغةً: كلمة التدبر في اللغة: مصدر فعله الماضي (تَدَبَّر) وهو فعل مزيد اشتق من الفعل الماضي (دَبَر)، ومضارعه (يَدْبُر)، والمصدر (دَبْراً، ودُبُوراً)[1].

(الدُّبر) و (الدُّبُر) مخففاً ومثقلاً.

و(التدبير) في الأمر: النظر إلى ما تؤول إليه عاقبته.[2]

و(تدبر الأمر): رأى في عاقبته ما لم ير في صدره، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨] ، أي: ألم يتفهموا ما خوطبوا به في القرآن[3].

تدبر القرآن اصطلاحاً:

قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله -: (وهو - أي تدبر القرآن -: التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك)[4].

---

(١) دعوة لتدبر القرآن الكريم كيف ولماذا؟ مختار شاكر كمال ص (٧٨).

(٢) مختار الصحاح الإمام الرازي ص (١٩٧-١٩٨) بتصرف، المطبعة الأميرية بالقاهرة.

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي (٢/ ٨٤) طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي (٢/ ١١٢) تحقيق محمد زهري النجار، طبعة الرئاسة العامة للدعوة والإرشاد.

ثانياً: حكم التدبر

إن تدبر القرآن الكريم من أجل الطاعات، وأفضل القربات، وأسمى العبادات؛ لأنه من خلاله يفهم الإنسان مراد الله - سبحانه وتعالى -؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

قال العلامة السعدي - رحمه الله -: (أي هذه الحكمة من إنزاله ؛ ليتدبر الناس آياته فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحكمها... وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة القراءة التي لا تحصل هذا المقصود)(١).

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (وفي هذا دليل على وجوب معرفة معاني القرآن، ودليل على أن الترتيل أفضل من الهذ(٢)، إذ لا يصح التدبر مع الهذ، قال الحسن: تدبر آيات الله اتباعها)(٣).

قال الإمام الزركشي - رحمه الله -: (كراهة قراءة القرآن بلا تدبر).

تكره قراءة القرآن بلا تدبر، وعليه حُمِل حديث عبدالله بن عمرو: «**لا يفقه مَنْ قرأ القرآن في أقل من ثلاث**» (٤).

وقول ابن مسعود لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن في ليلة: أهذاً كهذ الشعر(٥).

وكذلك قوله ﷺ في صفة الخوارج: «**يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم**

---

(١) تفسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي (٦/ ٤١٨).

(٢) الهذ: سرعة القراءة بدون تأمل.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٥/ ١٩٢) المجلد الثامن، طبعة مناهل العرفان.

(٤) (حديث صحيح) رواه أبوداود وأحمد والترمذي وابن ماجه، انظر صحيح الجامع (٧٧٤٣).

(٥) رواه البخاري (٥٠٤٣).

ولا حناجرهم»[١] ذمهم بإحكام لفظه، وترك التفهم لمعانيه)[٢].

قارئ القرآن الجاهل بمعانيه مأجور

س: أداوم على قراءة القرآن لكنني لا أفهم معانيه.. فهل أثاب من الله على ذلك؟

ج: **قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين** - رحمه الله -: (القرآن الكريم مبارك كما قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. فالإنسان مأجور على قراءته سواءً أفهم معناه أم لم يفهم ... لكن لا ينبغي للمؤمن أن يقرأ قرآناً مكلفاً بالعمل به دون أن يفهم معناه، فالإنسان لو أراد أن يتعلم الطب مثلاً ودرس كتب الطب فإنه لا يمكن أن يستفيد منها حتى يفهم معناها وتُشرح له، بل هو يحرص كل الحرص على أن يفهم معناها من أجل أن يطبقها، فما بالك بكتاب الله - سبحانه وتعالى - الذي هو شفاء لما في الصدور وموعظة للناس أن يقرأه الإنسان بدون تدبر وبدون فهم لمعناه ... ولهذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، فالإنسان مثاب ومأجور على قراءة القرآن سواء أفهم معناه أم لم يفهم، ولكن ينبغي له أن يحرص كل الحرص على فهم معناه، وأن يتلقى هذا المعنى من العلماء الموثوقين، مثل: تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، وغيرهما...)[٣].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - انظر فتح الباري (١٢/ ٢٩٥)، صحيح الجامع (٨٠٥٣).

(٢) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي (١/ ٥٣٨) طبعة دار الفكر.

(٣) فتاوى المرأة جمع وترتيب محمد المسند ص (٢٢٥-٢٢٦).

ثالثاً: فوائد تدبر القرآن وثمراته:

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – في فوائد تدبر القرآن الكريم: (فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه على التخفف من عناء اليوم الثقيل، وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل، وتبعثه على الازدياد من النعم بشكر ربه الجليل، وتبصره بحدود الحلال والحرام وتوقفه عليها لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل، وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل، وتسهل عليه الأمور الصعاب، والعقبات الشاقة غاية التسهيل، وتنادي عليه كلما فترت عزماته، وونى في سيره: تقدم الركب وفاتك الدليل. فاللحاق اللحاق، والرحيل الرحيل، وتحدو به، وتسير أمامه سير الدليل. وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو أو قاطع من قطاع الطريق نادته: الحذر الحذر، فاعتصم بالله، واستعن به، وقل حسبي الله ونعم الوكيل. وفي تأمل القرآن وتدبره، وتفهمه أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد).(1)

قال العلامة السعدي – رحمه الله –: (فإن في تدبر القرآن:

١- مفتاحاً للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير، وتستخرج منه جميع العلوم.

٢- وبه يزداد الإيمان في القلب، وترسخ شجرته.

٣- فإنه يُعَرِّفُ بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال، وما يتنزه عنه من سمات النقص.

---

(١) للمزيد من الفائدة انظر مدارج السالكين (١/ ٤٥١).

٤- وبه يُعْرَفُ الطريق الموصلة إليه، وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه.

٥- وبه يُعْرَفُ العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

٦ - وكلما ازداد العبد تأملاً في القرآن ازداد علماً، وعملاً، وبصيرة.

ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه يصل به العبد إلى درجة اليقين، والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً، فترى الحكم والقصة والأخبار تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً؛ وبذلك يُعْلَمُ كمال القرآن، وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور. فذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء: ٨٢]. أي: فلما كان من عند الله؛ لم يكن فيه اختلاف أصلاً)[1].

قال سيد قطب – رحمه الله –: (تدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير)[2].

ومن فوائد تدبر القرآن:

- معرفة الرب – عز وجل – ومعرفة عظيم سلطانه وقدرته والتلذذ بالنظر إليه يوم القيامة.
- تحقيق العبودية لله – تعالى –.

---

(١) تفسير الكريم المنان للشيخ السعدي (٢/ ١١٢-١١٣) بتصرف.

(٢) في ظلال القرآن سيد قطب (٦/ ٣٢٩٧) طبعة دار الشروق.

- فيه تربية للعقول.
- فيه شفاء لما في الصدور.
- الأجر الكثير والربح الوفير.
- الهداية والتوفيق والنور، والراحة والطمأنينة.
- ذكر الله للمتدبر، وغشيان الملائكة، ونزول السكينة والرحمة.
- حصن من الشيطان)[1].

فهذه بعض فوائد تدبر القرآن الكريم، وثمراته الزكية، فأين أنت منها؟

(فسبحان الله! ماذا حُرم المعرضون عن نصوص الوحي، واقتباس العلم من مشكاته من كنوز الذخائر؟! وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر؟! قنعوا بأقوال استنبطتها معاول الآراء فِكْراً، وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زُبَراً، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً؛ فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجوراً).[2]

(١) انظر كيف نتدبر القرآن تأليف فواز أحمد زمرلي (٨٢-٩٠) طبعة دار البشائر الإسلامية.

(2) مدارج السالكين (١/ ٥)

الفصل الثاني

هجر تدبر القرآن

وفيه مبحثان:

أولاً: أسباب هجر تدبر القرآن.

ثانياً: كيف نتدبر القرآن الكريم؟

الفصل الثاني

هجر تدبر القرآن الكريم

أولاً: أسباب هجر تدبر القرآن الكريم

قل مَنْ يقرأ القرآن، وقل مِنْ هؤلاء القارئين مَنْ يتدبر القرآن، ويقف مع وعده ووعيده؛ حتى تتحقق له الدعوة إلى الطاعة، والزجر عن المعصية، فإذ بالقرآن - الذي لو أنزله الله على الجبال الرواسي الشامخات لتصدعت من خشية الله - إذا به يُقرأ، وآيات الوعد والوعيد تسمع، ولكن قلوب قاسية، وأبدان جامدة، وأعين متحجرة، فلا قلب يخشع، ولا بدن يخضع، ولا عين تدمع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: **(مَنْ لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومَنْ قرأ القرآن ولم يتدبره فقد هجره، ومَنْ تدبر القرآن ولم يعمل به فقد هجره)**[1].

وترجع (ظاهرة) هجر تدبر القرآن إلى أسباب كثيرة منها:

١ - الذنوب والمعاصي.

٢ - ترك الدعاء.

٣ - الجهل باللغة العربية.

٤ - التخلي عن موانع الفهم.

٥ - هجر كتب التفسير.

---

(١) كتاب ففروا إلى الله للشيخ أبي ذر القلموني ص (١٨٧) طبعة دار المنار.

وإليك بيان هذه الأسباب بشيء من التفصيل:

أولاً: الذنوب والمعاصي:

من عقوبات الذنوب والمعاصي أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضاً معلولاً لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤]. قال العلماء: هو الذنب بعد الذنب حتى يطبع على قلب صاحبها فيكون من الغافلين، ويحرم من العلم؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. فينبغي لمن أراد أن يتدبر القرآن أن يبتعد عن الذنوب والمعاصي (وبخاصة التي تتعلق بأدوات ووسائل التدبر: القلب والسمع واللسان والبصر). فاستخدام هذه الأدوات في الحرام يعرضها لعدم الانتفاع بها في الحق قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الأنعام: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [فصلت: ٥].

فذكر الله غطاء القلب وهو الأكنة، وغطاء الأذن وهو الوقر، وغطاء العين وهو الحجاب، فالحجاب يمنع من رؤية الحق، والأكنة تمنعه من فهمه، والوقر يمنعه من سماعه)[١].

لما جلس الإمام الشافعي - رحمه الله - بين يدي الإمام مالك - رحمه الله -، وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه؛ فقال له: (إن الله - تعالى - قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بظلمة المعصية).

(١) شفاء العليل ص (٩٣)، والتفسير القيم ص (٣٤٧).

ومما ورد عن الشافعي - رحمه الله - قوله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاص

ومما سبق يتضح أن الذنوب والمعاصي من أعظم الأسباب التي تحول بين العبد وتدبر القرآن الكريم [1].

ثانياً: ترك الدعاء:

إن الدعاء سلاح المؤمن في جميع أموره، ولذلك فإن سير الأنبياء والصالحين مليئة بالأدعية الصالحة المستجابة، وكان السلف الصالح إذا استعصى عليهم فهم آية من كتاب الله وتدبرها، لجأوا إلى الله بالتضرع والدعاء مع تخير الأوقات المناسبة للإجابة، وسنذكر بعضاً من سيرهم في ذلك:

يذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في سياق هجرة عمر بن الخطاب مع عياش ابن ربيعة وهشام بن العاص - رضي الله عنهم - (ولقد حبس الكفار هشاماً عن الهجرة، واستطاع أبوجهل أن يرد عياشاً إلى مكة بعد حيلة ماكرة وخطة غادرة... وقد كان شائعاً بين المسلمين أن الله لا يقبل ممن افتتن توبة، وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، وأنزل الله ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٥]. قال عمر: وكتبتها وبعثت بها إلى

---

(1) انظر لمزيد من الفائدة كتاب الداء والدواء للإمام ابن القيم -رحمه الله-.

هشام بن العاص. قال هشام: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها وأصوب، ولا أفهمها؛ حتى قلت: اللهم فهمنيها؛ فألقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا، قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة)(١).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول في دعائه دائماً: (اللهم يا معلم آدم وإبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني) فيجد الفتح في ذلك(٢).

فالزم - أخي الحبيب - الدعاء دائماً، وسل الله من فضله أن يرزقك فهم كتابه، وتدبر معانيه، وقل: «**اللهم إني عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي**»(٣).

ثالثاً: الجهل باللغة العربية:

إن الله تعالى أنزل القرآن الكريم بلغة العرب قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات،

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٣/ ١٣٦-١٣٧) بتصرف، طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٣٨).

(٣) (حديث صحيح) أخرجه أحمد وابن حبان من حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً، انظر السلسلة الصحيحة (١٩٩).

وأبينها، وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس ؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات)[١].

وبَيَّنَ اللهُ - تعالى - الحكمة من إنزاله بلغة العرب فقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]. ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٨]. ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣].

وإذا كان العبد لا يعرف لغة العرب ولا أساليب كلامهم ؛ فأنى له أن يفهم مقصود ربه - سبحانه وتعالى - أو يتدبر آيات القرآن الكريم)[٢].

ذكر الإمام القرطبي - رحمه الله -: (أن أعرابياً قدم المدينة فقال: مَنْ يقرئني مما أُنزِلَ على محمد ﷺ؟ فأقرأه رجل سورة براءة حتى أتى على الآية الكريمة: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة: ٣]. فقرأها عليه بالجر ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ - أي بالكسرة تحت اللام -، فقال الأعرابي: وأنا أيضاً أبرأ من رسوله، فاستعظم الناس الأمر. وبلغ ذلك عمر فدعاه، فقال: يا أعرابي! أتبرأ من رسول الله ﷺ؟! فقال: يا أمير المؤمنين! قدمت المدينة فأقرأني رجل سورة براءة، فقلت: إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه. فقال عمر: ما هكذا الآية يا أعرابي!. قال: فكيف يا أمير المؤمنين؟ فقرأها عمر عليه بالضم ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾. فقال الأعرابي: وأنا أبرأ مما برئ اللهُ ورسولُه منه. فأمر عمر ألا يُقْرِئُ الناس إلا عالمٌ بلغة العرب)[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٧) طبعة دار الفكر.

(٢) كيف يحفظ القرآن لإبراهيم الشربيني ص (٨١-٨٢).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ٢١).

كيف يفهم المسلم كتاب ربه، ويتدبره وهو لا يعرف قواعد اللغة العربية، ولا يميز بين الاسم والفعل والحرف، ولا الفاعل من المفعول، وغيرها مما يتوقف عليه فهم الخطاب، فمثلاً كيف يفهم قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. أو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

رابعاً: عدم التخلي عن موانع الفهم

وموانع الفهم كثيرة منها:

١- أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وعدم التفكر في معاني كلام الله - عز وجل -، بحيث يحرص كل الحرص على ترديد الحرف وتكراره وذلك لأن الشيطان يخيل إليه أنه لم يخرج الحرف من مخرجه، ولم يعطه حقه في النطق.

٢- أن يكون المسلم مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه، وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة، فهذا إن سمع تفسيراً للآية غير ما سمع، إذا به يرده من غير تردد: مثل مَنْ عرف أن تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. أن معنى: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ استولى. واستقر ذلك في نفسه حتى صار عقيدة راسخة له، فإذا به لو عرف بعد ذلك أن معنى: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ ليس استولى وأنه خلاف الحق والصواب الذي عليه جمهور السلف الصالح، وأن معناها الحقيقي: استقر وعلا وارتفع، فإذ به يرد هذا المعنى الحق، ولا يقبله، وأحياناً يعادي ويبغض من يدعو إليه.

٣- أن يكون المسلم مُصِّراً على ذنب، أو متصفاً بكبر، أو مبتلى - في الجملة - بهوى في الدنيا، فإن ذلك يسبب ظلمة القلب وصدئه، وقد شرط الله الإنابة في الفهم والتذكير، فقال تعالى: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾[ق: ٨]. وقال عز وجل: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾[غافر: ١٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾[الرعد: ١٩]. فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب؛ ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب)(١).

خامساً: هجر كتب التفسير:

قال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله -: (إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله - تفسيره - كيف يلتذ بقراءته) (٢).

كيف يتدبر القرآن من هجر كتب تفسير القرآن ولم يطالعها ويدارسها، ولم يعرف أسباب النزول ... وغيرها من علوم القرآن، وغالباً لا يسلم صاحب هذا المنهج من الخطأ في فهم الآيات، والاستدلال بها، والخطأ في العمل والتطبيق.

عن أسلم أبي عمران التجيبي قال: (كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فُضَالة بن عُبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم، حتى دخل عليهم فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله! يلقي بيديه إلى التهلكة! فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: (يا أيها الناس إنكم لتأولون هذه الآية هذا التأويل؛ وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام، وكثر ناصروه، فقال بعضنا

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (١/ ٢٣٥-٢٣٦) بتصرف، طبعة دار الريان.

(٢) مقدمة تفسير الطبري لمحمود شاكر (١/ ١٠).

لبعض سراً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله - تبارك وتعالى - على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. فكانت التهلكة الإقامة على الأموال، وإصلاحها، وتَرْكنا الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دُفِنَ بأرض الروم)(١).

فتأمل - أخي الحبيب - كيف تأول بعض التابعين الآية على غير مراد الله، وهم من أفضل القرون، وأقرب إلى عصر التنزيل، فكيف بنا في هذا الزمان وقد صارت الألسن أقرب إلى لسان العجم منها إلى لسان العرب؛ فما أحوجنا - نحن المسلمين - إلى دراسة كتب التفسير ليحصل لنا فهم كلام الله -عز وجل- وبخاصة ما يسمى (التفسير بالمأثور) ومن أشهر هذه الكتب: تفسير الإمام الطبري، وتفسير الإمام البغوي، وتفسير الإمام ابن كثير، وتفسير الدر المنثور للسيوطي، وتفسير الإمام الشوكاني.

وإليك نماذج من كتاب الله - جل وعلا - يوهم ظاهرها التعارض، وبالرجوع إلى كتب التفسير يزول هذا الإشكال، ويُدْفَعُ هذا الإيهام والتعارض وصدق الله إذ يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢](٢).

---

(١) (صحيح) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٣٧٣)، والسلسلة الصحيحة للألباني (١٣).

(2) راجع كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للإمام محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله.

النموذج الأول: الهداية هدايتان:

قال الله - تعالى - عن وصف رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]. في الآية الأولى أثبت الله لرسوله ﷺ الهداية، وفي الآية الثانية نفى عنه ذلك، فكيف نوفق بينهما؟

بالرجوع إلى كتب التفسير يتبين لنا أن الهداية هدايتان:

أ- هداية الدلالة والإرشاد: وهذه هي المثبتة في حق النبي ﷺ فهو يهدي: أي يدل ويرشد ويبين الصراط المستقيم، والطرق الموصلة إليه، وكذلك القرآن الكريم، فقد قال - تعالى -: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

ب- هداية التوفيق والسداد: وهذه هي المنفية عن النبي ﷺ وعن غيره فهي خاصة بالله -عز وجل- فهو وحده الذي يوفق ويسدد من يستحق إلى الهداية والصلاح.

النموذج الثاني: أين الله؟

قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]. ويقول: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]. في الآية الأولى ذكر الله عن نفسه أنه في السماء، وفي الآيتين الثانية والثالثة ربما يفهم البعض منهما أن الله في السماء والأرض، ومن ثم في كل مكان!

وبالرجوع إلى كتب التفسير يتضح أن الآية الأولى: تثبت عقيدة أهل السنة

والجماعة من الصحابة والتابعين والأئمة والصالحين أن الله - تعالى - في السماء كما أخبر مستوٍ على عرشه قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] (١).

وأما الآية الثانية: فلا علاقة لها بموضوع المكان، وإنما تتحدث عن العبودية لله - سبحانه وتعالى -، فإن لفظ ﴿إِلَٰهٌ﴾ تعني: المعبود بحق، فمعنى الآية إذن: أن الله معبود من في السماء كما أنه معبود مَنْ في الأرض. **وأما الآية الثالثة:** تتناول قضية العلم فمعناها: أن الله يعلم ما في السموات والأرض.

ثانياً: كيف نتدبر القرآن الكريم؟

يتم ذلك من خلال طريقين: العلمي، والعملي.

أولاً: الطريق العلمي: وذلك من خلال أن يعرف المسلم قيمة تدبر القرآن الكريم، وعِظَم مكانته، وكثرة فوائده، وأن تدبر القرآن سبيل إلى العلم النافع، والعمل الصالح، وطريق إلى حياة القلوب.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

فتدبر القرآن إن رمت ... فالعلم تحت تدبر القرآن (٢)

قال إبراهيم الخواص: (دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، خلاء البطن، قيام الليل، التضرع عند السحر، مجالسة الصالحين) (٣).

إن المحروم مَنْ حُرِمَ تدبر القرآن، وأُغْلِقَ عليه فهم آياته، ومعرفة معانيه،

---

(١) راجع هذه المسألة في كتب العقيدة الواسطية وشروحها ومعارج القبول، والعلو للذهبي ومختصره للألباني.

(٢) القصيدة النونية لابن القيم: فصل في التفريق بين الخلق والأمر ص (٤١).

(٣) التبيان للإمام النووي ص (٦١) طبعة مكتبة ابن عباس.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]. قال علي بن أبي طالب ﷺ: (لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فقه فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر معها).

(تفكر عمرو بن مرة في مَثَل من أمثال القرآن فلم يتبين له معناه، فجعل يبكي، فسئل ما يبكيك؟ فقال: (إن الله - عز وجل - يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. وأنا لم أعقل المثل فلست بعالم فأبكي على ضياع العلم مني)[1].

ثانياً: الطريق العملي: وذلك باتباع الخطوات الآتية:

١- الالتزام بآداب التلاوة وبخاصة الإخلاص والطهارة والسواك والاستعاذة واختيار المكان المناسب... وقد سبق ذكرها بشيء من التفصيل في هجر التلاوة.

٢- تفريغ القلب من الشواغل، والتخلي عن موانع الفهم وبخاصة الذنوب والمعاصي، والغفلة والكبر..، والعمل على صلاح القلوب وطهارتها عن طريق الذكر والتسبيح والاستغفار، والإنابة والتوبة، والتخلص من فضول الطعام والمنام والنظر والمخالطة.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (فإذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته، وألقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه سبحانه لك على لسان رسوله ﷺ، وذلك أن تمام التأثير، لما كان موقوفاً على مُؤَثِّرٍ مُقْتَضٍ، ومَحَلٍ قَابل، وشرط لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه: تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه، وأدله على المراد.

---

(١) تفسير ابن كثير الآية ٤٣ من سورة العنكبوت.

فقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. وهذا هو المؤثر. وقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ فهذا هو المحل القابل، والمراد به: القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩ - ٧٠]. أي: حَيّ القلب.

وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: وَجَّه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يُقَال، وهذا هو شرط التأثير بالكلام. وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: شاهد القلب حاضر غير غائب.

قال ابن قتيبة: استمع لكتاب الله وأنت شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه. وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير وهو: سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له، والنظر فيه وتأمله.

فإذا حصل المؤثر: وهو القرآن.

والمحل القابل: وهو القلب الحي.

ووجد الشرط: وهو الإصغاء.

وانتفى المانع: وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه إلى شيء آخر، حصل الأثر: وهو الانتفاع بالقرآن والتذكر)[1].

٣- **ترتيل القرآن**، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]. إن ترتيل القرآن يساعد على تدبر الآيات، وفهم معانيها.

---

(١) الفوائد للإمام ابن القيم ص (٣-٥) طبعة دار الكتب العلمية.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: (لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن كله).

وعن مجاهد أنه سُئِلَ عن رجلَين: قرأ أحدهما البقرة وآل عمران، والآخر قرأ البقرة وحدها، وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما سواء، قال: الذي قرأ البقرة وحدها أفضل)[١].

وأكثر العلماء يستحبون الترتيل في القراءة ليتدبره القارئ ويفهم معانيه.

عن حفصة - رضي الله عنها -: (كان الرسول ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول منها)[٢].

٤- ترديد الآية حتى يتحصل على التدبر

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قام النبي ﷺ بآية من القرآن ليلة[٣].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ بآية يرددها حتى أصبح، الآية ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨][٤].

وقام قتادة بن النعمان رضي الله عنه الليل لا يقرأ إلا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددها لا يزيد عليها.[٥]

وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه كرر هذه الآية حتى أصبح ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ

---

(١) التبيان للإمام النووي ص (٦٤-٦٥) طبعة مكتبة ابن عباس.

(٢) رواه مسلم والترمذي.

(٣) (حديث صحيح) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٧٠).

(٤) (حديث صحيح) رواه أحمد (٤/ ١٤٩) وذكره الألباني في صفة الصلاة.

(٥) رواه البخاري (الفتح ٩/ ٥٩).

﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]. [١]

٥- التفاعل مع الآيات، وإظهار الحزن والتأثر، أثناء القراءة.

قال رسول الله ﷺ: «**إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**» [٢].

ولقد ورد في سنن ابن ماجه بإسناد ضعيف [٣] «**اقرءوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا**» فإن لم يتأثر الإنسان بالقراءة، وتبكي عينه، وتقشعر جوارحه، فعليه أن يتظاهر بالحزن والبكاء على الحرمان من ذلك، فإنه من أعظم المصائب.

عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - قال: (**صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح (البقرة) فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح (النساء) فقرأها، ثم افتتح (آل عمران) فقرأها، يقرأ مسترسلاً، وإذا مَرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مَرَّ بآية سؤال سأل، وإذا مَرَّ بتعوذ تعوذ**) [٤].

قال الإمام النووي - رحمه الله -: (يستحب هذا السؤال والاستعانة، والتسبيح لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو خارج منها...) [٥].

---

(١) (إسناده صحيح) رواه ابن أبي شيبة، هامش التبيان ص (٦٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه والدارمي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٠٢)، وضعفه البوصيري والعراقي، والحويني انظر تفسير ابن كثير (١/ ٢٧٠). تحقيق الحويني.

(٣) راجع ضعيف ابن ماجه (٢٨١)، وضعيف الجامع (٢٠٢٥).

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

(٥) التبيان للإمام النووي ص (٦٦).

الفصل الثالث

المقامات العليا في التدبر

وفيه ثلاثة مباحث:

أولاً: التدبر في القرآن الكريم.

ثانياً: تدبر الرسول ﷺ.

ثالثاً: تدبر القرآن في سير السلف الصالح.

الفصل الثالث

المقامات العليا في التدبر

أولاً: التدبر في القرآن الكريم

لقد أمر الله - سبحانه وتعالى - بتدبر القرآن الكريم في آيات كثيرة نستعرضها بشيء من التفسير والتوضيح.

الحث على التدبر

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله -: (أفلا يتدبرون يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك، واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم من التنزيل من عند ربهم لاتساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضاً للتصديق، وشهادة بعضه لبعضه بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله، لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض) [١].

قال الإمام ابن الجوزي - رحمه الله -: (قوله تعالى: ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه التناقض، قاله ابن عباس، وابن زيد، والجمهور.

الثاني: الكذب، قاله مقاتل، والزجاج.

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٥٦٧).

الثالث: أنه اختلاف تفاوت من جهة بليغ من الكلام، ومرذول، إذ لابد للكلام إذا طال من مرذول، وليس في القرآن إلا بليغ، ذكره الماوردي في جماعة)[١].

القلب وتدبر القرآن:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

قال الإمام ابن الجوزي - رحمه الله -: ﴿أَمْ﴾ بمعنى: بل، وذكر الأقفال استعارة، والمراد أن القلب يكون كالبيت المقفل لا يصل إليه الهدى، قال مجاهد: الران أيسر إلى الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد ذلك كله)[٢].

عن هشام بن عروة عن أبيه ﷺ قال: (تلا رسول الله ﷺ يوماً ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]. فقال شاب من أهل اليمن: بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها. فما زال الشاب في نفس عمر ﷺ حتى ولي فاستعان به)[٣].

وتنكير القلوب: يتضمن إرادة قلوب هؤلاء وقلوب مَنْ هم بهذه الصفة، ولو قال: أم على القلوب أقفالها، لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة.

تهويل حال القلوب وتفظيع شأنها بإبهام أمرها في القساوة والجهالة، كأنه قيل: على قلوب منكرة لا يعرف حالها، ولا يقدر قدرها في القساوة.

أو: لأن المراد بها قلوب بعض منهم، وهم المنافقون، فلم يحتج إلى تعريف القلوب، لأنه معلوم أنها قلوب من ذكر)[٤].

---

(١) تفسير زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ١٤٥) طبعة المكتب الإسلامي.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٧/ ٤٠٨).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٨٠) طبعة المكتبة القيمة.

(٤) كيف نتدبر القرآن لفواز زمرلي ص (٢٩-٣٠) طبعة دار البشائر.

بركة القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة، والمآخذ العقلية الصريحة؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. أي: ذو العقول وهي الألباب جمع (لُب) وهو العقل، قال الحسن البصري: والله ما تدبره بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله ما يُرى له القرآن في خُلُقٍ ولا عَمَلٍ. رواه ابن أبي حاتم)(١)

عظمة القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (يقول تعالى معظماً لأمر القرآن، ومبيناً علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه؛ لما فيه من الوعد الحق، والوعيد الأكيد: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾. أي: فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه؛ لخشع وتصدع من خشية الله - عز وجل -، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم؟! وتخشع وتتصدع من خشية الله؟! وقد فهمتم عن الله أمره، وتدبرتم كتابه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣).

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤])(١).

تدبر القرآن من صفات المؤمنين:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (وقوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣] أي: هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه:

أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات.

الثاني: أنهم إذا تُلِيَتْ عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٢-٣٤٣) بتصرف.

عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] ، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان: ٧٣]. أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين، لاهين عنها، بل مصغين إليها، فاهمين بصيرين بمعانيها؛ فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة، لا عن جهل ومتابعة لغيرهم.

الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة - رضي الله عنهم - عند سماعهم كلام الله - تعالى - من تلاوة رسول الله ﷺ، تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله، ولم يكونوا يتصارخون، ولا يتكلفون بما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية مالا يلحقهم أحد في ذلك ؛ ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة. قال عبد الرزاق: حدثنا معمر قال: تلا قتادة - رحمه الله -: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣] قال: هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله - عز وجل - بأن تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم، والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وهذا من الشيطان.

قال السدي: (﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي: إلى وعد الله، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ أي: هذه صفة من هداه الله، ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾)[1].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠-٥١).

عتاب من الله للمؤمنين

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (١٦) ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: (يقول تعالى أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أي: تلين عند الذكر والموعظة، وسماع القرآن، فتفهمه وتنقاد له، وتسمع له، وتطيعه.

قال عبدالله بن مسعود ﷺ (ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين)(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ نهى الله – تعالى – المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول الأمل ؛ بدلوا كتاب الله، واشتروا به ثمناً قليلاً، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة، والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ؛ فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد، ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة.

وقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فيه إشارة إلى أن الله -تعالى- يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى

---

(١) رواه مسلم (٨/ ٤٦٥) طبعة المكتبة القيمة.

بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة، المجدبة، الهامدة، بالغيث الهتان، الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويلج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكيم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال) (١).

ثانياً: تدبر الرسول ﷺ للقرآن الكريم:

لقد بلغ الرسول ﷺ الدرجة العليا، والمقام الأسمى، في تدبر القرآن الكريم، وهذه بعض حالاته مع القرآن من صحيح السنة النبوية:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ عليَّ القرآن**» فقلت: يا رسول الله! أقرأ عليك وعليك أُنْزِل؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**». فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ٤١]، قال: «**حسبك الآن**». فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان)(٢).

عن عطاء قال: (دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة - رضي الله عنها - فقال ابن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ. فبكت، وقالت: قام ليلة من الليالي، فقال: «**يا عائشة! ذريني أتعبد لربي**»، قالت: قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام، فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بلَّ حِجْره، ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، وجاء بلال

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٠-٣١١) بتصرف.

(٢) رواه البخاري حديث رقم (٤٥٨٢)، انظر فتح الباري (٨/ ٩٩) طبعة الريان.

يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله! تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد نزلت عليَّ الليلة آيات ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر ما فيها:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]».(١)

عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**شيبتني هود وأخواتها**»(٢).

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال أبو بكر ﷺ: يارسول الله!، قد شبت، قال: «**شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت**» (٣).

قال العلماء: (لعل ذلك لما فيهن من التخويف الفظيع، والوعيد الشديد؛ لاشتمالهن مع قصرهن على حكاية أهوال الآخرة، وفظائعها، وأحوال الهالكين والمعذبين، مع ما في بعضهن من الأمر بالاستقامة)(٤).

ثالثاً: تدبر القرآن في سير السلف الصالح

ينبغي لمن أراد تدبر القرآن الكريم، وفهم معانيه، ومعرفة أحكامه، أن ينظر في سير السلف الصالح، وأن يعرف أحوالهم مع القرآن الكريم؛ حتى يكون دافعاً قوياً له أن يتشبه بهم، فإن التشبه بالصالحين فلاح.

---

(١) (حديث إسناده جيد) رواه ابن حبان، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٨).

(٢) (حديث إسناده جيد) انظر السلسلة الصحيحة للألباني (٢/ ٦٤٢).

(٣) (حديث صحيح) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٢٧)، والسلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٤) جامع الأصول لابن الأثير (٢/ ١٩٣) طبعة دار الفكر.

وكما قال ابن الجوزي - رحمه الله -: (إن صدقت في طلابهم فانهض وبادر، ولا تستصعب طريقهم فالمعين قادر، تعرض لمن أعطاهم، وسل، فمولاك مولاهم، رُبَّ كنز وقع به فقير، ورُبَّ فضل اختص به صغير، علم الخضر ما خفي على موسى، وكُشِفَ لسليمان ما خفي على داود)(١).

وسنذكر بعضاً من قصص سلفنا الصالح مع القرآن الكريم:

١- أبوبكر الصديق - رضي الله عنه -:

عن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ قالت: (... وكان أبوبكر رجلاً بكاءً لا يملك دمعه إذا قرأ القرآن)(٢).

٢- عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -:

عن عبدالله بن شداد بن الهاد يقول: سمعت عمر يقرأ في صلاة الصبح سورة يوسف، فسمعت نشيجه(٣)، وإني لفي آخر الصفوف، وهو يقرأ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦](٤).

٣- عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -:

عن نافع قال: (كان ابن عمر رضي الله عنه إذا قرأ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ

---

(١) المدهش للإمام ابن الجوزي ص (٤٢٨) بتصرف، طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) رواه البخاري (٣٩٠٥).

(٣) (النشيج): تردد البكاء في الصدر من غير انتحاب. انظر المعجم الوجيز ص (٦١٥).

(٤) مناقب عمر بن الخطاب للإمام ابن الجوزي ص (١٥٩) تحقيق حلمي بن إسماعيل الرشيدي، نشر دار العقيدة للتراث بالإسكندرية.

﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]. بكى حتى يغلبه البكاء.

عن نافع مولى ابن عمر يقول: (ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ثم يقول: إن هذا الإحصاء شديد)(١).

٤- عباد بن بشر - رضي الله عنه -:

نزل النبي ﷺ بِشِعْب في غزوة ذات الرقاع فقال: «**مَنْ يحرسنا الليلة؟**» فقام رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فباتا بفم الشِعب فاقتسما الليل للحراسة، فنام المهاجري، وقام الأنصاري يصلي، فجاء رجل من العدو، فرأى الأنصاري، فرماه بسهم، فأصابه، فنزعه، واستمر في صلاته، ثم رماه بثانٍ، فصنع كذلك، ثم رماه بثالث، فانتزعه، وركع وسجد وقضى صلاته، ثم أيقظ رفيقه. فلما رأى ما به من الدماء قال له: لِمَ لا أنبهتني أول ما رمى؟ قال: كنت في سورة فأحببت أن لا أقطعها. وأخرجه البيهقي في (الدلائل) من وجه آخر، وسمى الأنصاري المذكور: عباد بن بشر، والمهاجري: عمار بن ياسر رضي الله عنهما والسورة: سورة الكهف.(٢)

٥- الحسن البصري - رحمه الله -:

قرأ الحسن هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

---

(١) حلية الأولياء للإمام أبي نعيم (١/ ٣٠٥)، طبعة دار أم القرى للطباعة والنشر بالقاهرة.

(٢) انظر فتح الباري (١/ ٣٣٧) طبعة دار الريان، دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٧٨) طبعة دار الريان.

فقال: (إن الله جمع لكم الخير كله، والشر كله، في آية واحدة؛ فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة الله -عز وجل- إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً)(١).

٦- الربيع بن خثيم - رحمه الله -:

عن عبدالرحمن بن عجلان قال: (بِتُّ عند الربيع بن خثيم ذات ليلة، فقام يصلي، فمرَّ بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[الجاثية: ٢١]. فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد)(٢).

٧- مطرف بن عبدالله - رحمه الله -:

قال مطرف بن عبدالله: (إني لأستلقي من الليل على فراشي، فأتدبر القرآن، وأعرض عملي على عمل أهل الجنة، فإذا أعمالهم شديدة. ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[الذاريات: ١٧]. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[النمل: ٦٤]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[الزمر: ٩]، فلا أراني فيهم. فأعرض نفسي على هذه الآية ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[المدثر: ٤٢]. فأرى القوم مكذبين. وأمُرُّ بهذه الآية ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ١٥٨).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ١١٢)، قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -للربيع بن خثيم : (يا أبا يزيد! لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين) المرجع السابق (٢/ ١٠٦).

وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٢] ، فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم)[١].

من قصص تدبر القرآن الكريم

تدبر أعرابي:

ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ من سورة المائدة حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فقال الأعرابي: ما هذا بكلام الله!

فقال القارئ: أتكذب بكلام الله؟!.

قال الأعرابي: لا.

فرجع القارئ إلى حفظه، واسترجع، وقرأ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨] فقال الأعرابي: عَزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم ما قطع)[٢].

تدبر جارية:

ذكر الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره: (حكى الأصمعي[٣] قال:

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٩٨).

(٢) جلاء الأفهام للإمام ابن القيم ص (٨٨) طبعة مكتبة المتنبي بالقاهرة.

(٣) (الأصمعي): هو عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع، أبو سعيد الأصمعي البصري، أحد الأعلام، قال عنه الشافعي: ما عَبَّر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي. وولد عام (١٢٢هـ)، وتوفي عام (٢١٥هـ)، وقيل غير ذلك، راجع سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ١٧٥).

سمعت جارية أعرابية تنشد وتقول:

أستغفر الله لذنبي كله ... قبَّلتُ إنساناً بغير حِلِّه
مثل الغزال ناعماً في دَلِّه ... فانتصف الليل ولم أصلِّه

فقلت: قاتلك الله! ما أفصحك!.

فقالت: أو يُعَدُّ هذا فصاحة مع قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، فجمع في آية واحدة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين)[1].

قلنا: الأمران هما: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾، ﴿فَأَلْقِيهِ﴾.

والنهيان هما: ﴿وَلَا تَخَافِى﴾، ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾.

والخبران هما: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾، ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾.

والبشارتان هما: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾، ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٢٥١-٢٥٢) طبعة مناهل العرفان.

الباب الرابع

هجر العمل بالقرآن الكريم

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: العمل بالقرآن بين الترغيب والترهيب.

الفصل الثاني: أسباب هجر العمل بالقرآن.

الفصل الثالث: العمل بالقرآن في واقع السلف الصالح.

الفصل الأول

العمل بالقرآن الكريم بين الترغيب والترهيب

وفيه أربعة مباحث:

أولاً: اقتضاء العلم للعمل.

ثانياً: وجوب العمل بالقرآن الكريم.

ثالثاً: الترغيب في العمل بالقرآن الكريم.

رابعاً: الترهيب من هجر العمل بالقرآن الكريم.

الفصل الأول

العمل بالقرآن الكريم بين الترغيب والترهيب

أولاً: اقتضاء العلم للعمل:

اعلم -رحمك الله- أن طلب العلم مما تتنوع فيه الأغراض، وتختلف فيه المقاصد والنيات، كما أنه وسيلة من الوسائل التي يتوصل بها الإنسان إلى الأهداف والغايات، فمن الناس مَنْ يطلب العلم لغرض دنيوي، وذلك بأن يكون له به جاه وهيبة، وشرف ومكانة، ومنزلة وكرامة، ومنهم من يبتغي به الرياسة والقيادة، والهيمنة والزعامة، ومنهم مَنْ يتوصل به إلى أغراض دنيئة، ومقاصد خسيسة، كحب السيطرة والاستبداد، والجدل والمباهاة والمماراة. وأسعد الناس بالعلم، وأحسنهم حظاً وأزكاهم، وأشرفهم منزلة عند الله من يطلبه لمرضاة الله، والعمل به، والاهتداء بنوره، والامتثال لأمره.

عن إياس بن عامر قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي، ثم قال: (إنك إن بقيت، سيقرأ القرآن ثلاثة أصناف: فصنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدنيا، ومَنْ طلب به أدرك)[1] فالمقصود الأعظم من العلم ليس أن يتزين به الإنسان، ولا أن يتشرف بتحصيله وجمعه، ودراسته وروايته، وتحقيقه ونشره من غير أن يكون له رغبة في العمل به، والالتزام بمقتضاه.

---

(١) رواه الدارمي (٢/ ٥٢٦). وهو ضعيف فيه إياس بن عامر ليس بالمعروف. راجع أخلاق حملة القرآن للآجري ص (٤١) تحقيق فواز أحمد زمرلي، طبعة دار الكتاب العربي.

ولقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال عباس الهمداني أبو أحمد – رحمه الله –: والذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون[١].

قال عمر بن عبدالعزيز: إنما قصر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا، ولو عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علماً لا تقوم به أبداننا، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢][٢].

عن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسْأَلَ عن أربع: عن عمره فيمَ أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن شبابه فيمَ أبلاه»**[٣].

قال عمر بن الخطاب ﷺ: (لا يغرنكم مَنْ قرأ القرآن، فإنما هو كلام يتكلم به، ولكن انظروا من يعمل به)[٤].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: (هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل).

قال معاذ بن جبل ﷺ: (اعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعملوا).

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٩).

(2) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٢٤).

(٣) (حديث صحيح) رواه الترمذي، والدارمي، والطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٤) صحيح الترغيب والترهيب ص (٥٨).

قال الخطيب البغدادي - رحمه الله -: (ثم إني موصيك يا طالب العلم! بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل بموجبه، فإن العلم شجرة، والعمل ثمرة، وليس يعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً.

وقيل: العلم والد، والعمل مولود، والعلم مع العمل، والرواية مع الدراية، فلا تأنس بالعمل وما دمت مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم مادمت مقصراً في العمل، ولكن اجمع بينهما وإن قلَّ نصيبك منهما.

والعلم يراد للعمل، كما العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم، كان العلم كلاً على العالِم، ونعوذ بالله من علم عاد كلاًّ، وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه غِلاً.

قال بعض الحكماء: العلم خادم العمل، والعمل غاية العلم، فلولا العمل لم يطلب علم، ولولا العلم لم يطلب عمل، ولأن أدع الحق جهلاً به، أحب إليَّ من أدعه زهداً فيه.

وقال بعضهم: وهل جامع كتب العلم إلا كجامع الفضة والذهب، وهل المنهوم بها إلا كالحريص الجشع عليهما، وهل المغرم بحبها إلا كتاركهما، وكما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها، كذلك لا تنفع العلوم إلا لمن عمل بها، وراعى واجباتها، فلينظر امرؤٌ لنفسه، وليغتنم وقته، فإن الثواء [1] قليل، والرحيل قريب، والطريق مخوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والناقد بصير، والله تعالى

---

(1) ثوى: المكان، و- به يثوي ثِواءً وثُويّاً، بالضم، وأثوى به: أطال الإقامة به، أو نزل. راجع القاموس المحيط للفيروزآبادي ص (١٢٦٨) طبعة مؤسسة الرسالة.

بالمرصاد، وإليه المرجع والمعاد ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

قال سهل بن عبدالله التستري - رحمه الله -: (الناس كلهم سكارى إلا العلماء، والعلماء كلهم حيارى إلا من عمل بعلمه).

قال أبو عبدالله الروزباري - رحمه الله -: (العلم موقوف على العمل، والعمل موقوف على الإخلاص، والإخلاص لله يورث الفهم عن الله - عز وجل -).

وقد أحسن القائل:

يا أيها الرجل المُعلم غيره ... هلاَّ لنفسك كان ذا التعليم
لاتنه عن خُلُق وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك تقبل إن وعظت ويقتدي ... بالقول منك وينفع التعليم
تصف الدواء لذي السقام من الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا ... نصحاً وأنت من الرشاد عديم

وقال عبدالملك بن إدريس الوزير الكاتب:

والعلم ليس بنافع أربابه ... مالم يفد عملاً وحسن تبصر
سيَّان عندي علم من لم يستفد ... عملاً به وصلاة من لم يطهر
فاعمل بعلمك توف نفسك وزنها ... لا ترض بالتضييع وزن المخسر

وأنشد محمد بن علي الأصبهاني لبعضهم:

اعمل بعلمك أيها الرجل ... لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل
والعلم زين وتقوى الله زينته ... والمتقون لهم في علمهم شغل

وحجـــة الله يـــا ذا العلـــم بالغـــة لا العلـــم ينفـــع فيهـــا لا ولا الحيـــل
تعلم العلم واعمل مـا اسـتطعت بـه لا يلهينـــك عنـــه اللهـــو والجـــدل

فنعوذ بالله من علم لا يورث عملاً.

ثانياً: وجوب العمل بالقرآن الكريم

إن الهدف الأسمى، والغاية العظمى، من إنزال القرآن الكريم هو العمل به، واتباع أوامره، ولذا فقد ورد الأمر في كتاب الله بوجوب العمل به في مواضع عدة من كتاب الله - جل وعلا - منها.

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

قال ابن كثير - رحمه الله -: (يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ ولمن اتبع طريقته: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: اقتد به، واقتف أثره، واعمل به، فإن ما أوحي إليك من هو الحق الذي لا مرية فيه، لأنه لا إله إلا هو)[1].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرآن، أي: لا تشغل قلبك وخاطرك بهم، بل اشتغل بعبادة الله)[2].

الدليل الثاني:

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٩).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٥٥).

قال القرطبي -رحمه الله-: (قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، يعني الكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وقالت فرقة: هذا أمر يعم النبي ﷺ وأمته. والظاهر أنه أمر لجميع الناس دونه. أي: اتبعوا ملة الإسلام والقرآن، وأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه. ودلت الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص)(١).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: (أي: اقتفوا آثار النبي ﷺ الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٣] أي: لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول ﷺ إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره)(٢).

الدليل الثالث:

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: (وقوله: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ﴾ أي: تمسك بما أنزل الله عليك وأوحاه إليك، واصبر على مخالفة من خالفك من الناس. ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ﴾ أي: يفتح بينك وبينهم. ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ أي: خير الفاتحين بعدله، وحكمته)(٣).

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ١٤٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٩).

(3) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٧١).

الدليل الرابع:

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٥].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (...﴿ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ ﴾ هو القرآن وكله حسن، والمعنى ما قال الحسن: التزموا طاعته، واجتنبوا معصيته. وقال السدي: الحسن ما أمر الله به في كتابه. وقال ابن زيد: يعني المحكمات، وكلوا علم المتشابه إلى عالمه)(١).

الخلاصـــة:

مما سبق من الآيات وغيرها كثير، يدل دلالـة واضـحة عـلى وجـوب اتبـاع القرآن والعمل به، وهي إما آيات صريحة جاءت بفعل الأمر (اتبعوا) وهو دال عـلى الوجوب بلفظه، وإما بأمر الله لنبيه ﷺ، باتباع ما أوحي إليه وهو القرآن الكـريم والسنة المطهرة، وكما هو معلوم أن الأمر للنبي أمر لأمته مالم يأت تخصيص له ﷺ.

فتأمل - أخي الحبيب - أين نحن من العمل بالقرآن في حياتنا وواقعنا؟ فهل من توبة صادقة وعودة محققة إلى مصدر العز والشرف؟ حتـى نفـوز بالـسعادة في الدارين، قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣].

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٦).

ثالثاً: الترغيب في العمل بالقرآن الكريم

لقد ورد في فضل العاملين بالقرآن الكريم، المتبعين له، المتمسكين بهديه، كثير من الفضائل بعضها في الدنيا، وبعضها في الآخرة ومن ذلك:

١- العمل بالقرآن الكريم سبب للهداية في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: ١٨].

قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه - رحمهم الله - ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ...﴾ [الزمر: ١٧].

نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر، وسلمان الفارسي - رضي الله عنهم - والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان، وأناب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ثم قال عز وجل: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ...﴾ أي: يفهمونه ويعملون بما فيه ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة.(١)

قال ابن عباس: ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

وقال: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣).

٢- العمل بالقرآن سبب للفلاح في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: وقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي القرآن والوحي الذي جاء به مبلغاً إلى الناس ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي في الدنيا والآخرة.

روى الدارمي بسنده عن أبي موسى - رضي الله عنه -: (إن هذا القرآن كائن عليكم وزرا، اتبعوا هذا القرآن، ولا يتبعنكم القرآن، فإن من تبع القرآن يهبط به في رياض الجنة) (١).

٣- العمل بالقرآن سبب للرحمة في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

قال الإمام الطبري - رحمه الله -: (يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى نبينا محمد - ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ يقول: فاجعلوه إماماً تتبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ يقول: واحذروا الله في أنفسكم أن تضيعوا العمل بما فيه وتتعدوا حدوده وتستحلوا محارمه ... وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: لترحموا فتنجوا من عذاب الله وأليم عقابه). (٢)

---

(١) سنن الدارمي ج٢ ص ٥٢٦ ح٣٣٢٨.

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٩٢) طبعة دار الفكر.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره، والعمل به، والدعوة إليه، ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه حبل الله المتين).(١)

قلنا: لا يخفى أن (لعل) محققة الوقوع لأنها من الله، فالرحمة في الدنيا والآخرة لمن اتبع القرآن وعمل به.

٤- العمل بالقرآن سبب للشفاعة في الآخرة:

عن النواس بن سمعان الكلبي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران**» وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: «**كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق. أو كأنهما حزقان**(٢) **من طير صواف تحاجان عن صاحبهما**»(٣).

فهذا الحديث يبين أن العاملين بالقرآن في الدنيا يشفع لهم القرآن يوم القيامة.

٥- العمل بالقرآن سبب لتكفير الذنوب وإصلاح البال:

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ**﴾ [محمد: ٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٠).

(2) حزقان: جماعتان، الحزق والحزيقة الجماعة من كل شيء. ابن الأثير في النهاية (١/ ٣٦٤) دار الكتب العلمية.

(٣) رواه مسلم كتاب الصلاة باب فضل سورة البقرة ح ١٨٤٣ (١٣٣٨)، الترمذي في فضائل القرآن (٢٨٨٣) باب ما جاء في سورة آل عمران ج٨ ص ١٦١، مسند أحمد (١٦٩٧٩).

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ لم يخالفوه في شيء، قال سفيان الثوري: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يريد أن إيمانهم هو الحق من ربهم، وقيل: أي أن القرآن هو الحق من ربهم، نسخ به ما قبله.

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أي: ما مضى من سيئاتهم قبل الإيمان. ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: شأنهم، عن مجاهد وغيره. وقال قتادة: حالهم. وابن عباس: أمورهم. والثلاثة متقاربة وهي متأولة على إصلاح ما تعلق بدنياهم. وحكى النقاش أن المعنى أصلح نياتهم... وهو على هذا التأويل محمول على صلاح دينهم).[١]

قال الإمام الشنقيطي - رحمه الله -: (أي غفر لهم ذنوبهم، وتجاوز لهم عن أعمالهم السيئة ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: أصلح لهم شأنهم وحالهم إصلاحاً لا فساد معه)[٢]

قال الإمام الطبري - رحمه الله - : ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة أن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه.[٣]

هذه هي الثمرات الزكية والفضائل المرضية، وحسن الجزاء في الدنيا والآخرة للعاملين بالقرآن الكريم، المتمسكين بأوامره، فهل من مشمر عن ساعد الجد لنيل تلك الدرجات، والفوز برضا رب البريات.

---

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ١٩١).

(٢) أضواء البيان (٧/ ٢٤٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٦/ ٣٩) طبعة دار الفكر.

رابعاً: الترهيب من هجر العمل بالقرآن الكريم

يدور القرآن الكريم بين الترغيب والترهيب ليصل العبد بذلك إلى الله رب العالمين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فكما ورد الترغيب في العمل بالقرآن الكريم، ورد كذلك الوعيد الشديد والتهديد الأكيد في الدنيا والآخرة لمن ترك العمل بالقرآن الكريم، فلا يحل حلاله، ولا يحرم حرامه، ولا يأتمر بأمره، ولا ينته عن نهيه، **فمن ذلك أن:**

١- هاجر العمل بالقرآن الكريم له مثل السوء:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله-: (فقاس من حملة كتابه - سبحانه - ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك، ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له، ولا تحكيم له وعمل بموجبه، كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حمله على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره.

فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته) [(١)].

٢- هاجر العمل بالقرآن الكريم يعذب في قبره إلى قيام الساعة:

روى البخاري من حديث سمرة بن جندب رؤيا النبي ﷺ وفيها: «**فانطلقنا**

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٥٠) طبعة دار الحديث.

حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة، فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه، قلت: (من هذا؟) قالا: انطلق».

وفي آخر الحديث: «**والذي رأيته يُشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة**»(١) فانتبه أيها القارئ العزيز.

٣- هاجر العمل بالقرآن الكريم وقود النار يوم القيامة:

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يظهر الإسلام حتى تختلف التجار في البحر، وحتى تخوض الخيل في سبيل الله، ثم يظهر قوم يقرءون القرآن، يقولون: مَنْ أقرأ منا؟ مَنْ أعلم منا، ومَنْ أفقه منا؟**» ثم قال لأصحابه: «**هل في أولئك من خير؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أولئك منكم من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار**»(٢).

٤- هجر العمل بالقرآن الكريم سبب من أسباب الفتنة وعلامة من علامات الساعة:

عن علقمة عن عبدالله قال: (كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير، إذا ترك منها شيء قيل تركت السنة. قالوا: ومتى ذلك؟ قال: إذا ذهبت علماؤكم وكثرت جهلاؤكم، وكثرت قراؤكم وقلت فقاؤكم، وكثرت

---

(١) رواه البخاري كتاب الجنائز (٣/ ٢٩٦).

(٢) (حديث حسن). رواه الطبراني في الأوسط، والبزار بإسناد لا بأس به، ورواه أبو يعلى والطبراني أيضاً من حديث العباس بن عبدالمطلب. وقال الألباني (حسن) انظر صحيح الترغيب والترهيب ص (٥٢).

أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين)[1].

وكل ذلك حاصل في زمانا فإلى الله المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) رواه الدارمي (١/ ٧٦).

الفصل الثاني

أسباب هجر العمل بالقرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

أولاً : العادات والتقاليد.

ثانياً: الخوف من الدنيا والحرص عليها.

ثالثاً: فتنة الأئمة المضلين.

الفصل الثاني

أسباب هجر العمل بالقرآن الكريم

أولاً: العادات والتقاليد:

إن من أهم أسباب هجر العمل بالقرآن الكريم في أي زمان ومكان التمسك بالعادات والتقاليد والمحافظة عليها وعدم التحرر من رقها.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (أي إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه، وترك ما حرمه، قالوا يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمسالك.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾. أي لا يفهمونه حقاً، ولا يعرفونه ولا يهتدون إليه، فكيف يتبعونه والحالة هذه، لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً).(١)

إنها العبارات والكلمات التي قيلت للرسول المصطفى والنبي المجتبى ﷺ، هي هي نفسها التي تقال لكل من دعا إلى الله ورسوله في كل عصر ومصر، وصدق الله إذ يقول: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١١٢).

فتلك هي الحجة للتنصل من أحكام الله تعالى، وأوامر رسوله ﷺ وترك العمل بالقرآن، وتنحيته عن واقع الناس.

إنه التقليد الأعمى والجمود، بل هو الكفران والجحود.

لو نظرت - أخي الحبيب - إلى واقع الناس اليوم لوجدت ذلك واضحاً جلياً في كثير من النماذج والصور لهجر العمل بالقرآن الكريم بسبب العادات والتقاليد منها على سبيل المثال: قضية التبرج والسفور التي أصبحت سمة من سمات نساء هذا العصر حتى أصبح الحجاب غريباً بين نساء المسلمين. فلو دعوت إحداهن إلى الحجاب والطهر والعفاف لتعللت بأن النساء كلهن على هذا، أو أنها لم تقتنع به! أو أنه يخالف العصر والتقدم!! وغيرها من حيل الشيطان.

ثانياً: الخوف على الدنيا والحرص عليها:

لقد كانت الحجة منذ القديم، في ترك العمل بالقرآن الكريم هي ما ذكره الله - جل وعلا- في محكم التنزيل وهو أصدق القائلين. قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ [القصص: ٥٧].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (يقول تعالى مخبراً عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله ﷺ أي نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالأذى والمحاربة ويتخطفونا أينما كنا.

قال تعالى مجيباً لهم: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ [القصص: ٥٧] يعني هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل، لأن الله تعالى جعلهم في بلد أمين وحرم

معظم آمن منذ وضع، فكيف يكون هذا الحرم آمناً لهم في حال كفرهم وشركهم ولا يكون آمناً لهم وقد أسلموا وتابعو الحق؟)[١].

يقول سيد قطب - رحمه الله -: (وإن الكثيرين ليشفقون من اتباع شريعة الله، والسير على هداه، ويشفقون من أعداء الله ومكرهم، ويشفقون من تألب الخصوم عليهم، ويشفقون من المضايقات الاقتصادية وغير الاقتصادية!!

إن هي إلا أوهام كأوهام قريش يوم قالت لرسول الله ﷺ ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾. فلما اتبعت هدى الله سيطرت على مشارق الأرض ومغاربها في ربع قرن أو أقل من الزمان).[٢]

فيا من تحرصون على الدنيا وزينتها، وعلى المنصب والجاه والسلطان وعلى الوظيفة والكراسي الزائلة، اعلموا أن الرزق بيد الله، وأن الحمى في جناب الله، يقول تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢].

ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (فشبه سبحانه من آتاه كتابه، وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به، واتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق، بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات، وأوضعها قدراً، وأخسها نفساً، وهمته لا تتعدى بطنه، وأشدها شرهاً وحرصاً، ...

وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة - مع وفور علمه -

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٣).

(٢) في ظلال القرآن.

بالكلب في حال لهثه سر بديع، وهو أن الذي هذا حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته، واتباعه هواه، إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة، فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال انزعاجه وتركه).(١)

ثالثاً: فتنة الأئمة المضلين:

ومن الأسباب القوية في صرف الناس عن العمل بالقرآن الكريم وأحكامه وتعاليمه، الأئمة المضلون الذي يحلون ما حرم الله، ويلبسون على الناس أمورهم. ورأينا منهم من يبارك الفجور والعرى، وإشاعة الفاحشة بين الناس، ثم هو يخلع على هذا الوحل رداء الدين وشاراته وعناوينه.

قال ميمون بن مهران - رحمه الله -: (لو صلح أهل القرآن صلح الناس)(٢) وصدق الله إذ يقول: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

يقول سيد قطب - رحمه الله -: (إنه مثل لكل من آتاه الله من علم الله، فلم ينتفع بهذا العلم، ولم يستقم على طريق الإيمان، وانسلخ من نعمة الله، ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان، ولينتهي في المسخ إلى مرتبة الحيوان!.

ولقد رأينا من هؤلاء - والعياذ بالله - في زماننا هذا من كان كأنما يحرص على ظلم نفسه، أو كمن يعض بالنواجذ على مكان له في قعر جهنم يخشى أن ينازعه

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٥١) طبعة دار الحديث.

(2) رواه أبونعيم في الحلية (٤/ ٩٣) نقلاً من أخلاق حملة القرآن للآجري ص (٥١) تحقيق فواز أحمد زمرلي طبعة دار الكتاب العربي.

إياه أحد المتسابقين معه في الحلبة!. فهو ما يني يقدم كل صباح ما يثبت به مكانه هذا في جهنم! وما يني يلهث وراء هذا المطمع لهاثاً لا ينقطع حتى يفارق هذه الحياة الدنيا!.[١]

وقد بين النبي الكريم ﷺ حال الأمة مع الأئمة المضلين:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»[٢].

وصدق النبي الكريم إذ يقول: «**أشد ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان**»[٣].

وما أكثرهم في هذه الأمة لا كثرهم الله.

وصدق القائل: زَلَّةُ العَالِمِ، زَلَّةُ العَالَمِ.

وصدق الشاعر إذ يقول:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

وهل بدل الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

---

(١) في ظلال القرآن

(٢) رواه البخاري مع فتح الباري (١/ ٢٣٤) كتاب العلم حديث رقم (١٠٠)، ومسلم كتاب العلم حديث رقم (٦٦٧٠).

(٣) السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني حديث رقم (١٢٦٧).

الله نسأل أن يصلح أئمتنا ويوفقهم للعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويقودوا الأمة إلى ما فيه صلاح دينها ودنياها إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الثالث

العمل بالقرآن الكريم
في واقع السلف الصالح

وفيه نماذج من عمل الصحابة بالقرآن الكريم

الفصل الثالث

العمل بالقرآن الكريم في واقع السلف الصالح

تمهيـــد:

إن من يطلع على أصول السلف الصالح يرى عجباً من العجب، أقواماً يقبلون على القرآن إقبال الظمآن على الماء البارد، يتلون آياته ويتدبرونها، وينفذون أحكامه ويؤمنون بمتشابهه، ويعملون بمحكمه، ويتأثرون بما فيه من الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، فيخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً

كان الواحد منهم إذا قرأ القرآن لا يشغله عنه شاغل، ولا يجذبه عنه جاذب، وقد روي عنهم في ذلك الأعاجيب.

أما تطبيقهم لآيات القرآن وسرعة استجابتهم لله، وتغلغلها في قلوبهم فيشهد لذلك كثير من الحوادث التي جرت لهم.

ألا إن التاريخ لم يشهد رجالاً عقدوا عزمهم ونواياهم على غاية تناهت في العدالة والسمو، ثم نذروا لها حياتهم على نسق تناهى في الجسارة والتضحية والبذل كما شهد في صحابة رسول الله ﷺ.

لقد جاءوا الحياة في أوانهم المرتقب، ويومهم الموعود.. فحين كانت الحياة تهيب بمن يجدد لقيمها الروحية شبابها وصوابها، جاء هؤلاء وراء رسولهم الكريم ﷺ مجددين وناسكين، وحين كانت تهيب بمن يضع عن البشرية الرازحة أغلالها، ويحرر وجودها ومصيرها، جاء هؤلاء وراء رسول الله ﷺ ثواراً ومحررين، كيف أنجز أولئك الأبرار كل هذا الذي أنجزوا في بضع سنين؟! كيف شادوا بالقرآن

الكريم وآياته عالماً جديداً يهتز نضرة ويتألق عظمة ويتفوق اقتداراً؟![1]

كل ذلك يرجع لفضل الله - جل وعلا - ثم لتمسكهم بكتاب الله علماً وعملاً فقد كانوا أشد الناس إيماناً بالتنزيل وتصديقاً لكتاب رب العالمين.

وسوف نتركك أخي الكريم لتتابع نماذج أعظم ثلة ظهرت في التاريخ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

نماذج من عمل الصحابة بالقرآن الكريم

أولاً: نماذج عامة:

١ - الصحابة كلهم مستجيبون لله ورسوله عاملون بالقرآن الكريم:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: (ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ[2] فإني لقائم أسقي أباطلحة وفلاناً وفلاناً. إذا جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا: ما ذاك؟ فقال: حُرمت الخمر. قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس؟ قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل)[3].

فانظر - رحمنا الله وإياك - إلى حال صحابة النبي الكريم وسرعة استجابتهم

---

(١) انظر رجال حول الرسول. لخالد محمد خالد، مع الحذر من الأخطاء الموجودة في الكتاب.

(٢) الفضيخ: هو شراب يُتخذ من البُسْر المفضوخ: أي المشدوخ. قاله ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٠٦).

(٣) رواه البخاري، فتح الباري (٨/ ١٢٦) طبعة الريان كتاب التفسير باب (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم).

لأمر رب العالمين، وحال كثير من هذه الأمة وبعدهم عن العمل بهذا الدين. انظر كيف انتشرت المحرمات، وكثرت المنكرات،من شرب الدخان والمخدرات، وأنواع المسكرات، وآيات الله تتلى ليل نهار، ولا رجوع ولا توبة ولا استغفار إلا من رحم الله العزيز الغفار، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عن البراء ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى – أو صلاها – صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمرَّ على أهل مسجد وهم راكعون، قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت)[1].

فانظر إلى سرعة استجابتهم، فلله درهم؛ ولذا استحقوا أن يرضى عنهم ربهم.

٢- نساء الصحابة عاملات بالقرآن الكريم:

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. شققن مروطهن فاختمرن بها).

ولابن أبي حاتم من طريق عبدالله بن خثيم عن صفية قالت: (ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن، فقالت: إن نساء قريش لفضلاء، ولكن والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أُنْزِلَتْ سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مِرْطها، فأصبحن يصلين الصبح

---

(١) رواه البخاري – فتح الباري (٨/ ٢٠) طبعة الريان.

معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان)(١).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الجمع بين الروايتين: (ويمكن الجمع بين الروايتين بأن نساء الأنصار بادرن إلى ذلك).

فليت نساء المسلمين اليوم تقرأ هذه النماذج، فطالما سمعوا آيات الله تتلى آناء الليل وأطراف النهار، ولكن آيات الله في واد، وهن في واد فإلى الله المشتكى، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثانياً: نماذج خاصة:

١- صديق الأمة وخليفة رسول الله:

لقد كان أبوبكر ﷺ من أشد الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - تصديقاً لكتاب الله، وإيماناً بالتنزيل، ومن أسرعهم استجابة لله ورسوله، والنماذج من حياته كثيرة.

فمن ذلك ما أورده البخاري بسنده من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في حديث الإفك الطويل.

(... فلما أنزل الله براءتي قال أبوبكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النور: ٢٢].

---

(١) فتح الباري (٨/ ٣٤٧) كتاب التفسير باب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾.

قال أبوبكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً ...)[1].

فانظر - رحمنا الله وإياك - كيف أن مسطح بن أثاثة خاض مع من خاض في عِرْضِ أم المؤمنين ومع ذلك ما أن نزلت الآية حتى استجاب أبوبكر لأمر الله وأعاد النفقة التي كان ينفق على مسطح، لأن هدفهم هو رضوان الله تعالى والجنة.

فشتان شتان ما بين السلف الصالح والخلف اليوم، من العداوات لأتفه الأسباب، وإطالة الخصام بدون أسباب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢- فاروق الأمة والخليفة العادل:

عمر بن الخطاب وما أدراك ما عمر، عمر فاروق هذه الأمة أول من لقب بأمير المؤمنين، الخليفة العادل، الذكي العبقري، المحدث الملهم، عمر الذي وافق ربه في مواضع كثيرة، عمر الذي كان ينزل القرآن مؤيداً لرأيه، عمر الذي ما سلك فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجه.

عمر الذي أعز الله به الإسلام، عمر الذي توفي رسول الله وهو عنه راض، عمر الباب الحائل دون الفتنة، عمر الوقاف عند حدود الله.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحُرّ بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباباً.

فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه.

---

(١) رواه البخاري - فتح الباري (٨/ ٣٠٩) كتاب التفسير حديث (٤٧٥٠) طبعة الريان.

قال ابن عباس: فاستأذن الحُرُّ لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هيه يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل.

فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها وكان وقافاً عند حدود الله).(١)

فليت الأمة اليوم تكون وقافة عند حدود الله، إذا ذكروا تذكروا حتى تعود الأمة إلى عزها ومجدها، فلن يصلح هذه الأمة اليوم إلا بما صلح به أولها.

٣- أبوطلحة الأنصاري:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: (كان أبوطلحة الأنصاري أكثر الأنصار بالمدينة نخلاً، وكان أحب ماله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

فلما أنزلت ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة قال: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وأن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال رسول الله ﷺ: «**بخ! ذلك مال رايح، ذلك مال رايح. وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**».

قال أبوطلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبوطلحة في أقاربه وبني عمه. قال عبدالله بن يوسف وروح بن عبادة (بخ! ذلك مال رايح) حدثني يحيى بن

---

(١) رواه البخاري – فتح الباري (٨/ ١٥٥) كتاب التفسير حديث (٤٦٤٢) طبعة الريان.

يحيى قال: قرأت على مالك (مال رايح).(١)

قال الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث: وممن عمل بالآية ابن عمر. فروى البزار من طريقه أنه قرأها (يعني ابن عمر) قال: فلم أجد شيئاً أحب إلي من مرجانة - جارية لي رومية - فقلت: هي حرة لوجه الله، فلولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لتزوجتها).

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فإن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - لم يفهموا من فحوى الخطاب حين نزلت الآية غير ذلك. ألا ترى أباطلحة حين سمع الآية لم يحتج أن يقف حتى يرد البيان الذي يريد الله أن ينفق منه عباده بآية أخرى أو سنة مبيّنة لذلك. فإنهم يحبون أشياء كثيرة...

وأعتق ابن عمر نافعاً مولاه، وكان أعطاه فيه عبدالله بن جعفر ألف دينار قالت صفية بنت أبي عبيدة: أظنه تأول قول الله عز وجل ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

وروى شبل عن أبي نجيح عن مجاهد قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتح مدائن كسرى، فقال سعد ابن أبي وقاص: فدعا بها عمر فأعجبته، فقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فأعتقها عمر رضي الله عنه.

وروى عن الثوري أنه بلغه أن أم ولد الربيع بن خثيم قالت: كان إذا جاءه السائل يقول لي: يا فلانة أعطي السائل سكراً فإن الربيع يحب السكر.

---

(١) رواه البخاري - فتح الباري (٨/ ٧١) ح (٤٥٥٤) كتاب التفسير طبعة الريان.

قال سفيان يتأول قوله جل وعز ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

وروي عن عمر بن عبدالعزيز ﷺ أنه كان يشتري أعدالاً من السكر ويتصدق بها. فقيل له: هلا تصدقت بقيمتها؟ فقال: لأن السكر أحب إليَّ فأردت أن أنفق مما أحب.

وقال الحسن: إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون).[1]

٤- أبو الدحداح والعذق الرداح

روى الإمام أحمد في مسنده من طريقه أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال أبوالدحداح: يا رسول الله!، وإن الله يريد منا القرض؟ قال: «**نعم يا أبا الدحداح**». قال: أرني يدك يا رسول الله!. فناوله يده. قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي (بستان) فيه ستمائة نخلة.

وأم الدحداح فيه وعيالها، فجاء أبوالدحداح فنادها: يا أم الدحداح. قالت: لبيك. قال: أخرجي فقد أقرضته ربي -عز وجل-. قالت: ربح بيعك يا أبا الدحداح! ونقلت منه متاعها وصبيانها. وأن رسول الله ﷺ قال: «**كم من عذق رَدَاح**[2] **في الجنة لأبي الدحداح**»[3].

فانظر - رحمنا الله وإياك - كيف استقرت الآخرة في قلوبهم، فهانت عندهم الدنيا، يسمع أبوالدحداح الآية فيتصدق بستمائة نخلة.

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ١٢٨).

(٢) عذقٌ رَدَاحٌ يعني: النخلة العظيمة بحملها. لسان العرب (٢/ ٤٤٧) طبعة دار الفكر.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٤٦) وابن أبي حاتم، وصححه الألباني.

وليس العجب من فعل أبي الدحداح، ولكن العجب كل العجب من سرعة استجابة أم الدحداح ودعائها بالربح والقبول.

ولو أن رجلاً فعل قريباً من هذا في زماننا لرفعت عليه زوجته دعوى قضائية مطالبة بالحجر على زوجها بالسفه والجنون، ولانتشر خبره في الجرائد، وفضحته زوجته على رؤوس الأشهاد - إلا مَنْ رحم الله -.

٥- ثابت بن قيس من أهل الجنة

عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

كان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ وأنا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزيناً.

ففقده رسول الله ﷺ فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له: تفقدك رسول الله ﷺ مالك؟ قال أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار.

فأتوا النبي ﷺ فأخبروه بما قال فقال النبي ﷺ: «**لا، بل هو من أهل الجنة**».

قال أنس ﷺ فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة. فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه، فقال: بئسما تعودون أقرانكم، فقاتلهم حتى قُتِلَ ﷺ.[1]

---

(١) رواه أحمد في المسند واللفظ له، ومسلم نحوه.

هكذا كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين إذا سمعوا آيات الله ظنوا أنها ما أنزلت إلا فيهم، وما تخاطب إلا هم أما نحن فشتان ما بيننا وبينهم نسمع آيات الله ونظن أنها نزلت لغيرنا، فكان هذا حال السلف وهذا حالنا فإلى الله المشتكى!.

٦- معقل بن يسار بين السمع والطاعة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ...﴾[البقرة: ٢٣٢].

عن معقل بن يسار أنها نزلت فيه. قال: زوجت أختاً لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له زوجتك وأفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ...﴾ فقلت: الآن أفعل يا رسول الله!، قال: فزوجها إياه.

وفي رواية أبي مسلم الكجي من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن (فسمع ذلك معقل بن يسار فقال: سمعاً لربي وطاعة، فدعا زوجها فزوجها إياه)(١).

لو نظرت - أخي الحبيب - إلى واقعنا لوجدت الكثير من المشاكل، إنما هي مشاكل عائلية نتيجة خلافات تافهة بسيطة، ولكن عناد الأب أو الأخ غالباً ما يؤدي إلى تفاقمها، مما يؤدي إلى انهيار الأسر، وتصدع البيوت وتفكك الأواصر والعلاقات.

---

(١) رواه البخاري – فتح الباري (٩/ ٨٩) حديث (٥١٣٠) طبعة الريان.

ولو توفر لدينا السمع والطاعة لأوامر القرآن الكريم كما توفر لدى السلف الصالح لما امتلأت المحاكم بالقضايا والشوارع بالمتشردين. فإلى العمل بالقرآن الكريم يا عباد الله.

٧- زينب بنت جحش أم المؤمنين - رضي الله عنها -:

عن قتادة قال: خطب النبي ﷺ زينب وهي - بنت عمته - وهو يريدها لزيد، فظنت أنه يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت، فأنزل الله - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] فرضيت وسلمت.(١)

هذه بعض النماذج المشرقة من عمل السلف الصالح بالقرآن الكريم، وهذا غيض من فيض، وقطر من بحر، والأمثلة في هذا الباب أكثر من أن تسطر، ولكن اللبيب تكفيه الإشارة، والسعيد من وعظ بغيره.

(١) رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح. قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٩٢. طبعة دار الريان للتراث عام ١٤٠٧هـ.

الباب الخامس

هجر التداوي والاستشفاء بالقرآن الكريم

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: المرض - أنواعه - وعلاجه.

الفصل الثاني: الصرع - أدلته - أنواعه - أسبابه.

الفصل الثالث: الرقية - حكمها - أقسامها - بدع المعالجين.

الفصل الرابع: صور من هجر التداوي والاستشفاء بالقرآن الكريم.

الفصل الأول

المـرض

وفيه سبعة مباحث:

أولاً: تعريف المرض.

ثانياً: أنواع المرض.

ثالثاً: ماذا يعني المرض عند المسلم؟

رابعاً: الأمر بالتداوي وحكمه.

خامساً: الدعاء من أنفع الأدوية.

سادساً: القرآن علاج وشفاء.

سابعاً: أحاديث ضعيفة في التداوي للتحذير منها.

الفصل الأول

المـــرض

أولاً: تعريف المرض:

المرض: هو ما خرج بالكائن الحي عن حد الصحة والاعتدال.

المريض: مَنْ به مرض أو نقص أو انحراف. ويقال: قلب مريض: ناقص الدين، ورأي مريض: ضعيف أو فيه انحراف عن الصواب.

جمع المريض، والمريضة: مَرْضَى أو مِرَاض.[1]

ثانياً: أنواع المرض:[2]

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله -: (المرض نوعان:

١- مرض القلوب. **٢- مرض الأبدان.**

ومرض القلوب نوعان:

أ- مرض شبهة وشك. **ب- مرض شهوة وغي.**

قال تعالى في مرض الشبهة: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[البقرة: ١٠].

---

(١) المعجم الوجيز ص (٥٧٨)، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم بمصر، سنة ١٤١٠هـ.

(٢) انظر الكتب الآتية: زاد المعاد (٤/ ٥-١٢) طبعة الرسالة، فتح الباري (١٠/ ١٠٨، ١٤٠) طبعة الريان، إغاثة اللهفان (١٩-٢١) طبعة دار الحديث.

وقال تعالى في حق مَنْ دُعِيَ إلى تحكيم القرآن والسنة، فأبى وأعرض: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ [النور: ٤٨ – ٤٩]. فهذا مرض الشبهات والشكوك.

وأما مرض الشهوات: قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. فهذا مرض شهوة الزنا، والله أعلم.

وأما مرض الأبدان: قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور: ٦١]. وذكر مرض البدن في الحج(١) والصوم(٢) والوضوء(٣) لسر بديع يبين لك عظمة القرآن والاستغناء به لمن فهمه وعقله عن سواه، **وذلك أن قواعد طب الأبدان ثلاثة:**

١- ضبط الصحة.

٢- الحمية عن المؤذي.

٣- استفراغ المواد الفاسدة.

فذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة في هذه المواضع الثلاثة.

---

(١) قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾[البقرة: ١٩٦].

(٢) قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٤].

(٣) قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء: ٤٣].

ثالثاً: ماذا يعني المرض عند المسلم؟

إن الناظر في الشريعة الإسلامية يجد أن المرض عند المسلم يعني أموراً عدة منها:

١ـ المرض عقوبة:

إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون... فإذا رأيت البلاء في الأجساد، فإنك إنما ترى أثر بعض الذنوب التي قدمتها أيدي الناس... فما من خدش عود، ولا اختلاج عرق، ولا عثرة قدم، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله –: (أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما من سيئات تقدمت لكم، ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾، أي من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها، ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [النحل: ٦١])[1].

وتعجيل العقوبة في الدنيا من فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين، فهذا خير من أن تجتمع على العبد الذنوب فتطرحه في النار... ولا يعني ذلك تَمَنِّي المرض، بل نسأل الله العافية، فإن أُصِبْتَ شكرت ؛ لعلمك أنها رحمة وعدل ... رحمة إذ عُجِلَ لك ذلك في الدنيا، وعدل إذ أنه ما أصابك إلا بذنب مما كسبت يداك.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١١٦) طبعة المكتبة القيمة.

٢- المرض كفارة:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مصيبة تصيب المسلم - وفي رواية: ما من وجع أو مرض يصيب المؤمن - إلا كَفَّرَ الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها**»(١).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم من نصبٍ (تعب) ولا وَصَبٍ (مرض) ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كَفَّر الله بها خطاياه**»(٢).

ومن حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحاتَّ ورَقُ الشجر**»(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يَلْقَى الله وما عليه خطيئة**»(٤).

عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: «**إذا اشتكى المؤمن أخلصه الله كما يخلص الكير خبث الحديد**»(٥).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل

---

(١) رواه البخاري (٥٦٤٠).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢).

(٣) رواه البخاري (٥٦٤٧). ومعنى (تحات): سقوط الورق عن الغصن. (لسان العرب: ٢/ ٢٢).

(٤) (صحيح) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨١٥).

(٥) (صحيح) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وابن أبي الدنيا في (المرض والكفارات). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح ١٢٥٧ طبعة المكتب الإسلامي.

مؤمن؛ لأن الآدمي لا ينفك غالباً من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك مما ذكر، وإن الأمراض والأوجاع والآلام - بدنية كانت أو قلبية - تكفر ذنوب مَنْ تقع له ... وظاهره تعميم جميع الذنوب، لكن الجمهور خصُّوا ذلك بالصغائر لقوله ﷺ في الحديث «**... ما اجتنبت الكبائر**» فحملوا المطلقات الواردة في تكفير السيئات على هذا المقيد ... ويحتمل أن يكون معنى هذه الأحاديث التي ظاهرها التعميم أن المذكورات صالحة لتكفير الذنوب، فيكفر الله بها ما شاء من الذنوب، ويكون كثرة التكفير وقلته باعتبار شدة المرض وخفته ... ثم المراد بتكفير الذنب ستره، أو محو أثره المترتب عليه من استحقاق العقوبة)[1].

٣ـ المرض منزلة ودرجة:

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يقول: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه (عينيه) فصبر عوضته منهما الجنة**»[2].

وقال ﷺ: «**مَنْ أُعْطِيَ فشكر، وابْتُلِيَ فصبر، وظَلَم فاستغفر، وظُلِمَ فغفر، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**»[3].

وقال ﷺ: «**المبطون شهيد، والمطعون شهيد**»[4].

وقال ﷺ: «**مَنْ يرد الله به خيراً يُصب منه**»[5].

---

(١) فتح الباري (١٠/ ١١٣) بتصرف، طبعة الريان.

(٢) رواه البخاري (٥٦٥٣).

(٣) (سنده حسن) أخرجه الطبراني بإسناد حسن، الفتح (١٠/ ١١٤).

(٤) (صحيح) رواه مالك، وأبوداود والنسائي وابن ماجه، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص(٣٩، ٤٠) طبعة المكتب الإسلامي.

(٥) رواه البخاري (٥٦٤٥)، انظر صحيح الجامع (٦٦١٠). طبعة المكتب الإسلامي.

فَعُلِمَ من مجموع هذه الأحاديث أن المرض منزلة من الله - عز وجل - وخير أراده لعبده، قد ينال العبد به عند الله درجة، وقد ينال به شهادة، وقد يحصل له به الأمن والهداية، بل وقد يبلغه إلى الجنة... فيا عبدالله! يا مَنْ ابتلاك الله بألم أو مرض، اعلم أن مولاك إنما ابتلاك ليكفر سيئاتك، ابتلاك ليختبر صبرك، ليضاعف أجرك..، ابتلاك ليرفع درجتك.. فهلاَّ صبرت واحتسبت؟ فقد جاء في الحديث **«وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء»**[1].

رابعاً: الأمر بالتداوي:

عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: **«لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله - عز وجل - »**[2].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء»**[3].

عن أسامة بن شريك، قال: كنت عند النبي ﷺ، وجاءت الأعراب، فقالوا: يارسول الله! أنتداوى؟. قال: **«نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله - عز وجل - لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد»**، قالوا: وما هو؟ قال: **«الْهَرَمُ»**[4].

---

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٤)، صحيح ابن ماجه (٣٢٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٤) في السلام: باب لكل داء دواء واستحباب التداوي.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٧٨)، وابن ماجه (٣٤٣٩).

(٤) (إسناده صحيح) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، وأبوداود (٣٨٥٥)، والترمذي (١٣٩٥) وصححه الأرناؤط في زاد المعاد (٤/ ١٣)، وصححه الألباني في غاية المرام (١٧٩).

قال ﷺ: «**إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه مَنْ علمه، وجهله مَنْ جهله**»(١).

ويستفاد من الأحاديث ما يلي:(٢)

١- إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال مَنْ أنكرها، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وتقديره، وأنها لا تنجح بذواتها بل بما قدره الله فيها.

٢- قوله «**لكل داء دواء**» على عمومه حتى يتناول الأدوية القاتلة، والتي اعترف حذاق الأطباء بأنه لا دواء لها، وأقروا بالعجز عن مداواتها ....، وكما فيها أيضاً تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب الدواء والتفتيش عنه، وفي ذلك فتح لباب الرجاء.

٣- الأمر بالتداوي لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها. بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطِّلُها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزاً ينافي التوكل الذي حقيقته اعتمادُ القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً، وتوكله عجزاً.

---

(١) (حديث صحيح) أخرجه أحمد (٢٧٨)، وابن ماجه (٣٤٣٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥١).

(٢) انظر زاد المعاد (٤/ ١٤-١٧)، فتح الباري (١٠/ ١٤١-١٤٢).

أنواع الطب:

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: والطب نوعان:

١- طب القلوب ومعالجته: وهذه خاصة ومسلمة بما جاء به الرسول ﷺ عن ربه سبحانه وتعالى.

٢- طب الجسد:

أ- منه ما جاء في المنقول عن الرسول ﷺ مثل الرقية والدعاء.

ب- ومنه ما جاء عن غيره ﷺ، وغالبه راجع إلى التجربة.

ثم هو نوعان:

١- نوع لا يحتاج إلى فكر ونظر بل فطر الله على معرفته الحيوانات، مثل ما يدفع الجوع والعطش.

٢- نوع يحتاج إلى فكر ونظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرج عن الاعتدال، وهو إما حرارة أو برودة. وغالب معرفته بتحقيق الأسباب والعلامة)[1].

حكم التداوي:

اختلف العلماء في التداوي: هل مباح وتركه أفضل، أم مستحب أم واجب؟

فالمشهور عن أحمد: الأول، والمشهور عند الشافعية: الثاني، حتى ذكر النووي في شرح مسلم: أنه مذهبهم، ومذهب جمهور السلف وعامة الخلف، واختاره الوزير أبوالمظفر، قال: (ومذهب أبي حنيفة: أنه مؤكد حتى يداني به الوجوب). قال: ومذهب مالك: أنه يستوي فعله وتركه، فإنه قال لا بأس بالتداوي ولا بأس بتركه.[2]

---

(1) فتح الباري (١٠/ ١٤٠) بتصرف يسير.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٩٠، ٩١) بنحوه.

قال شيخ الإسلام: (ليس بواجب عند جماهير الأئمة، وإنما أوجبه طائفة قليلة من أصحاب الشافعي وأحمد).[1]

والذي يظهر - والله أعلم - أن التداوي من الأمراض يعتريه الأحكام التكليفية الخمسة:

١- **الوجوب**: عند تحقق الشفاء التام وخوف الهلاك والتلف.

٢- **الندب**: عند غلبة الظن في تحقق الشفاء ودفع المرض.

٣- **الإباحة**: مثل كثير من الأمراض التي لا تسبب هلاكاً ولا يتوقع منها تلف.

٤- **الكراهة**: مثل الكي.

٥- **التحريم**: مثل التداوي بالمحرم كالتداوي بالخمر والسحر ونحو ذلك.

خامساً: الدعاء من أنفع الأدوية:

قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال أيضاً: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:[2] (والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٤/ ٢٦٩).

(2) الداء والدواء ص (١٠-١٢) تحقيق محمد عبدالملك الزغبي، طبعة مكتبة فياض بالمنصورة.

البلاء، ويدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن كما روى الحاكم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض**»(1).

وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه.

وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**».(2)

وفيه أيضاً من حديث ثوبان عن النبي ﷺ: «**لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**».(3)

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (فمن ينكر التداوي بالدعاء يلزمه أن ينكر التداوي بالعقاقير ولم يقل بذلك إلا شذوذ، والأحاديث الصحيحة ترد عليهم، وفي الالتجاء إلى الدعاء مزيد فائدة ليست في التداوي بغيره، لما فيه من

---

(1) (الحديث موضوع) انظر السلسلة الضعيفة للألباني (١٧٩).

(2) (حسن) رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم في مستدركه عن عائشة وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٣٩).

(3) (حسن) إلا الجملة الأخيرة «**إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**» ضعيف، راجع السلسلة الصحيحة (١٥٤).

الخضوع والتذلل للرب سبحانه، بل منع الدعاء من جنس ترك الأعمال الصالحة اتكالاً على ما قدر، فيلزم ترك العمل جملة، ورَدُّ البلاء بالدعاء كرد السهم بالقوس، وليس من شروط الإيمان بالقدر أن لا يتترس من رمي بالسهم، والله أعلم).

سادساً: القرآن علاج وشفاء:

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله-: (قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] والصحيح: أن (من) هاهنا، لبيان الجنس لا للتبعيض، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وما كل أحد يُؤَهَّل يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداءُ أبداً.

وكيف تقاوم الدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال، لَصدَعَهَا، أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا في القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه، والحمية منه لمن رزقه الله فهماً في كتابه).(١)

وقال ابن القيم في تعليقه على الفاتحة: (وحق لسورة تشمل على هذين الشفاءين: الأبدان والأرواح أن يستشفي بها من كل مرض. ولقد جربت ذلك في نفسي وفي غيري أموراً عجيبة، ولاسيما في مدة المقام بمكة فإنه كان يعرض لي آلامٌ مزعجة بحيث تكاد تقطع الحركة مني في الطواف فأبادر إلى قراءة الفاتحة، وأمسح بها

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٥٢) بتصرف. طبعة الرسالة.

على محل الألم، فكأنه حصاة تسقط، ولقد جربت ذلك مرات عديدة).[1]

أحاديث ضعيفة وردت في فضل التداوي بالقرآن

هذه بعض الأحاديث التي اشتهرت على الألسنة وسطرت في الكتب وتناقلها الخطباء نذكرها هنا للتحذير منها وبيان حالها؛ لأن في الأحاديث الصحيحة الواردة غنية عن الضعيف وحتى لا نقع تحت قوله ﷺ: «**مَنْ يقل عليَّ ما لم أقل فهو أحد الكاذبين**».

١- عن علي مرفوعاً: «**خير الدواء القرآن**».

(ضعيف)، ضعيف ابن ماجه (٧٧٤، ٧٦٧)، ضعيف الجامع (٢٨٨٥).

٢- حديث «**خذوا من القرآن ما شئتم لما شئتم**».

(لا أصل له) السلسلة الضعيفة (٥٥٧).

٣- عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً: «**عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن**».

(ضعيف مرفوعاً، صحيح موقوفاً) السلسلة الضعيفة (١٥١٤)، ضعيف الجامع (٣٧٦٥).

٤- عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن رجل عن أبيه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي وجع.

فقال: «**ما وجع أخيك؟**».

قال: به لمم (اللمم: طرق من الجنون يلم بالإنسان ويعتريه).

قال: «**فابعث به إليَّ**».

---

(١) راجع كتاب الداء والدواء ص (٩) طبعة دار المنار.

فجاء، فجلس بين يديه، فقرأ عليه النبي ﷺ: فاتحة الكتاب، وأربع آيات من أول سورة البقرة، وآيتين من وسطها ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٣ – ١٦٤]. حتى فرغ من آخر سورة البقرة. وآية من أول سورة آل عمران ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]. وآية من سورة الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. وآية من سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]. وعشر آيات من سورة الصافات من أولها، وثلاثاً من سورة الحشر، وقل هو الله أحد، والمعوذتين.

(**إسناده ضعيف جداً**) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٣٢)، والطبراني في الدعاء (١٠٨٠)، من طريق أبي جناب يحيى بن أبي حية عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن رجل عن أبيه وهذا (إسناد ضعيف جداً) فيه علتان:

الأولى: جهالة الرجل وأبيه.

الثانية: يحيى بن أبي حية، ضعفوه لكثرة تدليسه.

راجع كتاب (صحيح الأذكار وضعيفه) للنووي، بقلم سليم عيد الهلالي، المجلد الأول ص (٣٥٤-٣٥٥) طبعة مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة.

والحديث ضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٧٧٨) طبعة المكتب الإسلامي.

الفصل الثاني

الصـــرع

وفيه خمسة مباحث:

أولاً: تعريف الصرع.

ثانياً: الأدلة على إثبات الصرع.

ثالثاً: أنواع الصرع.

رابعاً: أسباب الصرع الجني والطبي.

خامساً: أسباب انتشار ظاهرة الصرع.

الفصل الثاني

الصــــرع

إن الصرع، والمس، والسحر من الأمور التي انتشرت في هذا الزمان بـصورة كبيرة، حتى اختلط على كثير من الناس التفريق بين الصرع الجني والصرع الطبي، وبينهما وبين الوهم الذي يدعيه الكثير من المرضى للهرب من مشكلاتهم الخاصة.

وفي هذا الفصل تفصيل لهذه المسألة في ضوء الكتاب والسنة.

أولاً: تعريف الصرع:

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (هي علة تمنع الأعـضاء الرئيـسية عـن انفعالها منعاً غير تام، وسببه ريح غليظة تنحبس في منافذ الدماغ، أو بخـار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء، وقد يتبعه تشنج في الأعضاء فـلا يبقـى الـشخص معه منتصباً بل يسقط ويقذف بالزبد لغلظ الرطوبة، وقد يكون الصرع من الجن، ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم، إما لاستحسان بعض الصور الإنسية وإمـا لإيقاع الأذية به، والأول هو الذي يثبته جميع الأطباء ويـذكرون علاجـه، والثـاني يجحده كثير منهم، وبعضهم يثبته ولا يعرف له علاجاً إلا بمقاومة الأرواح الخيرة العلوية لتندفع آثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطل أفعالها).[1]

---

(1) فتح الباري (١٠/ ١١٩) طبعة الريان.

ثانياً: الأدلة على إثبات الصرع:

لقد وردت الأدلة من القرآن الكريم على أن الصرع أمر واقع وحقيقي، ولا ينكره إلا مكابر ومعاند.

أولاً: الأدلة من القرآن:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[البقرة: ٢٧٥].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: (في هذه الآية دليل على فساد مَنْ أنكر الصرع من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس).[1]

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ الآية. أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشياطين له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً).[2]

ثانياً: الأدلة من السنة:

١- عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف، فأدع الله لي. قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**». فقالت: أصبر. فقالت إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها.

(1) تفسير القرطبي (٢/ ٢٢٣) طبعة دار الفكر.

(2) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٦) طبعة المكتبة القيمة.

عن ابن جريج أخبرني عطاء أنه رأى أم زفر، تلك المرأة الطويلة السوداء، على ستر الكعبة [1].

قال الحافظ ابن حجر: (وفي الحديث فضل مَنْ يُصْرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة، وفيه دليل على جواز ترك التداوي، وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجح وأنفع من العلاج بالعقاقير)[2].

٢- عن عثمان بن أبي العاص ﷺ قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ. فقال: «**ابن أبي العاص**» قلت: نعم يا رسول الله!. قال: «**ما جاء بك؟**» قلت: يا رسول الله! عرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي. قال: «**ذاك الشيطان. ادنه**» فدنوت منه فجلست على صدور قدمي قال: فضرب صدري بيده وتفل في فمي وقال: «**اخرج عدو الله**» فعل ذلك ثلاث مرات ثم قال: «**الحق بعملك**» قال: فقال عثمان: فلعمري ما أحسبه خالطني بعد.[3]

قال العلامة الألباني - رحمه الله -: (وفي الحديث دلالة صريحة على أن الشيطان قد يتلبس الإنسان ويدخل فيه ولو كان مؤمناً صالحاً)[4].

---

(1) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(٢) الفتح (١٠/ ١٢٠).

(3) (حديث صحيح) أخرجه ابن ماجة (٣٥٤٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩١٨).

(4) السلسلة الصحيحة (٦/ ١٠٠٢) طبعة مكتبة المعارف بالرياض.

٣- عن يَعْلَى بن مُرَّة ﷺ قال: لقد رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثاً ما رآها أحد قبلي، ولا يراها أحد بعدي: لقد خرجت معه في سفر، حتى إذا كنا ببعض الطريق، مررنا بامرأة جالسة، معها صبي لها، فقالت: يا رسول الله!، هذا صبي أصابه بلاء، وأصابنا منه بلاء، يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة، قال: «**ناولنيه**»، فرفعته إليه، فجعلته بينه وبين واسطة الرحل، ثم فغر فاه، فنفث فيه ثلاثاً، ثم قال: «**بسم الله أنا عبدالله، اخسأ عدو الله**» ثم ناولها إياه، فقال: «**ألفينا في الرجعة في هذا المكان، فأخبرينا ما فعل**» قال: فذهبنا، ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث. فقال ﷺ: «**ما فعل صبيك؟**» فقالت: والذي بعثك بالحق، ما حسسنا منه شيئاً حتى الساعة، فاجتزر هذه الغنم، قال: «**انزل فخذ منها واحدة ورد البقية...**»(١)

ثالثاً: أنواع الصرع:

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (الصرع صرعان:

الأول: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية.

الثاني: صرع من الأخلاط الرديئة، وهو الذي يتكلم الأطباء في سببه وعلاجه.

أما صرع الأرواح: فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدافع آثارها، وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد نص على ذلك أبقراط في بعض

---

(١) (إسناده جيد) رواه أحمد والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الألباني بعد أن ساق طرق الحديث: (وبالجملة فالحديث بهذه المتابعات جيد) السلسلة الصحيحة، (١/ ٧٩٧).

كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة. وأما الصرع الذي يكون من الأرواح، فلا ينفع هذا العلاج.

وأما صرع الأخلاط: فهو علة تمنع الأعضاء النفسية عن الأفعال والحركة والانتصاب منعاً غير تام).

رابعاً: أسباب الصرع الجني والطبي:

عرفنا أن الصرع قسمان: صرع من قبل الجن، وآخر من قبل المرض، ولكل واحد منهما أسبابه التي تختلف عن الآخر.

أولاً: أسباب الصرع الجني:

(ويمكن تلخيص أسباب مس الجن للإنس فيما يلي:

١- عشق الجني للإنسية، أو عشق الجنية للإنسي.

٢- ظلم الإنسي للجني، بصب ماء ساخن عليه، أوبالوقوع عليه من مكان عالٍ، وغير ذلك.

٣- ظلم الجني للإنسي، كأنه يمسه دون سبب، ولا يتسنى له ذلك، إلا في حالة من هذه الحالات الأربع:

أ- الغضب الشديد. **ب- الخوف الشديد.**

جـ- الإنكباب على الشهوات. **د- الغفلة الشديدة).**[1]

٤- **قلنا:** ويمكن أن يمس الجني الإنسي بدون سبب ويكون الإنسي مؤمناً

---

(1) وقاية الإنسان من الجن والشيطان (٧٤-٧٥) لوحيد عبدالسلام بالي. طبعة مكتبة الصحابة. الطبعة العاشرة.

صالحاً، مثل: عثمان بن أبي العاص ﷺ، والمرأة السوداء وأنه يقع كنوع من الابتلاء والاختبار ؛ إما لتكفير الذنوب أو لرفع المنزلة والدرجة في الآخرة. والله أعلم.

ثانياً: أسباب الصرع الطبي:

(الصرع من أقدم الأمراض المعروفة، ومع تقدم الطب تبين أن السبب هو وجود بؤرة في مكان ما في المخ تصدر شحنة كهربائية زائدة، ويتمثل المرض في نوبة هياج عصبي تبدأ تلقائياً، وتنتشر في أجزاء الجسم، ثم تنتهي دون أي تدخل خارجي، وليس بالضرورة أن يغيب الشخص عن الوعي. وتظهر آثاره بشكل معين في رسام المخ الكهربائي.

أسباب المرض في الطفولة:

١ - التشنجات المصاحبة للحميات، وهي من أهم الأسباب ما بين (٢-٥) سنوات.

٢- إصابات الرأس قبل الولادة.

٣- الالتهاب السحائي أو وجود خراج بالمخ.

٤- نزيف داخلي.

٥- أمراض التمثيل الغذائي مثل نقص الكالسيوم في الدم.

٦- التسمم بالرصاص.

٧- بعض حالات التخلف العقلي.

الأسباب في البالغين :

١ - الأورام المختلفة داخل المخ.

٢- أمراض الأوعية الدموية بالمخ الناتجة من ضغط الدم المرتفع، أو نزيف

داخلي، أو جلطة. وكلها من أهم الأسباب لمن هم فوق سن الخمسين.

٣- إصابات الدماغ.

٤- الالتهابات المختلفة للمخ وأغشيته.

٥- بعض أنواع السموم خصوصاً إدمان الكحولات).(١)

خامساً: أسباب انتشار ظاهر الصرع:

إن الناظر في أحوال الناس في الآونة الأخيرة يسمع كلاماً كثيراً عن حالات الصرع الذي انتشر انتشاراً واسعاً في جميع المستويات والطبقات، حتى أصبحت من جملة الظواهر التي يعاني منها المسلمون، والواضح أن هناك أسباباً كثيرة أدت إلى هذه الظاهرة، منها:

١- الوهم:

(الوهم مرض نفسي خبيث، وقد كان لخوف الناس من الجن والشيطان دور كبير في حصول هذا الوهم، وبدأ كثير من الناس يربط بين مرض معين أصابه، أو مشكلة في حياته، أو خلافات زوجية عادية أو حادثة معينة حدثت له، وبين أمور أخرى، فأخذ يقلب في ذاكرته عن سبب هذه المشكلة، أو تلك الخلافات، فاعتقد أن فلاناً من الناس قد أصابه بعين، أو أنه وقع يوماً ما فأصابه الجن بالمس، ثم يحكي أعراضاً يُحس بها.

وفي الحقيقة: إن مرض الوهم إذا أصاب الإنسان، كان أخطر من المرض

(١) الصرع الأسباب وطرق التشخيص والعلاج مقال بمجلة التوحيد للدكتور عادل راشد ص (٣٤-٤١) العدد (٩) السنة (٢١).

الحقيقي، لأن مس الجن يزول بفضل الله أمام الرقية بالقرآن الكريم، أما مرض الوهم فهو في دَوَّامة لا تنتهي، والحقيقة أن المترددين على المعالجين بالقرآن الكريم نسبة كبيرة منهم مرضى بالوهم والقلة القليلة مَنْ به مس من الجن) [1].

٢- الفراغ:

قال الحسن البصري: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

إن الفراغ والخواء قد ملأ القلوب، فوجد الشيطان فيها أرضاً خصبة، فصال وجال، وبذر وزرع وحصد.

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

٣- كثرة كتب الجن والشياطين:

إن الناظر في المكتبات الإسلامية يجد العشرات، بل المئات من الكتب التي تتحدث عن الجن والشيطان، وحالات المس والصرع، والحسد، والربط...، وغيرها من القضايا المختلفة، فضلاً عن انتشار أشرطة المعالجين بين الناس، وكذلك الإعلان عن مراكز العلاج الروحاني أو العلاج بالقرآن الكريم في كثير من الصحف والمجلات، وتبني بعض الأحزاب السياسية لهذا الموضوع ؛ لرفع رصيدها الشعبي بين الناس.

٤- حب الاستطلاع:

إن حب الاستطلاع والتشوق إلى معرفة الأخبار الغريبة، والحكايات العجيبة، وبخاصة مما يتعلق بالغيب، ومن الأمور التي يقبل عليها الناس؛ ولذلك

(1) الصرع أسبابه وعلاجه للدكتور/ سعيد عبدالعظيم (٤٩-٥٢) بتصرف طبعة دار الإيمان الإسكندرية.

أشبع القرآن الكريم هذه الناحية بالحديث عن الغيبيات كالملائكة والجن والجنة والنار... وغيرها.[1]

٥- جهل كثير من المعالجين:

إن جهل كثير من المعالجين بحقيقة الجن والشياطين والأمراض العضوية أدى إلى عدم التفريق بينها مما زاد من حجم المشكلة وأدى إلى تفاقمها وسنعرض لشيء من أخطائهم في المباحث القادمة - إن شاء الله -.

---

(1) وقفة مع الجن للدكتور / محمد أحمد إسماعيل المقدم محاضرة مسجلة على (٤) أشرطة تسجيلات دار بلال الإسكندرية.

الفصل الثالث

الرقية الشرعية

وفيه خمسة مباحث:

أولاً: تعريف الرقية.

ثانياً: حكم الرقية وشروطها.

ثالثاً: أقسام الرقى.

رابعاً: بعض الرقى من القرآن والسنة.

خامساً: بدع ومخالفات المعالجين.

الفصل الثالث

الرقية الشرعية

أولاً: تعريف الرقية الشرعية:

(الرقية: العوذة، معروفة، قال رؤبة:

فـما تركـا مـن عـوذة يعرفانهـا ولا رقيـة إلا بهـا رقيـاني)[1]

(والعوذة والمعاذات والتعويذ: الرقية ما يُرْقَى به الإنسان من فزع أو جنون، لأنه يُعَاذ بها وقد عوَّذه، يقال: عوذت فلاناً بالله، وبأسمائه، وبالمعوذتين، إذا قلت: أعيذك بالله، وبأسمائه من كل ذي شر)[2].

ثانياً: حكم الرقية وشروطها:

الرقية مشروعة، وجائزة، دل على ذلك أحاديث كثيرة منها:

١ - عن أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة[3] فقال: «**استرقوا لها فإن بها النظرة**»[4].

---

(1) لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٣٣٢) طبعة دار صادر بيروت.

(2) المرجع السابق (٣/ ٤٩٩) نقلاً عن الرقى على ضوء الكتاب والسنة. د. علي العلياني ص (٧).

(3) السفعة: سواد في الوجه، وقيل لون يخالف لون الوجه. الفتح (١٠/ ٢١٢).

(4) رواه البخاري (٥٧٣٩) والمراد بالنظرة: أنها أصيبت بالعين سواء من الجن أو الإنس، الفتح (١٠/ ٢١٣).

٢- عن عائشة - رضي الله عنها - قالت:(كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وبالمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يداه من جسده).[١]

قال العلامة الألباني - رحمه الله -: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها أو ترقيها فقال: «**عالجيها بكتاب الله**»[٢].

(وفي الحديث مشروعية الترقية بكتاب الله تعالى، ونحوه مما ثبت عن النبي ﷺ من الرقي... وأما غير ذلك من الرقى فلا تشرع، لاسيما ما كان منها مكتوباً بالحروف المقطعة، والرموز المغلقة، التي ليس لها معنى سليم ظاهر، كما ترى أنواعاً كثيرة منها في الكتاب المسمى بـ(شمس المعارف الكبرى) ونحوه).[٣]

شروط الرقية الجائزة:

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١- أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

٢- وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

٣- وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى.

واختلفوا في كونها شرطاً، والراجح أنه لابد من اعتبار الشروط المذكورة، ففي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا:

---

(1) رواه مسلم (٢١٩٩).

(2) (إسناده صحيح) ابن حبان (١٤١١٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٣١).

(3) السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٦٦).

يا رسول الله كيف ترى ذلك؟ قال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**» وله من حديث جابر نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله! إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، قال: فَعَرَضُوا عليه فقال: «**ما أرى بأساً، من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه**»[1].

قال العلامة الألباني - رحمه الله -: (وفي الحديث استحباب رقية المسلم بما لا بأس به من الرقى وذلك ما كان معناه مفهوماً مشروعاً، وأما الرقى بما لا يعقل معناه من الألفاظ فغير جائز. قال المناوي: وقد تمسك ناس بهذا العموم، فأجازوا كل رقية جربت منفعتها، وإن لم يعقل معناها، لكن دل حديث عوف الماضي أن ما يؤدي إلى شرك يمنع، وما لا يعرف معناه لا يؤمن أن يؤدي إليه، فيمنع احتياطاً).[2]

ثالثاً: أقسام الرقى:

تنقسم الرقى إلى قسمين بهذه الاعتبارات:

أولاً: باعتبار الراقي.

ثانياً: باعتبار الزمن.

ويتضح هذا التقسيم من خلال العرض الآتي:

أولاً: باعتبار الراقي وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- أن يرقي الإنسان نفسه، وتعتبر هذه من أفضل المنازل، وأقربها للقبول، وذلك لأن المريض هو المضطر والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ

---

(1) فتح الباري (١٠/ ٢٠٦).

(2) السلسلة الصحيحة للألباني (١/ ٨٤٤). الطبعة الجديدة مكتبة المعارف.

إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]. والرقية كالدعاء تماماً، لكنها دعاء خاص بطلب الشفاء، فالأولى أن يدعو الإنسان لنفسه، وأن يرقي نفسه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

(وفي رقية الإنسان لنفسه فوائد منها:

١- كمال الإتباع للنبي ﷺ فقد كان إذا اشتكى هو أو أحد من أهل بيته نفث عليه بالمعوذات.

٢- أكمل للتوكل وتعلق القلب بالله.

٣- أقرب إلى إجابة الدعاء لأن العبد الداعي هو المضطر.

٤- أدعى للسلامة من الانخداع ببعض الدجالين.

٥- أحفظ للنساء وأدعى لصيانتهن من التعرض للرجال الأجانب).(1)

٦- رجاء أن يكون الشخص من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

٢- أن يرقي الإنسان غيره:

وذلك أن يرى الإنسان شخصاً تظهر عليه علامات المرض، فيرقيه من قبل نفسه، بدون أن يطلب المريض منه ذلك لقوله ﷺ: «**مَنْ استطاع منكم أن**

---

(1) رسالة السحر والعين والرقية منها لفهد بن سليمان القاضي ص (١٣، ١٤).

ينفع أخاه فليفعل».[1]

ومثلما فعل جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ حينما اشتكى فرقاه جبريل من غير طلب من الرسول - عليه الصلاة السلام - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد! اشتكيت. قال: «**نعم**». قال: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك.[2].

ولقد رخص النبي ﷺ لأهل المريض أن يطلبوا الرقية له، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: أمرني النبي ﷺ - أو أمر - أن يسترقي من العين.[3]

وقال أيضاً: لما رأى في بيت أم سلمة جارية في وجهها سفعة: «**استرقوا لها فإن بها النظرة**»[4].

قال العلامة الألباني في بيان معنى «استرقوا»: (أي اطلبوا الرقية لها لا لكم).[5]

٣- أن يطلب المريض من غيره أن يرقيه:

لقد مدح النبي ﷺ مَنْ لا يطلب الرقية من غيره، لكمال توكله على الله - عز وجل - فقال في وصف السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: «**أنهم لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**»[6] والاسترقاء هو

---

(1) مسلم (٢١٩٩).

(2) رواه مسلم ح (٢١٨٦).

(3) رواه البخاري (٥٧٣٨).

(4) رواه البخاري (٥٧٣٩).

(5) كيف يعالج المصروع محاضره للألباني. تسجيلات القدس. جدة.

(6) متفق عليه. رواه البخاري (٥٧٣٩). ومسلم (٢١٩٧).ولفظة (لا يرقون) شاذة. راجع السلسلة الصحيحة للألباني ح (٢٤٤).

طلب الرقية من الغير، والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائل مستعط ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي محسن.[1]

عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ اكتوى أو استرقى؛ فقد بريء من التوكل**»[2].

قال العلامة الألباني - رحمه الله -: (وفيه كراهة الاكتواء والاسترقاء: أما الأول؛ فلما فيه من التعذيب بالنار، وأما الآخر؛ فلما فيه من الاحتياج إلى الغير فيما الفائدة فيه مظنونة غير راجحة، ولذلك كان من صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. كما ثبت في حديث ابن عباس ﷺ عند الشيخين)[3].

وقال أيضاً: (قال أهل العلم: لأن طلبك الرقية من غيرك علاج غير ناجح غالباً، أو قد ينجح، إذن في هذه الحالة يحسن بالمسلم أن يتوكل على الله، ولذلك أنهى الحديث بقوله: «**وعلى ربهم يتوكلون**»)[4].

ثانياً: أقسام الرقي باعتبار الزمن:

تنقسم الرقى باعتبار الزمن إلى قسمين:

أ- رقية لدفع البلاء قبل وقوعه، ومن أدلتها:

١- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان النبي ﷺ **يُعَوِّذُ** الحسن

(1) فتح المجيد ص (٨٤) طبعة مؤسسة قرطبة.

(2) (صحيح) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه وابن ماجة والحاكم. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٤).

(3) السلسلة الصحيحة (١/ ٤٩٠).

(4) كيف يعالج المصروع.

والحسين، ويقول: «**إن أباكما يُعَوِّذُ بها إسماعيل وإسحق، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**»(1).

٢- عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قال في أول يومه أو في أول ليلته بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات، لم يضره شيء في ذلك اليوم أو في تلك الليلة**»(2).

ب- رقية لدفع البلاء بعد وقوعه ومن أدلتها:

١- عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذتين، فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي.(3)

٢- عن عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم. فقال له رسول الله ﷺ: «**ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: بسم الله، ثلاثاً، وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»(4).

رابعاً: بعض الرقى لعلاج الصرع والسحر والحسد وسائر الأمراض:

١- الرقى من القرآن الكريم:

١- القرآن كله شفاء لقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[الإسراء: ٨٢].

---

(1) رواه البخاري (٣٣٧١).

(2) (صحيح) رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٣١٢٠).

(3) رواه مسلم (٢١٩٢).

(4) رواه مسلم (٢٢٠٢).

٢- سورة الفاتحة. ٣- سورة الإخلاص. ٤- المعوذتان. ٥- آية الكرسي.

ومن الأدلة على ذلك:

قال البخاري - رحمه الله -: باب الرقى بالقرآن الكريم والمعوذات: وذكر حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: (أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه - في المرض الذي مات فيه - بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيده نفسه لبركتها)(١).

وعن ابن عابس قال: قال النبي ﷺ: «**يا ابن عابس ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟**» قلت: بلى يا رسول الله، قال: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ و ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.(٢)

٢- الرقى النبوية:

١- عن عبدالعزيز قال: (دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك، فقال ثابت: يا أبا حمزة اشتكيت. فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: اللهم رب الناس، مذهب الباس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت، شفاءً لا يغادر سقماً)(٣).

٢- عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «**بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا، بإذن ربنا**»(٤).

---

(1) صحيح البخاري (٥٧٣٥).

(2) (صحيح) رواه أحمد والنسائي. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (١٠٤٤). طبعة المكتب الإسلامي.

(3) صحيح البخاري (٥٧٤٢).

(4) صحيح البخاري (٥٧٤٥).

٣- عن عثمان بن أبي العاص الثقفي، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم. فقال له رسول الله ﷺ: «**ضع يدك على الذي تألم من جسدك. وقل: بسم الله، ثلاثاً. وقل: سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**».(١)

٤- عن محمد بن المنكدر قال:(جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه أهاويل يراها في المنام. فقال: «**إذا أويت إلى فراشك فقل: أعوذ بكلمات الله التامة، من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**»(٢).

٥- عن أبي سعيد، أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد! اشتكيت؟ فقال: «**نعم**» قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفسٍ أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك.(٣)

خامساً: بدع وأخطاء المعالجين:

(دخل أمر العلاج بعض الشباب الذين لم تستو سوقهم في الاستقامة، ولم ينضج علمهم في الفقه، وأخذوا يعالجون بالقرآن بزعمهم متشبهين بأحمد بن حنبل وابن تيمية ـ رحمهما الله ـ وهم لم يتموا حفظ القرآن بعد، بل وقد لا يعرفون نواقض الوضوء، أو أركان الصلاة أو شروط صحتها فضلاً عن غيرها من أمور دينهم، فغاية أمر أحدهم أنه حفظ الرقية أو قرأ كتاباً أو كتابين ثم بدأ يعالج، فإذا

---

(1) صحيح مسلم (٢٢٠٢).

(2) (صحيح) السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني - رحمه الله - ح (١١٠٤٤) طبعة المكتب الإسلامي.

(3) صحيح مسلم (٢١٨٦).

بهم يقعون في المحظورات وهم لا يدرون ـ لجهلهم ـ فانتشرت البدع في علاجهم، وكثرت الخرافات، وسبب ذلك أمران:

الأول: جهل المعالج بأمور الدين.

الثاني: تصديق الجني في كل ما يخبر به؛ لأنه أحياناً يقدم الجني نصائح للمعالج فيقول مثلاً: إن حالة كذا اقرأ لها آيات كذا، أو اكتب القرآن بطريقة معينة ثم افعل به كذا وكذا مثلاً، فيأخذ المعالج بنصيحة الجن، مما حدا بكثير منهم أن يقعوا في المحظورات)[1].

ومن هذه المخالفات والمحظورات:

أولاً: الحوار مع الجن وتصديقهم:

لقد كثر الحوار مع الجن وسؤالهم عن الكثير من الأشياء مثل: اسمه وسنه وديانته وتصديق الناس لذلك؛ مما أدى إلى كثير من المفاسد والمخالفات، متناسين أن الجن ليس مصدراً لتلقي العلم، لأن الغالب في كثير من الجن الكذب لقوله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه «**صدقك وهو كذوب**»، بالإضافة لمخالفته هدي النبي ﷺ في مثل هذه الحالات.

قال العلامة الألباني - رحمه الله -: (لقد كان الذين يتولون القراءة على المصروعين أفراداً قليلين، صالحين فيما مضى، فصاروا اليوم بالمئات، وفيهم بعض النسوة المتبرجات فخرج الأمر عن كونه وسيلة شرعية ـ لا يقوم به إلا الأطباء عادة ـ إلى أمور ووسائل أخرى لا يعرفها الشرع ولا الطب معاً، فهي - عندي - نوع من الدجل والوساوس يوحي به الشيطان إلى عدوه الإنسان ﴿وَكَذَٰلِكَ

---

(١) وقاية الإنسان من الجن والشيطان ص (٩) طبعة. مكتبة الصحابة ـ الطبعة العاشرة.

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]. وهو نوع من الاستعاذة بالجن التي كان عليها المشركون في الجاهلية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. فمن استعان بهم على فك السحر - زعموا - أو معرفة هوية الجني المتلبس بالإنسي أذكر هو أم أنثى؟ مسلم أو كافر؟ وصدقه المستعين به ثم صدقه الحاضرون عنده، فقد شملهم جميعاً وعيد قوله ﷺ: «**مَنْ أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**» وفي حديث آخر «**لم تُقْبَلْ له صلاة أربعين ليلة**» رواه مسلم وغيره وهو مخرج في غاية المرام رقم (٢٨٤) والحديث الذي قبله صحيح انظر الإرواء (٢٠٠٦) فينبغي الانتباه لهذا، فقد علمت أن كثيراً ممن ابتلوا بهذه المهنة هم من الغافلين عن هذه الحقيقة، فأنصحهم - إن استمروا في مهنتهم - أن لا يزيدوا في مخاطبتهم على قول النبي ﷺ: «**اخرج عدو الله**» مذكراً لهم بقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله)(١).

وقد ترتب على هذه الحوارات مع الجان الكثير من المفاسد منها:

١- الفتنة والوقيعة بين الناس، عندما يزعم الجن أن فلاناً هو الذي صنع السحر وذلك أمام الحاضرين مما يؤدي إلى إلقاء العداوة والبغضاء بين المسلمين، فكم من أرحام قُطِّعَتْ، وبيوت خُرِّبت، وأُسَر هُدِّمت، بسبب ذلك، وإلى الله المشتكى.

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني (٦/ ١٠٠٩-١٠١٠) طبعة مكتبة المعارف بالرياض.

٢- تمكين الجني المتلبس ببدن الإنسي بالبقاء أطول مدة ممكنة لترك قراءة القرآن والأذكار النبوية.

ثانياً: الاستعانة بالجن في العلاج:

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ـ حفظه الله ـ: (الاستعانة بالجن سواءً أكانوا مسلمين أم غير مسلمين وسيلةً من وسائل الشرك، والاستعانة معناها: طلب الإعانة؛ ولهذا فمن المتقرر عند أهل العلم أنه لايجوز طلب الإعانة من مسلمي الجن؛ لأن الصحابة - رضوان الله عليهم - لم يطلبوا ذلك منهم، وهم أولى أن تخدمهم الجن، وأن تعينهم.

وأصل الاستعانة بالجن: من أسباب إغراء الإنسي بالتوسل إلى الجني، وبرفعة مقامه، وبالاستمتاع به، وقد قال-جل وعلا -: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾[الأنعام: ١٢٨]. فحصل الاستمتاع - كما قال المفسرون - من الجني بالإنسي: بأن الإنسي يتقرب إليه، ويخضع له، ويذل، ويكون في حاجته، ويحصل الاستمتاع من الإنسي بالجني بأن يخدمه الجني، وقد يكون مع ذلك الاستمتاع ذبحٌ من الإنسي للجني، وتقربٌ بأنواع العبادات، أو بالكفر بالله - جل وعلا - والعياذ بالله، بإهانة المصحف، أوبامتهانه أو نحو ذلك؛ ولهذا نقول إن تلك الاستعانة بجميع أنواعها لا تجوز، فمنها ماهو شرك - كالاستعانة بشياطين الجن - يعني: الكفار - ومنها ماهو وسيلةٌ إلى الشرك، كالاستعانة بمسلمي الجن.

وبعض أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إن الجن قد تخدم

الإنسي. وهذا المقام فيه نظر وتفصيل ؛ ذلك أنه - رحمه الله - ذكر في آخر كتاب النبوات: أن أولياء الله لا يستخدمون الجن إلا بما فعله معهم رسول الله ﷺ بأن أمرهم، ونهاهم، أي: بالأوامر، والنواهي الشرعية، أما طلب خدمتهم وطلب إعانتهم: فإنه ليس من سجايا أولياء الله، ولا من أفعالهم قال: مع أنه قد تنفع الجن الإنس، وقد تقدم له بعض الخدمة ونحو ذلك، وهذا صحيح من حيث الواقع.

فالحاصل أن المقام فيه تفصيل: فإذا كان الاستخدام بطلب الخدمة من الجني المسلم، فهذا وسيلة إلى الشرك، ولا يجوز أن يعالج عند أحد يعرف منه أنه يستخدم الجن المسلمين. وإذا كانت الجن تخدم بعض الناس بدون طلبه، فإن هذا قد يحصل، لكن لم يكن هذا من خلق أولياء الله، ولا مما سخره الله - جل وعلا - لخاصة عباده، فلا يسلم مَنْ هذا حاله مِنْ نوع خلل جعلت الجن تكثر من خدمته، وإخباره بالأمور، ونحو ذلك.

فالحاصل: أن هذه الخدمة إذا كانت بطلب منه، فإنها لاتجوز، وهي نوع من أنواع المحرمات؛ لأنها نوع استمتاع، وإذا كانت بغير طلبٍ منه فينبغي له أن يستعيذ بالله من الشياطين ويستعيذ بالله من شر مردة الجن؛ لأنه قد يؤدي قبول خبرهم، واعتماده، إلى حصول الأنس بهم، وقد يقوده ذلك الاستخدام إلى التوسل بهم والتوجه إليهم -والعياذ بالله - فإذا تبين ذلك: فإن خبر الجن عند أهل العلم ضعيف، لايجوز الاحتجاج به عند أهل الحديث، وذكر ذلك أيضاً الفقهاء. وهذا صحيح؛ لأن البناء على الخبر وقبوله: هو فرعٌ عن تعديل المخبر، والجني غائب، وعدالته غير معروفة، وغير معلومة عند السامع، فإذا قَبِل الخبر عمَّن جاءه به من الجن وهو لم يرهم، ولم يتحقق عدالتهم إلا بما سمع من خطابهم

- وهي لا تكفي - فإنه يكون قد قبل خبر من يحتمل أنه فاسق؛ ولهذا قال الله - جل وعلا -: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]. والذين يقبلون إخبار الجن، وإعلام الجن لهم ببعض الحوادث، تحصل منهم مفاسد متنوعة كثيرة.... فهذه المسألة يجب على طلاب العلم أن يسعوا في إنكارها وبذل الجهد في إقامة الحجة على من يستخدم الجن، ويتذرع بأن بعض العلماء أباح ذلك، والواقع أن هذا العمل وسيلة من وسائل الشرك بالله - جل وعلا - واقرؤوا أول كتاب (تاريخ نجد) لابن بشر، حيث قال: إن سبب دخول الشرك إلى قرى نجد أنه كان بعض البادية إذا أتى وقت الحصاد أو أتى وقت خرف النخيل، فإنهم يقطنون بجانب تلك القرى ومعهم بعض الأدوية والأعشاب فإذا كانوا كذلك فربما سألهم بعض جهلة تلك القرى حتى حببوا إليهم بعض تلك الأفعال المحرمة من جراء سؤالهم وحببوا إليهم بعض الشركيات أوبعض البدع حتى فشا ذلك بينهم فبسبب هؤلاء المتطببين الجهلة، والقراء المشعوذين انتشر الشرك - قديماً- في الديار النجدية وما حولها، كما ذكر ابن غنَّام. وقد حصل أن بعض مستخدمي الجن، كثر عنده الناس، فلما رأى من ذلك، صار يعالج علاجاً نافعاً، فزاد تسخر الجن له، حتى ضعف تأثيره، فلما ضعف تأثيره ولم يستطع مع الحالات التي تأتيه للقراءة أوللعلاج شيئاً: صار تعلقه بالجن أكثر، ولا زال ينحدر مافي قلبه من قوة اليقين، وعدم الاعتماد بقلبه على الجن، حتى اعتمد عليهم شيئاً فشيئاً، ثم حرفوه - والعياذ بالله - عن السنة، وعما يجب أن يكون في القلب من توحيد الله، وإعظامه، وعدم استخدام الجن في

الأغراض الشركية، فجعلوه يستخدم الجن في أغراض شركية وأغراض لاتجوز بالاتفاق).[1]

ثالثاً: استرضاء الجن والذبح له:

وفي هذه الطريقة يقوم المعالج باسترضاء الجني الصارع، فيلبي له جميع طلباته، فأحياناً يطلب منه ذبح حيوان أو لبس ذهب أو شرب دخان أو غيرها من الأمور المحرمة. **وسبب حرمة هذه الطريقة - والله أعلم - عدة أمور:**

١- أن الذبح للجن شرك بالله، قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله مَنْ ذبح لغير الله**»[2] والتداوي بالشرك والكفر لا خلاف بين العلماء في تحريمه، ولا يجوز التداوي به باتفاق.

٢- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، حيث يطيع الجنيَّ ويلبس الذهب - إن كان رجلاً - أو يشرب الدخان، وهي من الأمور المحرمة شرعاً.

٣- تلبية هذه الرغبات تزيد الجني طغياناً وكفراً وعتواً وتمرداً؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦][3].

رابعاً: الاعتماد على التجربة:

وَسَّع المعالجون الباب في علاج الصرع الجني، ويستخدمون طرقاً تختلف من شخص لآخر، بزعم أنها مجربة، ونافعة أيضاً، ولذلك كثيراً ما تسمع عن هذه

---

(1) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صـ (٦١٥-٦١٩). للشيخ / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط دار التوحيد، الطبعة الأولى.

(2) رواه مسلم (١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب ﷺ.

(3) انظر عالم الجن والشياطين لعمر سليمان الأشقر ص (١٤٣-١٤٤) وقاية الإنسان ص (١٠٧).

الوسائل المجربة:

١- القراءة على الماء والوضوء منه، والاغتسال به، والتوسع في ذلك.

٢- الدهن بالزيت في مواضع معينة.

٣- استعمال البخور والخرز وتعليقه.

٤- إخافة الجني وإيذائه وسجنه وحرقه وقتله!! فتارة يستعملون الضرب والخنق، وتارة يحرقون بدن المصروع في أجزاء معينة، وإظلام المكان..، وبعضهم يدخلون المريض على بعض الحيوانات كالذئب مثلاً لإخافة الجني - زعموا - وغيرها كثير.

٥- القراءة على الجماعات من الناس في وقت واحد لكسب الوقت، وذلك باستخدام مكبرات الصوت في المساجد، مع التركيز على آيات معينة ومحدودة بزعم أنها آيات الرقية.

قال العلامة الألباني - رحمه الله -: (ليس كل تجربة نافعة يدل على شرعية هذه الوسيلة وإلا فتح لنا هذا باباً واسعاً من الدجل والبدعة والخرافة، بل من الشرك أحياناً.

الذين يتوسلون بالأنبياء والأولياء الصالحين، ويتضرعون عند قبورهم ويطلبون منهم قضاء حوائجهم يقولون جربنا مراراً وتكراراً حتى إنه سُطِّر في الكتب قبر (معروف) الترياق المجرب، وهذا هو المسجل تاريخياً، والمعروف عند الناس عملياً.[1]... أنا أقول نجاح التجربة لا يكفي في الدلالة على شرعيتها، لابد

---

(1) مثل ما كتبه الشيخ / محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في (الكلمات النافعة): في شأن الحيوان يحبس فيه البول، أو الغائط، فيطاف به قبور المشركين فيبرأ، ولا يصلح ذلك دليلاً على =

أن يكون هناك دليل يؤيد الشرعية، وإلا فلا.

قال سائل: التوسل عبادة محضة تحتاج إلى دليل، أما التداوي الأصل فيه المشروعية والجواز، والأصل فيه عدم التقيد، فما جوابكم على هذا التفريق؟

قال العلامة الألباني: (هذا الكلام أراه صحيحاً لو كان الأمر متعلقاً بمعالجة أمور لا تتعلق بالغيب، لا تتعلق بما يقال اليوم بما وراء المادة، والجن من هذا القبيل، فلا أرى هذا من هذا حتى نقول بالموافقة).[1]

قال الشيخ محمد صفوت نور الدين - رحمه الله -: (ما يفعله كثير من الناس من ضرب أو خنق أو كي، وإسراف في استخدام ذلك، يخرجون بذلك عن الشرع الذي جاء، ويستدلون بما لا يصلح لذلك دليلاً، كقول منسوب للإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - أو شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهم يعلمون أن الضرب، أو الخنق ليس المؤثر، إنما المؤثر هو ذكر الله - سبحانه وتعالى - والدعاء، فما لهم ينتقلون من الأعلى إلى الأدنى، وينتقلون مما يعلم بالشرع نفعه إلى ما يخشى وقوع ضره، فيتأثر المريض بذلك الضرب والخنق، ولو كان الضرب هو المؤثر لكان النبي ﷺ يأمر مَنْ يجلد المصروع لا مَنْ يرقيه)[2].

= صلاح صاحب القبر، إنما يفسره أهل العلم بأنهم يعذبون في قبورهم، فيسمع الحيوان صراخاً إذا اقترب من القبر فيرتاع لذلك، فتهتز أمعاؤه وأحشاؤه، فتطرد ما فيها، فيبرأ، لا دليل في ذلك على صلاح، بل هو دليل كفر وشرك وفساد) مجلة التوحيد ص (١٩).

(1) كيف يعالج المصروع للألباني.

(2) مجلة التوحيد ص (٢٠-٢١) العدد (٨) السنة (٢٤).

خامساً: التفرغ للرقية:

(لقد تفرغ كثير من المعالجين للرقية، وقصروا أوقاتهم على القراءة على المرضى، ووسعوا دورهم واستعدوا للزائرين، ورتبوا لهم مواعيد كما تفعل المستشفيات المتخصصة تماماً، واتخذوا هذا العمل حرفة لهم، وذلك لكثرة ما يدره عليهم من دخل مادي كبير. **وهذه الصورة يترتب عليها مفاسد كثيرة منها:**

١- يظن الناس أن لهذا القارئ بعينه خصوصية، بدليل كثرة زحام الناس عليه، وتطغى حينئذ أهمية القارئ على أهمية المقروء وهو كلام الله، وكل ذريعة تضعف ثقة الناس بالقرآن ينبغي أن تسد ولا تفتح.

٢- قد يتوهم القارئ نفسه أن الشياطين تخاف منه، وتخرج من المصروعين فيظن أنه من الأولياء الأبرار ويصيبه العجب والكبر ونحو ذلك.

٣- لقد اشتهر كثير من الصحابة بإجابة الدعاء كسعد بن أبي وقاص ﷺ، وبعض التابعين كأويس القرني - رحمه الله - ومع هذا لم يؤثر أن المسلمين تزاحموا على أبوابهم أفواجاً إثر أفواج لطلب الدعاء مع حاجة المسلمين إلى إجابة دعائهم في صلاح دينهم ودنياهم.

٤- إن المتفرغ للرقية على الناس فيه مشابهة بالذي يتفرغ للدعاء للناس، فالرقية والدعاء من جنس واحد، فهل يليق بطالب علم أن يقول للناس تعالوا إليّ ادع لكم!! فضلاً عن تعطيلها سنة رقية المريض لنفسه، وطلبه الشفاء من الله).[1]

---

(١) راجع كتاب الرقى على ضوء الكتاب والسنة ص (٧٥ ـ ٨٩) فإنه قد أفاض وأجاد طبعة دار الوطن.

سادساً: التوسع في أخذ الأجر على الرقية:

توسع القائمون على العلاج في أخذ الأجر على الرقية، مما أدى إلى ظهور صور مرفوضة:

١- المطالبة بمبالغ كبيرة أحياناً.

٢- يرفض أن يرقي إلا بعد أن يدفع أهل المريض الأجر.

٣- التعمد في تكرار الجلسات، وإطالتها، حتى يأخذ أجراً عن كل جلسة.

٤- ادعاء بعضهم أنه لا يأخذ أجراً، ولكنه في المقابل يبيع للمريض الماء المقروء عليه المخلوط ببعض الأعشاب!! بمبالغ طائلة، كل هذه الأمور على الرغم من عدم تحقق الشفاء في غالب الحالات، مما أدى إلى ظهور المعالجين بصورة سيئة، وأنهم (ماديون) أو (انتهازيون).

ويستدل أصحاب هذا الرأي بما ورد في السنة الصحيحة مثل حديث أبي سعيد الخدري، وحديث عم خارجة بن الصلت، وغيرهما مما يفيد جواز أخذ الأجرة على الرقية، ولكن الناظر إلى هذه الأحاديث يجد أن الصحابة لم يأخذوا أجراً على الرقية إلا بعد تحقق الشفاء التام، ففي حديث أبي سعيد: (فقرأ عليه أم الكتاب، حتى برأ كأنما نُشِّطَ من عقال، قال: فأوفوهم جُعْلَهم الذي صالحوهم عليه) [1]، وفي الحديث الآخر: (فرقيته بفاتحة الكتاب، فبرأ، فأعطوني مئة شاة) [2]

ولذلك نرى - والله أعلم - أن يقيد الأجر على الرقية بتحقق الشفاء التام.

---

(1) (متفق عليه) البخاري (٢٢٧٦)، مسلم (٢٢٠١)، انظر شرح الحديث في فتح الباري (٤/ ٥٢٩) طبعة الريان.

(2) (حديث صحيح) رواه أبوداود (٣٨٩٦، ٣٩٠١) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٩٠١).

سابعاً: علاج النساء:

قال رسول الله ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»[1] لقد استطاع الشيطان عن طريق النساء أن يوقع المعالجين في الكثير من المخالفات الشرعية بحجة أنهم معالجون كالأطباء - زعموا! - وأنهم مضطرون لذلك!

ومن هذه المخالفات ما يلي:

١- النظر للنساء أثناء العلاج ليعرف نوع الجن - بزعمه - أو ما يسمى (بالكشف بالنظر)[2].

٢- وضع يده على جسم المريضة، وأحياناً يقوم بدهن بعض جسمها بالزيت!.

٣- القراءة على المريضة بدون وجود محرم معها؛ مما أدى إلى الخلوة المحرمة.

٤- كشف العورات، وانتهاك الأعراض والحرمات.

وذلك كله بسبب جهلهم أن (الاضطرار إنما يقع في الأسباب المادية، فقد يضطر الطبيب فيجرح المريض، أو يستأصل منه عضواً، أو يشق له جلداً، أو يصف له الدواء المر، أو يكشف له عورة، أو يلمس له موضعاً لا يحل له لمسه، أو ينظر إلى امرأة لا تحل له؛ لأنه لا سبيل لتشخيص المرض، أو وصف الدواء، أو العلاج إلا بذلك، فهو مضطر، فيرتكب الضرر الأدنى دفعاً للضرر الأكبر، أما الأسباب

---

(1) (متفق عليه) البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(2) زعم صاحب المنهج القرآني ص (٥١-٥٥) أن طريقة الكشف بالنظر فريدة في بابها!! وأنها من فضل الله عليه!! وجاءت بنتائج عجيبة!! وأثناء علاجه لامرأة أمرها أن تنظر إليه بعينيها... وأخذ ينظر إليها.!!.

الشرعية: فهي دعاء لله، وطلب منه سبحانه، وذلك لا يسبب اضطراراً، فلا تجوز فيه معصية - وإن صغرت -، بل يحرص فيه على الطاعة التي تعين على رفع الدعاء، فلا تجوز خلوة بغير محرم، ولا نظر إليها، ولا لمس لها، ولا غير ذلك من المخالفات الشرعية).[1]

ثامناً: الابتداع في الأذكار:

(كثير من كتب العلاج بالقرآن قيدت الأذكار التي أطلقها الشرع بعدد محدود، أو أطلقت المقيد من هذه الأذكار، فنجد في بعض هذه الكتب أن الذكر أو الآية مثلاً تقال (٢٠) مرة أو (١٠٠) مرة[2]. ولم يثبت ذلك في نصوص الشريعة، وقد يحد المؤلف حداً من عنده كما في كتاب: (إثبات علاج جميع الأمراض بالقرآن الكريم) فبعدما ذكر المؤلف آيات الشفاء في القرآن قال: تكتب في طبق صيني أبيض بدون نقوش بالزعفران وماء ورد ثم تمحى بماء ويسقى للمريض فإنه يشفى في وقته بإذن الله تعالى!!. ولا ندري من أين أتى بهذه التقيدات؛ فكتابة الآيات على مثل هذا النحو مختلف فيه بين العلماء، ومن قال بجواز ذلك، فما هو دليله على أن الطبق لابد وأن يكون من الصيني الأبيض غير المنقوش؟!. ماذا لو تأخر الشفاء، ولم يشف المريض في وقته؟. هذا مثل من أمثلة عديدة لو نقلناها من مصادرها لطال بنا الحديث، ثم بعض هذه الكتب، وبعض من يعالج أيضاً يذكر آيات وسور تقرأ بعدد معين محدد لأمراض معينة مثل: السرطان والروماتيزم

(1) حول الجن وتلبيسه مقال لفضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين - رحمه الله - مجلة التوحيد ص (٢٠) العدد (٨) السنة (٢٤).

(2) انظر المنهج القرآني ص (٨٠، ١٠٠، ١٠١، ١٢٧، ١٢٨، ...).

والأمراض الجلدية وأمراض الصدر[1] فمن أين أتى بهذا التحديد. هل قرأ هذا التوصيف في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ؟)[2].

وأخيراً: هذه صيحة تحذير وصرخة نذير للمعالجين بالقرآن أن يتقوا الله - سبحانه وتعالى - في السر والعلن وأن يتقيدوا بما جاء في القرآن والسنة الصحيحة وألا يستخفنهم الشيطان فيلقي بهم في مهاوي الضلالة والبدعة والشرك. قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

(1) مثل كتاب دليل المعالجين بالقرآن الكريم لرياض محمد سماحة - سامحه الله -، فكن على حذر منه.

(2) الرقية النافعة للأمراض الشائعة د. سعيد عبدالعظيم ص (٢٣-٢٤) طبعة دار الإيمان الإسكندرية.

الفصل الرابع

صور من هجر التداوي والاستشفاء بالقرآن الكريم.

وفيه خمسة مباحث:

أولاً: إتيان السحرة والعرافين.

ثانياً: تعليق التمائم.

ثالثاً: الاستشفاء بالقبور والأضرحة.

رابعاً: إتيان الكنائس.

خامساً: حرز أبي دجانة.

الفصل الرابع

صور من هجر التداوي والاستشفاء بالقرآن الكريم

لما هجر الناس كتاب الله - جل وعلا - في باب التداوي والاستشفاء ضلوا ضلالاً بعيداً، ولجأوا إلى غير الله رب العالمين يلتمسون منهم الشفاء والدواء لأمراضهم، فخاب ظنهم، وضل سعيهم في الدنيا والآخرة، وهذه بعض الصور من هجر التداوي والاستشفاء التي تدل على الجهل وسوء المعتقد نذكرها تحذيراً لأمة القرآن منها.

أولاً: إتيان السحرة والعرافين:

لجأ كثير من الناس إلى السحرة والعرافين يطلبون منهم الشفاء لأمراضهم، وفك أعمالهم من السحر، وعلاج مصروعهم...، ومما لا شك فيه أن هذه الطريقة مخالفة لهدي النبي ﷺ للأمور الآتية:

١- عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن النُّشرة؟ فقال: «**هي من عمل الشيطان**»(1).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

---

(1) (حديث صحيح) رواه أحمد وأبوداود وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤/ ٧٣٣).

أحدهما: قيل بسحر مثله، هو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن (لا يحل السحر إلا ساحر). فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله في المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة. فهذا جائز).[1]

٢- قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أتى عَرَّافاً فسأله عن شيء، لم تُقْبَلْ له صلاة أربعين ليلة**»[2] وقال أيضاً: «**مَنْ أتى كاهناً فَصَدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنْزَل على محمد ﷺ**»[3].

لقد ترتب على إتيان العرافين أمران هما:

١- قال تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾[البقرة: ١٠٢].

وقال أيضاً: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[طه: ٦٩]. فبين الله تعالى أن طريق السحرة إلى الضلال والإفساد والضر وعدم الفلاح.

٢- ورد عن الصحابة - رضي الله عنهم - بيان حكم الساحر في الشريعة الإسلامية، وهو القتل، فلو كان للساحر منفعة، لم يأمر بقتله.

عن جندب بن كعب رضي الله عنه قال: (حد الساحر: ضربه بالسيف)[4].

---

(1) فتح المجيد ص (٣٩٧) طبعة مؤسسة قرطبة.

(2) رواه مسلم (٢٢٣٠).

(3) (حديث صحيح) رواه أبوداود والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في الإرواء (٢٠٠٦).

(4) (ضعيف مرفوعاً، صحيح موقوفاً) رواه الترمذي (١٤٦٠) وقال: (هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، إسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه، والصحيح =

عن بجالة بن عبده قال: (كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة).[1]

علامات يعرف بها الساحر:

(إذا وجدت علامة واحدة من هذه العلامات في أحد المعالجين فهو ساحر بلا أدنى ريب، وهذه العلامات هي:

١- يسأل المريض عن اسمه واسم أمه.

٢- يأخذ أثراً من آثار المريض (ثوب - قلنسوة - منديل - فانيلة...) وما يعرف (بالثمل).

٣- أحياناً يطلب حيواناً بصفات معينة ليذبحه ولا يذكر اسم الله عليه وربما لطخ بدمه أماكن الألم من المريض، أو يرمي به في مكان خرب.

٤- كتابة الطلاسم، وتلاوة العزائم غير المفهومة.

٥- إعطاء المريض (حجاباً) يحتوي على مربعات بداخلها حروف أو أرقام.

٦- يأمر المريض أن يعتزل الناس مدة معينة في غرفة لا تدخلها الشمس ويسميها العامة (الحجبة).

٧- أحياناً يطلب من المريض ألا يمس ماء مدة معينة غالباً تكون أربعين يوماً، وهذه العلامة تدل على أن الجني الذي يخدم هذا الساحر نصراني.

٨- يعطي المريض أشياء يدفنها في الأرض.

= عن جندب موقوفاً)، راجع ضعيف الترمذي للألباني (٢٤٤)، والسلسلة الضعيفة (١٤٤٦).

(١) رواه البخاري (٣١٥٦).

٩- يعطي المريض أوراقاً يحرقها ويتبخر بها.

١٠- أحياناً يخبر الساحر المريض باسمه واسم بلدته ومشكلته التي جاء من أجلها.

١١- يكتب للمريض حروفاً مقطعة في ورقة (حجاب) أو في طبق من الخزف الأبيض ويأمر المريض بإذابته وشربه.

فإن علمت أن الرجل ساحر فإياك والذهاب إليه وإلا انطبق عليك قول النبي ﷺ: «**مَنْ أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[1].

ثانياً: تعليق التمائم:

التمائم: جمع تميمة، وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام ونحوه، خوفاً من العين، وكانت التمائم منتشرة في الجاهلية فلما جاء الإسلام أبطلها ونهى عنها:

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتوله شرك**»[2] وذلك عندما دخل على امرأته فرأى عليها حرزاً من الحمرة، فقطعه قطعاً عنيفاً، ثم قال: إن آل عبدالله عن الشرك أغنياء، ثم ذكر الحديث.

عن عقبة بن عامر الجهني: أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة،

---

(1) الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار لوحيد بالي ص (٤٦-٤٧) طبعة مكتبة التابعين. الطبعة العاشرة.

(2) (حديث صحيح) رواه أحمد وأبوداود وابن ماجة وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٧٢) وبين أن قصة اختلاف زينب امرأة عبدالله بن مسعود إلى اليهودي كي يرقيها منكرة، راجع السلسلة الصحيحة (٦/ ١١٦٦).

وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله!؛ بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: **«إن عليه تميمة، فأدخل يده، فقطعها، فبايعه وقال: مَنْ علق تميمة؛ فقد أشرك»**[1] .

قال العلامة الألباني - رحمه الله -: (ولا تزال هذه الضلالة فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارات يعلقونها على المرآة! وبعضهم يعلق نعلاً في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار والدكان ؛ كل ذلك لدفع العين - زعموا -، وغير ذلك مما عمّ وطم بسبب الجهل بالتوحيد وما ينافيه من الشركيات والوثنيات التي ما بُعِثَتْ الرسل وأُنْزِلَت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها، فإلى الله المشتكى، من جهل المسلمين اليوم، وبعدهم عن الدين)[2].

أما إذا كانت التميمة من القرآن، والأدعية النبوية، فقد اختلف العلماء فيها بين الجواز والمنع، والصحيح أن يُمْنَع أن يعلق شيئاً من القرآن لوجوه ثلاثة:

الأول: عموم النهي ولا مخصص للعموم.

الثاني: سدُّ الذريعة؛ فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا عُلِّق فلابد أن يمتهنه المُعَلِّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك.[3]

---

(1) (حديث صحيح) رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٢).

(2) السلسلة الصحيحة (١/ ٨٩٠) الطبعة الجديدة.

(3) فتح المجيد ص (١٥٦) طبعة مؤسسة قرطبة.

ثالثاً: الاستشفاء بتربة القبور:

(ويقع ذلك من الجاهلين على أنواع مثل أخذها، ومسح الجلد بها، أو التمرغ على القبور أو الاغتسال بها مع الماء أو شربها... إلخ.

وهذا كله ناشئ عن اعتقادهم في صاحب القبر أنه ينفع ويضر حتى عدوا ذلك إلى تربته التي دفن فيها وبعضهم يعديه إلى التربة التي وضعت عليها جنازته).[1]

ووصل الأمر بهم إلى أن جعلوا لكل قبر خاصية، فهذا القبر لإخراج الجن، والآخر لقضاء الحوائج، وغيره لشفاء الأمراض... وكذلك الاستشفاء بالأحجار والأشجار والآبار والعيون يطلبون منها الشفاء لأمراضهم.

رابعاً: إتيان الكنائس:

(انتشرت مصيبة كبرى في بعض الدول العربية لاسيما مصر، وهي الذهاب إلى القساوسة في الكنائس لعلاج المس والسحر؛ فيأمرهم القساوسة بلبس الصليب، فيفعلون ذلك ابتغاء الشفاء بزعمهم، ثم يقرءون عليهم ترانيم معينة، ويعطونهم أوراقاً فيها شرك عظيم).[2]

(ومن قبيح جهال النساء أنهن يذهبن إلى القسيس بماري جرجس أو بدير العريان بمعصرة حلوان أو غيرهما يطلبن منه حجاباً للنظرة أو حجاباً لوقاية ابنها من الحسد والنكد، وأن هذا البلاء المبين، وإنما كان يكفي هذه الجاهلة المسكينة أن تقرأ المعوذتين أو الفاتحة على ولدها وتستريح من هم وعناء السفر والمصاريف)[3].

---

(1) مختصر معارج القبول - هشام بن عبدالقادر آل عقدة ص (١٤٣-١٤٤) الطبعة الثالثة.

(2) وقاية الإنسان من الجن والشيطان ص (٧) الطبعة العاشرة.

(3) السنن والمبتدعات ص (٢٩٧) طبعة دار الريان.

خامساً: حرز أبي دجانة:

يقول الصحابي الجليل أبو دجانة ﷺ (شكوت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله بينما أنا مضطجع في فراشي إذ سمعت في داري صريراً كصرير الرحى ودوياً كدوي النحل، ولمعاً كلمع البرق فرفعت رأسي فزعاً مرعوباً، فإذا أنا بظل أسود تدلى، يعلو ويطول في صحن داري، فأهويت إليه، فمسست جلده فإذا جلده كجلد القنفذ، فرمى في وجهي مثل شرر النار، فظننت أنه قد أحرقني وأحرق داري، فقال رسول الله ﷺ: «**عامر دارك سوء يا أبا دجانة، ورب الكعبة مثلك يؤذي يا أبا دجانة، ثم قال:** «**ائتوني بداوة وقرطاس (ورقة)**» فأتى بهما فناوله علي ابن أبي طالب ﷺ وقال: «**اكتب أبا الحسن**»، قال: وما أكتب؟ قال: «**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله رب العالمين إلى مَنْ طرق الباب من العُمار والزوار...**» إلخ.

لقد حكم علماء الحديث وأئمة الإسلام على هذا الحديث بأنه (موضوع).

قال ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٦٩): (هذا حديث موضوع بلا شك، وإسناده مقطوع (يعني: منقطعاً) وليس في الصحابة من اسمه موسى أصلاً، وأكثر رجاله مجاهيل لا يعرفون).

وكذا نقله ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٢٤، ٣٢٥)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٢/ ٣٤٨)، والفتنى الهندي في تذكرة الموضوعات (٢١٢).

وقال الصغاني: حرز أبي دجانة: موضوع.

وقال الذهبي في السنن (١/ ٢٤٥): (وحرز أبي دجانة شيء لم يصح ما أدري مَنْ وضعه).

وقال البيهقي: وقد رُوي في حرز أبي دجانة حديث طويل، وهو موضوع لا تحل روايته)[1].

وإنها ذكرنا حرز أبي دجانة للتحذير منه، وبيان درجته، والذي دفعنا إلى ذلك أننا قرأنا في بعض الكتب التي تتناول علاج المس الشيطاني، ويوصي مؤلف هذا الكتاب باستعماله بخاصة بعد نجاح تجربته!!.

قال: هذه الرسالة (حرز أبي دجانة) تحتوي على خطاب يوضع خلف باب المنزل الذي يرى فيه بعض التخيلات، وقد أفادت التجربة نجاحها مع قراءتها جهراً في المكان بعد آية الكرسي ثلاث ليال متوالية؟!!.

وقال أيضاً: (ونوجه ذهن المعالج أن يصف رسالة أبي دجانة مع معظم حالات السحر؟! لأنها مكملة للأذكار!! حتى يتكامل البرنامج العلاجي للمسحور والممسوس!! أو مَنْ يجدون في منازلهم أصواتاً غريبة أو تحركات مريبة!!)[2].

ويلحق بحرز أبي دجانة ما تشتهر بين الناس بالعهود السليمانية وهي عبارة عن أذكار مخترعة وأوراد غريبة ورسومات وأشكال غير واضحة يزعمون أنها تدفع العين والمس والصرع وأنها عهود أخذها سليمان عليه السلام على الجن، فكن - أخي الحبيب - على حذر من هذه الخرافات وابتعد عن الدجل والمشعوذة والجأ إلى كتاب الله فإن فيه الشفاء التام لجميع الأمراض والأسقام إذا توكلت على الملك العلام.

---

(1) راجع مجلة التوحيد ص (٣٧) العدد (٦) السنة (٢٣)، والسنن والمبتدعات ص (٢٩٦).

(2) انظر كتاب (المنقذ القرآني لإبطال السحر وعلاج المس الشيطاني)!! ص (٧٦-٧٧) طبعة دار الفضيلة.

الباب السادس

هجر التحاكم بالقرآن الكريم

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: أسباب الحكم بغير ما أنزل الله.

الفصل الثاني: وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية.

الفصل الثالث: الحكم بغير ما أنزل الله في الميزان.

الفصل الرابع: صور من تحكيم الشريعة.

الفصل الأول

أسباب الحكم بغير ما أنزل الله

وفيه أربعة مباحث

أولاً: الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية.

ثانياً: انعدام الإيمان وضعفه.

ثالثاً: الجمود الفكري والتعصب المذهبي.

رابعاً: عقبة أعداء الإسلام.

الفصل الأول

أسباب الحكم بغير ما أنزل الله

لقد أخبر النبي ﷺ أن أول عروة من الإسلام تنقض هي الحكم بما أنزل الله فقال في حديثه: «**لتنقضن عرى الإسلام عروةً عروةً أولهن نقضاً الحكم وآخرهن نقضاً الصلاة**»[1].

ولقد وقع ما أخبر به الرسول ﷺ من هجر الحكم بالشريعة وحل مكانها في معظم البلاد العربية والإسلامية الحكم بالقوانين الوضعية وأقوال الرجال في الدماء والحقوق والأعراض.

والناظر إلى واقع المسلمين يجد أن أسباباً كثيرة وراء هذه الظاهرة منها[2]:

١- الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية.

٢- انعدام الإيمان وضعفه.

٣- الجمود الفكري والتعصب المذهبي.

٤- عقبة أعداء الإسلام.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك.

(٢) للمزيد من الفائدة انظر الكتب الآتية:

١- معوقات تطبيق الشريعة للدكتور / عمر بن سليمان الأشقر.

٢- معوقات تطبيق الشريعة للشيخ / مناع القطان.

٣- أسباب الحكم بغير ما أنزل الله للدكتور / صالح السدلان.

والآن مع شرح مجمل لهذه الأسباب:

أولاً: الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية:

الذي يطلع على أحوال العالم الإسلامي يجد (أن أكثر المسلمين اليوم يتوارثون الإسلام توارثاً تقليدياً، وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم؛ لهذا فشا الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية لدى الكثير من أبناء الأمة الإسلامية قيادات وشعوباً، حتى أصبح منهم لا يعرف من دينه إلا اسمه: فلا يعرف أحكامه وعقائده، ولا أخلاقه وآدابه)[1].

(وإني لأعتقد أننا لم نترك أحكام الشريعة الإسلامية إلا لجهلنا بها، وقعود علمائنا أو عجزهم عن تعريفنا بها، ولو أن كل مسلم عرف واجبه نحو الشريعة لما تأخر عن القيام به، ولتسابقنا في العمل لخدمة الشريعة، وتطبيق أحكامها)[2].

العوامل التي أدت إلى الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية:

١ - مناهج الدراسة في معظم البلاد الإسلامية بالتعليم العام شملتها موجة التغريب، فانطمست فيها معالم المواد الدينية ولا تشمل خطتها سوى مادة واحدة لا يزيد نصيبها عن ساعة أو ساعتين في الأسبوع وذلك حتى المرحلة الثانوية أما في الجامعة فلا تكاد تجد لها أثراً يذكر إلا في بعض التخصصات الشرعية واللغوية على الرغم من تدريس اللغة الأجنبية والحرص على إتقانها.

---

(١) أسباب الحكم بغير ما أنزل الله ونتائجه لفضيلة الشيخ د. صالح بن غانم السدلان، طبعة دار المسلم ١٤١٥هـ.

(٢) الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه لعبدالقادر عودة طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢- تقصير بعض العلماء وطلبة العلم والدعاة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ارتكبت المظالم، واستحلت المحارم، وأريقت الدماء، وانتهكت الأعراض، وظهر الفساد في الأرض، ونفذت القوانين الوضعية في بلاد الإسلام، وعطلت الشريعة الإسلامية، وطال هذا الأمر بالمسلمين حتى ظن كثير من المسلمين أن ما نحن فيه من مخالفات هو الإسلام الصحيح.

٣- وسائل الإعلام بشتى أشكالها صارت أدوات هدم ووسائل تدمير فهي تعرض ما يفسد الأخلاق وينشر الرذيلة ويخرب العقيدة ويقوض مفهوم الأسرة بنشر الشبهات والشهوات أمام المسلمين(١).

نماذج من الجهل بأحكام الشريعة:

وهي نماذج متعددة تشمل العديد من طوائف المجتمع منها:

١- ما نراه في كثير من البلاد الإسلامية(٢) حول القبور والأضرحة يطلبون من أصحابها جلب النفع ودفع الضر ويعتقدون أنهم يكشفون الكربات ويدفعون البليات.

٢- طالب بالمرحلة الثانوية سئل من الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين؟ فأجاب: أنه علي بن أبي بكر؟! وبمن تزوج؟ قال: تزوج من هاجر عليها السلام؟!

٣- جامعي يستغرب اسم سورة الحديد؟! وآخر يقرأ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] (ألف لام ميم) ثم يكمل السورة، وآخرون من

---

(١) مقومات تطبيق الشريعة الإسلامية لمناع القطان نشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢) يبلغ زوار قبر السيد البدوي بمصر ما يقارب من مليوني مسلم!!.

خريجي الجامعة يُسْأَلون أين الله؟ فيقولون: في كل مكان!.

٤- (طلب المحامي من القاضي في إحدى البلاد العربية تطبيق الحكم الشرعي في القضية، فوافق القاضي على ذلك، ولكنه طلب من المحامي أن يملي عليه الحكم الشرعي، ليحكم به، لأنه يجهله، فإذا بالمحامي يجيب أنه الآخر لا يعرف الحكم الشرعي في هذه القضية)(١).

ثانياً: انعدام الإيمان وضعفه:

بَيَّنَ الرسول ﷺ مسئولية كل راعٍ عن رعيته وأنه مسئول عنها يوم القيامة أحفظ ذلك أم ضيع؟ فقال: «**ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته: فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع ومسئول عن رعيته**»(٢).

إن تحكيم الشريعة ليس أمراً يخص الحكام والولاة فحسب كما يظن الكثير، بل هو مسئولية كل مسلم ومسلمة أن يطبق أحكام الإسلام على نفسه أولاً، ثم أهل بيته، ثم يدعو الناس إليها ويحثها على الالتزام بها(٣).

---

(١) سمعتها من فضيلة الشيخ / صفوت الشوادفي - رحمه الله - في إحدى محاضراته.

(٢) متفق عليه.

(٣) **قال العلامة الألباني - رحمه الله -**: (فعلى المسلمين كافة وبخاصة منهم من يهتم بإعادة الحكم الإسلامي أن يبدأ من حيث بدأ رسول الله ﷺ، وهو ما نكني عنه بكلمتين خفيفتين: (التصفية والتربية)... إذن لابد أن نبدأ نحن بتعليم الناس الإسلام كما بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لكن نحن الآن لا نقتصر على التعليم، لأنه دخل الإسلام ما ليس منه

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. ولو طبق كل منا تعاليم الإسلام وأحكامه وآدابه لقامت فينا دولة الإسلام يحكمها القرآن والسنة كما قال أحد الدعاة (أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم على أرضكم).

(أما أن لا يتجاوز الإيمان الادِّعاء، أو لا يتجاوز النطق بكلمة الإيمان، فإذا فَتَّشْتَ عن مدلوله في نفس مُدَّعِيهِ، لا تجده شيئاً، فمثل هذا الإيمان لا يُحرِكُ ساكناً، ولا يُنْتِجُ أثراً، ولا يُشْعِرُ صاحبه بحلاوته، وإنما هو إيمان اعتراه فتورٌ أو موتٌ، ويتبع هذا -والعياذ بالله- المرضُ القلبيُّ الذي يجعل المريضَ معرضاً عن حكم الله وحكم رسوله، ويقبل على حكم البشر مع قصوره، وثبوت عجزه، ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [النور: ٤٧ – ٤٨].[(١)]

وما لا يمت إليه بصلة، بل دخل عليه ما كان سبباً في تهدم الصرح الإسلامي فلذلك كان من الواجب على الدعاة أن يبدؤوا بتصفية هذا الإسلام مما دخل فيه والشيء الثاني أن يقترن مع هذه التصفية تربية الشباب المسلم الناشئ على هذا الإسلام المصفى) مجلة السلفية ص (٤٢) العدد (٦) ١٤٢٢هـ.

(١) أسباب الحكم بغير ما أنزل الله للدكتور صالح السدلان ص (٧) بتصرف.

ثالثاً: الجمود الفكري والتعصب المذهبي:

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- واصفاً فتنة التقليد التي أصابت العالم الإسلامي: (تالله إنها فتنة عَمَّت فأعْمَتْ، وَرَمت القلوبَ فأَصَمَّت، ربا عليها الصغير، وهرم فيها الكبير، واتُّخِذَ القرآنُ لأجلها مهجوراً، وكان ذلك بقضاء الله وقدره في الكتاب مسطوراً، ولما عَمّت بها البلية، وعَظُمَت بسببها الرزية، بحيث لا يعرف الناس سواها، ولا يعدون العلم إلا إياها، فطالب الحق من مظانه لديهم مفتون، ومُؤْثِره على ما سواه عندهم مغبون، نصبوا لمن خالفهم في طريقتهم الحبائل، وبغوا له الغوائل، ورموه عن قوس الجهل والبغي والعناد)(١).

(والذي زاد الطين بلة جمود المتفقه المفتين والمعلمين والواعظين على نصوص كتب متبوعيهم المتأخرين بدون تبصر وإعمال روية ورجوع إلى أصول الشريعة وأقوال السلف، وجهلهم بمقتضى الزمان والعمران، ونفورهم من كل جديد بدون أن يزنوه بميزان الشريعة، ومناوأتهم المجددين بدون إصغاء إلى براهينهم، ومكافحتهم العلوم العقلية والكونية، وتحذير الناس من دراستها، وتحجرهم على غيرهم الاستهداء من الكتاب والسنة لزعمهم أن ذلك كله مخالف للدين، لجهلهم بحقيقة الدين، لأن هذه الشريعة الغراء السمحة تسير مع العلم جنباً إلى جنب، واسعة تسع قواعدها العامة كل جديد من مقتضيات الزمان والعمران، لأنها محض رحمة وسعادة.

وأغرب من هذا أن هؤلاء الجامدين من أُسَرَاء التقليد لا يتأثمون من مداهنة الحكام والتجسس لهم، وغشيان ولائمهم التي يتخللها من المنكرات ما تقطع

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٧-٨).

الشريعة بتحريمه، وتوقيعه المقررات المستمدة من القوانين الوضعية، أو الأوضاع الإدارية، أو الاستحسان الكيفي حرصاً على رواتبهم التي يتقاضونها من خزينة الحكومة، أو تعزيزاً لجاههم ومكانتهم، ويتورعون من الاجتهاد في نازلة نزلت بالمسلمين لأنها غير منصوص عليها بصريح العبارة في كتب المتأخرين من متبوعيهم.

فنجم عن تورعهم هذا هجر الشريعة والاستعاضة عنها بالقوانين وتشتت شمل المسلمين...، وخُيِّل إلى الجاهلين بالشريعة أنها عقبة كؤود في سبيل الرقي والتجدد والسعادة) (١).

(ومن الثابت تاريخياً أن القوانين الأوربية نقلت إلى مصر في عهد الخديوي إسماعيل، وأنه كان يود أن يضع لمصر مجموعات تشريعية مأخوذة من الشريعة ومذاهب الفقه الإسلامي المختلفة وقد طلب من علماء الأزهر أن يضعوا هذه المجاميع، ولكنهم رفضوا إجابة طلبه، لأن التعصب المذهبي منعهم من أن يتعاونوا على إظهار الشريعة في أجمل صورها، فضحوا بالشريعة جميعها، واحتفظ كل بمذهبه، والتعصب له وأضاعوا على العالم الإسلامي فرصة طالما بكوا على ضياعها، وحق لهم أن يبكوا عليها حتى تعود) (٢).

(إن أهم الانحرافات والمآخذ والعيوب التي أصابت المذاهب الفقهية في القرون المتأخرة، والتي نأخذها عليها وندعو لإصلاحها هي:

١ - مخالفة النصوص الثابتة من الكتاب والسنة تعصباً للمذهب، وتقديم الرأي المحض أحياناً عليها.

---

(١) عمدة التحقيق للشيخ / محمد سعيد الباني (من ٢١٠-٢١٢) بتصرف.

(٢) الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه ص (٢٧).

٢- امتلاؤها بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، والاحتجاج بها واستنباط الأحكام منها.

٣- تقديم أقوال العلماء المتأخرين على أقوال الأئمة والمتقدمين.

٤- الانحباس في مذهب واحد، وعدم الاستفادة من علم المذاهب الأخرى، وجهود رجالها وكتبهم تعصباً للمذهب.

٥- خلو كثير من الكتب المذهبية من الأدلة الشرعية، ورغبة الكثيرين عن دراسة الكتاب والسنة إليها.

٦- شيوع التقليد والجمود، وإقفال باب الاجتهاد.

٧- الخوض في المسائل الخيالية، والانشغال بالافتراضات السخيفة.

٨- فتح باب الحيل المحرمة للتخلص من التكاليف الشرعية.

٩- نشر الخلاف والانقسام بين المسلمين، والتسبب في وقوع الفتن والكوارث بينهم.

١٠- تدخل الظروف والمصالح السياسية في انتشار بعض المذاهب وانحسار أخرى.

١١- الأخذ بجزء من النص دون الجزء الآخر.

١٢- مخالفتهم في الفروع لما قرروه بأنفسهم في الأصول.

١٣- الوقوع في أخطاء اجتهادية فاحشة.

١٤- التشدد في بعض المسائل مما فيه عنت كبير على الناس.

١٥- فساد طريقة التأليف، والتعقيد في الأسلوب.

١٦- مخالفة المقلدين للمذاهب لما هو مذكور في كتبهم أنفسهم)[١].

فهذه دعوة إلى العودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: (أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد)[٢].

وقال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: (لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا)[٣].

وينطبق كثير مما سبق من حيث التعصب المذموم الذي يؤدي إلى الفرقة والخلاف على حال الكثير من الجماعات الإسلامية على الساحة نسأل الله أن يجمع كلمتهم على كلمة التوحيد.

رابعاً: عقبة أعداء الإسلام:

ومن الممكن أن نقسم الأعداء التي تقف حاجزاً لمنع تطبيق الشريعة إلى ما يلي:

١- دعاة على أبواب جهنم. ٢- عقبة الحكام. ٣- عقبة الكفار.

والآن مع هذه الأقسام بشيء من التفصيل.

---

(١) بدعة التعصب المذهبي وآثارها الخطيرة في جمود الفكر وانحطاط المسلمين للشيخ / محمد عيد العباسي - حفظه الله - ص (١٣٧-١٣٨) طبعة المكتبة الإسلامية - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) انظر صفة الصلاة للألباني - رحمه الله - ص (٢٤-٣٤).

(٣) المرجع السابق.

١ - دعاة على أبواب جهنم:

أناس من بني جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، يعيشون بيننا، يعملون ليلاً ونهاراً للصد عن سبيل الله، ومنع تحكيم القرآن والسنة بين المسلمين، فهم كما أخبر عنهم الرسول ﷺ: «**دعاة على أبواب جهنم مَنْ أجابهم قذفوه فيها**»(١).

فهم يمثلون طائفة المنافقين على عهد رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [المنافقون: ٤].

استطاع أعداء المسلمين استقطاب مجموعة كبيرة من أبناء المسلمين عن طريق البعثات الخارجية والشهادات العلمية فهم يمثلون الطابور الخامس لهدم الإسلام ونشر الشبهات حوله وذلك من باب سياسة (لن يكسر الشجرة إلا جذع منها) والواقع يشهد بكثير من النماذج التي كان لها أكبر الأثر في تغيير مسار الأمة المسلمة نحو الانحراف عن تطبيق الشريعة (٢).

(وما أرى مثل هؤلاء من ذوي الأبصار المطموسة، والبصائر المعكوسة، إلا مثل الجُعْل يتأذى من رائحة المسك والورد الفَوَّاح، ويحيا بالعُذرة والغائط في المُسْتَرَاح، فسحقاً لأمثال هذه العقول سُحْقاً، ومُحْقاً لهن اللهم مُحْقاً) (٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) راجع كتاب عودة الحجاب لمحمد أحمد إسماعيل المجلد الثاني.

(٣) تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن للشيخ / أبي هبة الله إسماعيل الأسعردي الأزهري السلفي ص (٥٦) تحقيق سليم الهلالي طبعة مكتبة الصحابة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢- عقبة الحكام:

(أكثر الحكام في ديار المسلمين - إلا مَنْ رحم الله - يرون الإسلام وشريعة الإسلام عقبة في سبيل التطور والتقدم والرقي، وسبيل التقدم عندهم الأخذ بالحضارة الغربية والقوانين الأوربية.

عندما سنحت الفرصة لبعضهم خلع الإسلام من جذوره في البلاد التي حكمها، وأبرز الحكام الذين يضرب بهم المثل في هذا مصطفى كمال الذي حكم تركيا باسم (أتاتورك) فإنه عندما استلم مقاليد الحكم، ألغى الخلافة الإسلامية، وطرد خليفة المسلمين من البلاد، ونبذ الشريعة الإسلامية، وألغى منصب شيخ الإسلام، وألغى المحاكم الشرعية، وألغى المدارس الدينية، وحدد عدد المساجد التي يجوز الصلاة فيها، وحوَّل مسجد أيا صوفيا إلى متحف، وحَّول مسجد الفاتح إلى مستودع.

وألغى الكتابة بالحروف العربية والأرقام العربية وحَّرم الكتابة بها، وألزم الكتابة بالحروف اللاتينية، ومنع الأذان بالعربية، وألزم الشعب التركي بلبس القبعة الأوربية وخلع الطربوش التركي من فوق رأسه. حتى القرآن ترجمه وفرض قراءته دون الأصل العربي) [1].

ترى كيف فعل حاكم ظالم بشعب مسلم كانت بلاده هي مصدر هداية ومنبع نور وعاصمة الخلافة الإسلامية فصارت كما ترى في أسوأ حال.

٣- عقبة الكفار:

(أعظم عقبة تحول دون تطبيق الشريعة الإسلامية هي جهود أعداء

---

(١) معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية للأشقر ص (٤٩-٥٠).

الإسلام، وهي جهود هائلة بذلها أعداء الإسلام لإقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم في ديار المسلمين وإحلال القوانين الوضعية محلها، وقد كان واضحاً لقادة الصليبيين والشيوعيين واليهود ومفكريهم أهمية زلزلة عقيدة الإسلام في نفوس المسلمين، وأهمية إزاحة التعاليم الإسلامية والقوانين الإسلامية من مناهج التعليم والمحاكم التي تقضي بين المسلمين في ديار الإسلام) [(١)].

ومن الطرق التي اتبعوها إثارة الشبهات حول الشريعة الإسلامية أنها جامدة وقاصرة ولا تواكب العصر الحاضر وأن لا علاقة له بالحكم وغيرها [(٢)].

---

(١) المرجع السابق ص (٢٣).

(٢) انظر هذه الشبهات والرد عليها في الكتب الآتية:

١- تحكيم الشريعة ودعاوي الخصوم د/ صلاح الصاوي.

٢- الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه عبدالقادر عودة (٤٢-٥٢).

٣- أسباب الحكم بغير ما أنزل الله د/ صالح السدلان ص (٢١-٥٢).

الفصل الثاني

وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية وثمراته

الفصل الثاني

وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية

إن الناظر في القرآن الكريم يجد أن الآيات التي تدل على وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية مستفيضة وبأساليب متعددة ولكنا نقتصر على هذه الآيات من باب الدلالة على هذا الأمر فقط.

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩ – ٥٠].

قال سماحة الإمام عبد العزيز بن باز – رحمه الله –: (وإن القارئ لهذه الآية والمتدبر لها يتبين له أن الأمر بالتحاكم إلى ما أنزل الله أُكِّدَ بمؤكدات ثمانية:

الأول: الأمر به في قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾.

الثاني: أن لا يكون أهواء الناس ورغباتهم مانعة من الحكم به بأي حال من الأحوال، وذلك في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾.

الثالث: التحذير من عدم تحكيم شرع الله في القليل والكثير، والصغير والكبير، بقوله سبحانه ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾.

الرابع: أن التولي عن حكم الله وعدم قبول شيء منه ذنب عظيم، موجب للعقاب الأليم، قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾.

الخامس: التحذير من الاغترار بكثرة المعرضين عن حكم الله، فإن الشكور من عباد الله قليل، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

السادس: وصف الحكم بغير ما أنزل الله بأنه حكم الجاهلية، يقول تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

السابع: تقرير المعنى العظيم بأن حكم الله أحسن الأحكام وأعدلها، يقول عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾.

الثامن: أن مقتضى اليقين هو العلم بأن حكم الله هو خير الأحكام وأكملها، وأتمها وأعدلها، وأن الواجب الانقياد له، مع الرضا والتسليم، يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.(١)

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: (ينكر تعالى على مَنْ خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى: من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام

(١) وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه للعلامة ابن باز ص (١٢-١٤) الطبعة السادسة ١٤١٨هـ.

أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير) (١).

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥].

قال العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله -: (وقد نفى الله - سبحانه وتعالى - الإيمان عمَّنْ لم يُحكِّمُوا النبيَّ فيما شجر بينهم نفياً مؤكداً بتكرار أداة النفي والقسم قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾. ولم يكتف - تعالى وتقدس - منهم بمجرد التحكيم للرسول ﷺ حتى يُضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من الحرج في نفوسهم، بقوله جل شأنه: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

والحرج: الضيق بل لابد من اتساع صدورهم لذلك وسلامتها من القلق والاضطراب.

ولم يكتف - تعالى - أيضاً هنا بهذين الأمرين حتى يضموا إليهما التسليم، وهو كمال الانقياد لحكمه ﷺ بحيث يخلون ههنا من أي تعلق بهذا الشيء، ويسلموا ذلك إلى الحكم الحق أتم تسليم، ولهذا أكد ذلك المصدر المؤكد، وهو

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٤) طبعة مؤسسة الريان.

قوله جل شأنه: ﴿تَسْلِيمًا﴾ المبين أنه لا يكتفي ههنا بالتسليم، بل لابد من التسليم المطلق)[١].

الدليل الثالث:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

قال الإمام الطبري - رحمه الله -: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني القرآن ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ لتقضي بين الناس فتفصل بينهم ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.[٢]

ويقول ابن عطية -رحمه الله -: (﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ معناه على قوانين الشرع؛ إما بوحي ونص، أو بنظر جار على سنن الوحي، وقد تضمن الله تعالى لأنبيائه العصمة)[٣].

الدليل الرابع:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: (﴿ثُمَّ﴾ بعد الموت والحياة البرزخية وما فيها من الخير والشر ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ أي: الذي

---

(١) تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ص (٥-٦).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٧٥) تحقيق شاكر.
(٣) المحرر الوجيز (٤/ ٢٤٥) نقلاً عن الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه للدكتور / عبدالرحمن المحمود ص (٦١-٦٢) طبعة دار طيبة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

تولاهم بحكمه القدري، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير، ثم تولاهم بأمره ونهيه، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ثم ردوا إليه ليتولى الحكم فيهم بالجزاء، ويثيبهم على ما عملوا من الخيرات، ويعاقبهم على الشرور والسيئات، ولهذا قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ وحده لا شريك له ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ لكمال علمه وحفظه لأعمالهم، بما أثبته في اللوح المحفوظ، ثم أثبتته ملائكته في الكتاب الذي بأيديهم، فإذا كان تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير، وهو القاهر فوق عباده، وقد اعتنى بهم كل الاعتناء في جميع أحوالهم، وهو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي - فأين للمشركين العدول عن من هذا وصفه ونعته، إلى عبادة مَنْ ليس له من الأمر شيء، ولا عنده مثقال ذرة من النفع ولا له قدرة وإرادة؟!.

أما والله لو علموا حلم الله عليهم وعفوه ورحمته بهم، وهم يبارزونه بالشرك والكفران، ويتجرؤون على عظمته بالإفك والبهتان، وهو يعافيهم ويرزقهم، لانجذبت دواعيهم إلى معرفته، وذهلت عقولهم في حبه، ولمقتوا أنفسهم أشد المقت، حيث انقادوا لداعي الشيطان، الموجب للخزي والخسران، ولكنهم قوم لا يعقلون)(١).

الدليل الخامس:

قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص (٢٦٠) تحقيق د/ عبد الرحمن معلا اللويحق. طبعة مؤسسة الرسالة

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله-: (هذه وصية من الله - عز وجل - لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله، وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله، وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد. روى ابن أبي حاتم عن إبراهيم أبي زرعة - وكان قد قرأ الكتاب - أن الوليد بن عبد الملك قال له: أيحاسب الخليفة؟ فإنك قد قرأت الكتاب الأول، وقرأت القرآن وفقهت، فقلت: يا أمير المؤمنين أقول؟ قال: قل في أمان الله، قلت: يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام؟! إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية.

وقال عكرمة: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ هذا من المقدم والمؤخر، لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا.

وقال السدي: لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب. وهذا القول أمشى على ظاهر الآية. والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب)(١).

الدليل السادس:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص (١١٧٢-١١٧٣) طبعة دار السلام بالرياض بإشراف الشيخ / صفي الرحمن المباركفوري.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: (﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: اتبعوا كتابه ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: خذوا سنته ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله. كما تقدم في الحديث الصحيح: «**إنما الطاعة في المعروف**»(١).

وقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله وهذا أمر من الله – عز وجل – بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الشورى: ١٠] فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾[النساء: ٥٩] أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النزاع خير: ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ أي: أحسن عاقبة ومآلاً، كما قال السدي وغير واحد. وقال مجاهد: وأحسن جزاء. وهو قريب)(٢).

---

(١) انظر فتح الباري (١٣/ ١٣٠).

(٢) المصباح المنير ص (٣٠٣).

ثانياً: ثمرات تطبيق الشريعة الإسلامية:

من الثمرات المباركة لتطبيق الشريعة الإسلامية ما يلي:

١- خير وسيلة للقضاء على الجريمة، والإجرام، والتجربة خير برهان على ذلك.

٢- ومتى قضى على الجريمة أو اختنقت فإن الأمر يستقر، وتتوفر في البلاد روح السكينة والطمأنينة.

٣- وحينما يقل الإجرام والجرائم تتوفر أيد عاملة فتتجه إلى الإنتاج بدل أن كانت تتجه إلى الإفساد والعدوان.

٤- وبذلك يتوفر الرخاء وتتسع أرزاق البلاد. وفي هذا تصديق واقعي لما يفهم من أن إقامة الحد خير للبلاد وللعباد من أن يمطروا أربعين صباحاً[1].

٥- وكذلك يصير المجتمع مستقراً هادئاً، ولا قلاقل فيه ولا اضطرابات.

٦- تسعد الأمة - حكامها ومحكوموها - باستجابتها لأمر الله تعالى ورسوله وفي ذلك حياة طيبة لها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

---

(١) ومصداق ذلك في كتاب الله الكريم: قوله تعالى:

- ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦].
- ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].
- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٦].

٧- هذا فضلاً من أن إقامة الحدود تعتبر نوعاً من العبادة لله تعالى - بامتثال أمره والاحتكام إلى شرعه - وهذه العبادة هي الغاية السامية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٨- وقد يكون من نافلة القول أو من المقرر الذي لا منازعة فيه أن في إقامة الحدود:

أ - احترام لحق الحياة، وحق الدماء.

ب- صيانة للأنساب، وطهارة للأعراض.

جـ- حفظ للأموال وللممتلكات من العدوان عليها.

د - وقاية للعقل من الخلل، وللأخلاق من الفساد.

هـ- تقديس للدين ولما أمر الله أن يقدس ويصان)[1].

تجربة واقعية في العصر الحاضر:

قال الأستاذ / عبد القادر عودة - رحمه الله -: (فأما التجربة الكلية: فقد بدئ بها في (مملكة الحجاز) حيث طبقت الشريعة الإسلامية تطبيقاً تاماً ونجحت نجاحاً منقطع النظير في القضاء على الإجرام وحفظ الأمن والنظام، ولا يزال الناس يذكرون كيف كان الأمن مختلاً في الحجاز، بل كيف كان الحجاز مضرب الأمثال في كثرة الجرائم، وشناعة الإجرام.

---

(١) أثر تطبيق الحدود في المجتمع للأستاذ / الغزالي خليل عيد ص (١٩٥-١٩٦) من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام بالرياض ١٣٩٦هـ أشرفت على طباعته ونشره: إدارة الثقافة والنشر بالجامعة عام ١٤٠٤هـ.

فقد كان المسافر فيه كالمقيم لا يأمن على ماله ولا على نفسه في بدو أو حضر في ليل أو نهار.

وكانت الدول ترسل مع رعاياها الحجاج قوات مسلحة لتأمين سلامتهم ورد الاعتداء عنهم، وما كانت هذه القوات الخاصة ولا القوات الحجازية بقادرة على إعادة الأمن وكبح جماح العصابات ومنعها من سلب الحجاج أو الرعايا الحجازيين وخطفهم والتمثيل بهم، وظل حماة الأمن في الحجاز عاجزين عن حماية الجمهور حتى طبقت الشريعة الإسلامية. فانقلب الحال بين يوم وليلة، وساد الأمن بلاد الحجاز وانتشرت الطمأنينة بين المقيمين والمسافرين، وانتهى عهد الخطف، والنهب وقطع الطريق، وأصبحت الجرائم القديمة أخباراً تروى، فلا يكاد يصدقها من لم يعاصرها أو يشهدها وبعد أن كان الناس يسمعون أشنع أخبار الإجرام عن الحجاز أصبحوا يسمعون أعجب الأخبار عن استتباب الأمن والنظام فهذا يفقد كيس نقوده في الطريق العام، فلا يكاد يذهب إلى دار الشرطة ليبلغ حتى يجد كيسه كما فقد منه، معروضاً للتعرف عليه، وهذا يترك عصاه في الطريق فتنقطع حركة المرور حتى تأتي الشرطة لرفع العصا من مكانها، وهذا يفقد أمتعته وييأس من ردها ولا يبلغ عنها، ولكنه يجد الشرطة يبحثون عنه ليردوا إليه ما فقد منه، وبعد أن كان الأمن يعجز عن حفظه قوات عسكرية عظيمة من الداخل، وقوات عسكرية كبيرة من الخارج أصبح الأمن محفوظاً بعدد يسير من الشرطة المحليين)[1].

---

(١) التشريع الجنائي في الإسلام (١/ ٧١٢-٧١٣). نقلاً عن الأستاذ / الغزالي خليل عيد في بحثه أثر تطبيق الحدود في المجتمع (١٩٤).

قال فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - في رسالة الجهاد ١٤١١هـ: (أُشهِدُ اللهَ تعالى على ما أقول وأشهدكم أيضاً أنني لا أعلم أن في الأرض اليوم من يطبق من شريعة الله ما يطبقه هذا الوطن أعني المملكة العربية السعودية وهذا بلا شك من نعمة الله علينا فلنكن محافظين على ما نحن عليه اليوم لأنني لا أدّعي الكمال وأننا في القمة بالنسبة لتطبيق شريعة الله. لا شك أننا نخل بكثير منها ولكننا خير - والحمد لله - مما نعلمه من البلاد الأخرى).[1]

انظر -رحمنا الله وإياك- إلى الآثار المباركة لتطبيق الشريعة في المملكة العربية السعودية بالإضافة إلى نعمة الأمن والأمان ترى رغد العيش والخيرات الكثيرة، والنعم الوافرة.

(١) انظر كتاب وجوب طاعة السلطان في غير معصية الرحمن بدليل السنة والقرآن ص (٥٤) إعداد محمد بن ناصر العريني، الطبعة الثانية.

الفصل الثالث

الحكم بغير ما أنزل الله في الميزان

وفيه أربعة مباحث:

أولاً: خطورة التكفير.

ثانياً: أقوال علماء الإسلام في تحكيم القوانين.

ثالثاً: أحوال الحاكم بغير ما أنزل الله.

رابعاً: الآثار السيئة المترتبة على الحكم بغير ما أنزل الله.

الفصل الثالث

الحكم بغير ما أنزل الله في الميزان

أولا: خطورة التكفير

ونحن إذ نتكلم عن خطورة التكفير فإننا لا ندافع بذلك عن أنظمة فاسدة أو قوانين جائرة، ولكننا نخاف على إخواننا أن يذهب بهم الحماس المفرط إلى مخالفة مذهب أهل السنة والجماعة فيقعوا فيما وقعت فيه الخوارج المارقة؛ فقد كانت مسألة الحكم والحاكمية سبب فسادهم وضلالهم، لذا فإننا نذكر أنفسنا وإخواننا فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجل لأخيه: (يا كافر) فقد باء بها أحدهما**»(١).

وعن أبي ذر الغفاري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك**»(٢).

قال الشيخ الدكتور/ غانم بن صالح السدلان – حفظه الله –: (إن مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من مهمات المسائل العلمية الواقعية، كُتِبَ فيها رُكام من الكتيبات والرسائل، أغلبها الأعم انتصار لتصورات سابقة، أو استجابة لحماسة طاغية، وإن مسألة خطيرة كهذه، دعت الحاجة الملحة للكتابة فيها يجب أن تبحث بإخلاص

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

وتجرد وموضوعية على منهاج سلف الأمة في فهم نصوص القرآن والسنة)[١].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -: (والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه، لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم والمحكوم عليه في الوصف الذي نبذه به.

الثاني: الوقوع فيما نبذ به أخاه إن كان سالماً منه ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**إذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**» وفيه عن أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ: «**مَنْ دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك حار عليه**» وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي موانعه)[٢].

---

(١) الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير ص (٥) للدكتور/ خالد العنبري طبعة مكتبة الفرقان - الإمارات - الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ.

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (٨٧-٩٢) لابن عثيمين - رحمه الله - طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

وانظر الكتب الآتية:

١- ظاهر التبديع والتفسيق والتكفير وضوابطها للشيخ / صالح الفوزان، نشر دار النجاح.

٢- مظاهر الأخطاء في التكفير أسباب ذلك وعلاجه للشيخ / صالح السدلان، نشر دار بلنسية.

أقوال علماء الإسلام في تحكيم القوانين [١]:

هذا بعض ما قاله علماء الإسلام المعتبرون على مدار القرون تسليم كف بكف وكابر عن كابر.. في تأويل آيات الحكم بغير ما أنزل الله، من الصدر الصالح وعلى رأسهم ابن عباس - رضي الله عنهما - إلى التابعين كعكرمة وغيرهما... من أئمة التفسير والأثر إلى علماء الملة المعاصرين الذين شهدوا على العصر، وشهد لهم بالعلم والصلاح - رحم الله الجميع -.

١- روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، قال: مَنْ جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومَنْ أقر به، ولم يحكم به فهو ظالم فاسق [٢].

٢- قال القرطبي: وقال ابن مسعود والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله، أي معتقداً ومستحلاً له) [٣].

وكذلك قال السدي وإبراهيم النخعي [٤].

٣- وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث: من ترك الحكم بما أنزل الله رداً لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق [٥].

٣- الحكم بغير ما أنزل الله أنواعه وأحكامه. للشيخ الدكتور: عبد الرحمن بن صالح المحمود.

(١) راجع مجلة السلفية ص (٤٥-٤٧) العدد (٦) لعام ١٤٢٢هـ.

(٢) صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: (١٧٩). وأخرجه ابن جرير في تفسيره: (١٠/ ٣٥٧) وابن المنذر وغيرهم).

(٣) الجامع للأحكام القرآن (٦/ ١٩٠).

(٤) انظر تفسير الطبري (١٠/ ٣٥٦-٣٥٧).

(٥) مختصر تفسير الخازن (١/ ٣١٠).

٤- وقال عكرمة: ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به فقد كفر، ومَنْ أقر به، ولم يحكم به فهو ظالم فاسق.

قال الخازن وهو قول ابن عباس - أيضاً -.

٥- وهو اختيار الزجاج.

٦- **وقال شيخ المفسرين الطبري**: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب مَنْ قال: (نزلت هذه الآيات في كُفَّار أهل الكتاب، لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات فيهم نزلت، وهم المعنيون بها، وهذه الآيات سياق الخبر عنهم، فكونها خبراً عنهم أولى.

فإن قال قائل: فإن الله - تعالى ذكره- قد عَمَّ بالخبر بذلك عن جميع مَنْ لم يحكم بما أنزل الله، فكيف جعلتها خاصاً؟

قيل: إن الله تعالى عم بالخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرين، وكذلك القول في كل مَنْ لم يحكم بما أنزل جاحداً به، هو بالله كافر، كما قال ابن عباس[1].

٧- **وقال أبو السعود**: أي مَنْ لم يحكم بذلك مستهيناً منكراً. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

٨- **وقال النسفي**: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مستهيناً به لاستهانتهم به[3].

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٣٥٨).
(٢) تفسير أبو السعود (٢/ ٦٤).
(٣) تفسير النسفي (١٠/ ٢٨٥).

٩- **وقال أبو بكر الجصاص**: وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لا يخلو من أن يكون مراده الشرك والجحود، أو كفر النعمة من غير جحود، إن كان المراد جحود حكم الله، أو الحكم بغيره مع الإخبار بأن حكم الله فهذا كفر يخرج عن الملة، وفاعله مرتد وإن كان قبل ذلك مسلماً.

وعلى هذا تأوله مَنْ قال: إنها أنزلت في بني إسرائيل وجرت فينا يعنون: (أن من جحد حكم الله، أو حكم بغير حكم الله ثم قال: إن هذا حكم الله فهو كافر، كما كفرت بنو إسرائيل حين فعلوا).

وإن كان المراد به كفر النعمة، فإن كفران النعمة قد يكون بترك الشكر عليها من غير جحود، فلا يكون فاعله خارجاً من الملة.

والأظهر هو المعنى الأول لإطلاقه اسم الكفر على من لم يحكم بما أنزل الله).

١٠- **وقال شارح الطحاوية**: (وهنا أمر يجب التفطن له، وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً إما مجازياً وإما كفراً أصغر وذلك حسب حال الحاكم:

فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مُخَيَّر فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر.

وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعَلِمَه في هذه الوقعة، وعدل عنه، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاصٍ، ويُسَمَّى كفراً مجازياً، أو كفراً أصغر)[1].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٣٢٣، ٣٢٤).

١١- **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله -:** (ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله هو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله سبحانه وتعالى، كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر، فإن كثيراً من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار، وإلا كانوا جهالاً) (١).

١٢- **وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -:** ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لأنهم جحدوا حكم الله قصداً منهم وعناداً وعمداً، وقال ههنا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه، فخالفوا وظلموا وتعدوا)(٢).

١٧- **وقال علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي- رحمه الله -:** (كفر الحاكم بغير ما أنزل الله بقيد الاستهانة والجحود له، هو الذي نحاه كثيرون

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٣٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٣٧).

وآثروه عن عكرمة وابن عباس)[١].

١٨- وقال صاحب المنار- رحمه الله -: (وقد استحدث كثير من المسلمين من الشرائع والأحكام نحو ما استحدث الذين من قبلهم، وتركوا- بالحكم بها- بعض ما أنزل الله عليهم، فالذين يتركون ما أنزل الله في كتابه من الأحكام من غير تأويل يعتقدون صحته، فإنه يصدق عليهم ما قاله الله في الآيات الثلاث أو في بعضها، كل بحسب حاله:

- فمَنْ أعرض عن الحكم بحد السرقة، أو القذف، أو الزنى، غير مذعن له لاستقباحه إياه، وتفضيل غيره من أوضاع البشر عليه فهو كافر قطعاً.

- ومَنْ لم يحكم به لعلة أخرى فهو ظالم إن كان في ذلك إضاعة الحق أو ترك العدل والمساواة فيه، وإلا فهو فاسق فقط.

- فإننا نرى كثيرين من المسلمين المتدينين يعتقدون أن قضاة المحاكم الأهلية الذين يحكمون بالقانون كفاراً أخذاً بظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، ويستلزم الحكم بتكفير القاضي الحاكم بالقانون تكفير الأمراء والسلاطين الواضعين للقوانين، فإنهم وإن لم يكونوا ألفوها بمعارفهم، فإنها وضعت بإذنهم، وهم الذين يولون الحكام ليحكموا بها..

أما ظاهر الآية فلم يقل به أحد من أئمة الفقه المشهورين، بل لم يقل به أحد (قط)!!!)[٢].

---

(١) محاسن التأويل (٦/ ١٩٩٨).

(٢) تفسير المنار (٦/ ٤٠٥-٤٠٦).

١٩- وقال العلامة الشنقيطي- رحمه الله -: (واعلم أن تحرير المقام في هذا البحث أن الكفر والظلم والفسق، كل واحد منها أطلق في الشرع مراد به المعصية، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ معارضة للرسل، وإبطالاً لأحكام الله، فظلمه وفسقه وكفره كلها مخرج عن الملة.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ معتقداً أنه مرتكب حراماً، فاعل قبيحاً، فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج من الملة)[1].

٢٠- وقال العلامة عبد اللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ- رحمه الله تعالى -: (.. وجاءت السنة بأن الطاعة في المعروف، وهو ما أمر الله به ورضيه من الواجبات والمستحبات. وإنما يحرم التحكيم إذا كان المستند إلى شريعة باطلة تخالف الكتاب والسنة، كأحكام اليونان والإفرنج والتتر وقوانينهم التي مصدرها آراؤهم وأهواؤهم، وكذلك سوالف البادية وعاداتهم الجارية، فمَنْ استحل الحكم بهذا في الدماء أو غيرها فهو كافر، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وهذه الآية ذكر فيها بعض المفسرين: أن الكفر المراد هنا كفر دون الكفر الأكبر، لأنهم فهموا أن تتناول من حكم بغير ما أنزل الله، وهو غير مستحل لذلك، ولكنهم لا ينازعون في عمومها للمستحل، وأن كفره مخرج عن الملة..) أ.هـ[2].

(١) أضواء البيان (٢/ ١٠٤).

(٢) عن كتاب منهاج التأسيس والتقديس، للعلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، (٧٠-٧١).

٢٠- وقال المفتي العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة العربية السعودية الأسبق- رحمه الله -: (وكذلك تحقيق معنى محمد رسول الله من تحكيم شريعته، والتقيد بها، ونبذ ما خالفها من قوانين والأوضاع وسائر الأشياء التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي من حكم بها أو حاكم إليها معتقداً صحة ذلك وجوازه فهو كافر الكفر الناقل عن الملة، وإن فعل ذلك بدون اعتقاد ذلك وجوازه فهو كافر الكفر العملي الذي لا ينقل عن الملة) أ.هـ[1].

٢٢- وقال العلامة الشيخ السعدي- رحمه الله -: (فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفراً ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعمال الكفر قد استحق من فعله العذاب الشديد.. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قال ابن عباس: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم وفسق دون فسق، فهو ظلم أكبر عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له)[2].

٢٣- وقال العلامة الإمام عبدالعزيز بن باز- رحمه الله -: (فقد اطلعت على الجواب المفيد القيم الذي تفضل به صاحب الفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وفقه الله المنشور في صحيفة (المسلمون) (نقلاً عن المجلة السلفية) الذي أجاب به فضيلته على من سأله عن (تكفير من حكم بغير ما أنزل الله من غير تفصيل) فألفيتها كلمة قيمة أصاب فيها الحق وسلك فيها سبيل المؤمنين وأوضح – وفقه

---

(١) فتاواه (١/ ٨٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٣٩٦-٣٩٧).

الله - أنه لا يجوز لأحد من الناس أن يكفر من حكم بغير ما أنزل الله بمجرد الفعل من دون أن يعلم أنه استحل ذلك بقلبه واحتج بما جاء في ذلك عن ابن عباس- رضي الله عنهما - وعن غيره من سلف الأمة ولا شك أن ما ذكره في جوابه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾، وهو الصواب.

وقد أوضح -وفقه الله- أن الكفر كفران أكبر وأصغر فمن استحل الحكم بغير ما أنزل الله أو الزنا أو الربا أو غيرها من المحرمات المجمع على تحريمها فقد كفر كفراً أكبر وظلم ظلماً أكبر وفسق فسقاً أكبر ومن فعلها بدون استحلال كان كفره كفراً أصغر وظلمه ظلماً أصغر وهكذا فسقه لقول النبي ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»، أراد بهذا ﷺ الفسق الأصغر والكفر الأصغر وأطلق العبارة تنفيراً من هذا العمل المنكر.

أحوال الحاكم بغير ما أنزل الله:

قال العلامة ابن باز- رحمه الله -: (من حكم بغير ما أنزل الله فلا يخرج عن أربعة أمور:

١- مَنْ قال: أنا أحكم بهذا لأنه أفضل من الشريعة الإسلامية، فهو كافر كفراً أكبر.

٢- ومَنْ قال: أنا أحكم بهذا لأنه مثل الشريعة الإسلامية فالحكم بهذا جائز، وبالشريعة الإسلامية جائز، فهو كافر كفراً أكبر.

٣- ومن قال أنا أحكم بهذا، والحكم بالشريعة الإسلامية أفضل ولكن

الحكم بغير ما أنزل الله جائز فهو كافر كفراً أكبر.

٤- ومن قال: أنا أحكم بهذا وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله لا يجوز، ويقول الحكم بالشريعة الإسلامية أفضل، ولا يجوز الحكم بغيرها، ولكنه متساهل أو يفعل هذا الأمر أو يفعل هذا الأمر صادر عن أحكامه فهو كافر كفراً أصغر ولا يخرج من الملة ويعتبر من أكبر الكبائر)[1].

سئلت اللجنة الدائمة للبحوث في المملكة العربية السعودية السؤال التالي:

س: مَنْ لم يحكم بما أنزل الله هو مسلم أم كَفَرَ كُفْراً أكبر وتقبل منه أعماله؟

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه. وبعد:

ج- قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ لكن إن استحل ذلك واعتقده جائز فهو كفر أكبر وظلم أكبر، وفسق أكبر يخرج من الملة، أما إن فعل ذلك من أجل الرشوة أو مقصد آخر وهو يعتقد تحريم ذلك فإنه آثم ويعتبر كافراً كفراً أصغر، وفاسقاً فسقاً أصغر لا يخرجه من الملة، كما أوضح ذلك أهل العلم في تفسير الآيات المذكورة. أ.هـ[2]

الآثار السيئة المترتبة على الحكم بغير ما أنزل الله:

قد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم لتسعد به البشرية من خلال تطبيق أحكامه وتنفيذ ما جاء فيه، ولما أعرض الناس عنه- إلا مَنْ رحم الله- وحكموا

---

(١) التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال (٧٢-٧٣).

(٢) راجع مجلة السلفية ص (٤٤) العدد (٦) لعام ١٤٢٢هـ.

أقوال الرجال في الأموال والأعراض والدماء نزل بهم عقاب الله من سخط وغضب وها هي **بعض الآثار المترتبة على الحكم بغير ما أنزل الله في واقع الناس:**

١- فساد عقيدة التوحيد بين المسلمين، وانتشار مظاهر الشرك في بلاد الإسلام حيث يُذْبَحُ لغير الله ويُنْذَر ويُطْلَبُ جلبُ النفع ودفع الضر من الأولياء والصالحين.

٢- انتشار المذاهب العلمانية والكفرية بين أبناء المسلمين والانتساب لها والعمل في صفوفها.

٣- ظهور البدع في الدين والأقوال والأعمال المحدثة في العبادات التي قلما يسلم منها مسلم إلا من اتبع الدليل من الكتاب والسنة الصحيحة بفهم السلف الصالح.

٤- السخرية والاستهزاء بشريعة الإسلام ومَنْ يدعو إليها ويطبقها في واقع الحياة، بل وصل الحال في بعض الأحيان إلى السخرية من الله- تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- ومن الرسول ﷺ ومن القرآن الكريم.

٥- صارت الغلبة والمكانة لأهل الكفر والنفاق وصارت بلاد الإسلام كما أخبر الرسول ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» قالوا: فمن قلة يومئذ؟ قال: «**لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم؛ لحبكم الدنيا وكراهية الموت**»[1].

وهكذا عندما نحيت الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة نُكِّسَتْ معها راية الجهاد في سبيل الله فأصاب المسلمين الذل والصغار، قال رسول الله ﷺ: «**إنما**

---

(١) (حديث صحيح) رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٦).

جُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي، وجُعِلَ الذلُّ والصغارُ على مَنْ خالف أمري».

٦- تعطيل تطبيق الحدود الشرعية كعقوبة ربانية لبعض الذنوب والمعاصي مما أدى إلى الكثير من العواقب الوخيمة ومنها:

أ- اجتراء الناس على محارم الله ومواقعتهم لحمى الله، والله يغار أن تنتهك محارمه أو يعتدى على حماه.

فترى الحوادث والجرائم تكثر بشكل مذهل وبنسبة عظيمة متزايدة عاماً بعد عام، وهذا ما يلمس واضحاً من واقع أرقام الإحصائيات الرسمية للجرائم والجنايات في الأقطار والبلاد المبتلاة بتلك الأنظمة والقوانين سواءً من البلاد غير الإسلامية أو بلاد المسلمين التي تطبق القوانين الوضعية.

ب- انتشار الخوف وظاهرة القلق والاكتئاب مما ترتب عليه انتشار العيادات النفسية، وارتفاع نسبة الانتحار، والإفراط في شرب الخمور والمسكرات والتدخين.

جـ- انعدام الروح الجماعية في الأسرة والمجتمع وشدة بروز الروح الفردية والأنانية.

د- انقسام المجتمع إلى طبقات اجتماعية متفاوتة بدرجة كبيرة جداً في نظام المعيشة، وارتفاع معدل الفقر والبطالة بين الناس.

٧- إهمال الشعائر الإسلامية وعدم الحرص على إقامتها بين الناس مثل: الصلاة عمود الدين فترى أعداداً لا حصر لها من المسلمين لا يدخلون المساجد ولا يعرفون شيئاً من أحكام الصلاة، وكذلك الزكاة فقد عطلت ولم تقم الحكومات على جمعها وتوزيعها على مصارفها الشرعية، حتى لم تعنف تاركها ومانعها، فضلاً عن قتاله كما فعل أبوبكر الصديق ﷺ مع مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ

وقال: (والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه).

٨- عدم الاستقرار، والتفرق والاختلاف، والتنازع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله -: (وإذا خرج ولاة الأمور عن الحكم بغير ما أنزل الله، وقع بأسهم بينهم، قال النبي ﷺ: «**ما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا وقع بأسهم بينهم**» وهذا من أعظم أسباب تغير الدول كما جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا، ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره فيسلك مسلك من أيده الله ونصره، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانه، فإن الله يقول في كتابه: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ** ﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١].

فقد وعد الله بنصر من ينصره، ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله، لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم)[١].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ٣٨٨).

الفصل الرابع

صور من تحكيم الشريعة الإسلامية

الفصل الرابع

صور من تحكيم الشريعة الإسلامية

هذه بعض النماذج المشرفة، والصور النيرة لتحكيم شرع الله- عز وجل- في الدماء والأموال والأعراض، ونبذ ما خالفه من حكم الجاهلية:

النموذج الأول:

عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني- رضي الله عنهما- أنهما قالا: (إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنشدك بالله إلا قضيت بيننا بكتاب الله، فقال الخصم الآخر- وهو أفقه منه- نعم، فاقض بيننا، وائذن لي، فقال النبي ﷺ: قل، فقال: إن ابني كان عسيفاً[1] على هذا، فزنى بامرأته، وإني أُخْبِرْتُ: أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني: أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم. فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم: رَدٌّ عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام. واغد يا أنيس- لرجل من أسلم- على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها»** فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت).[2]

---

(١) العسيف: الأجير.

(٢) متفق عليه.

ما يستفاد من الحديث:

١- خطر العمال والخدم في البيوت بلا رقيب، مما ينتج عن ذلك الأخطاء الشرعية كما حدث في هذه القصة، والواقع يشهد لذلك بكثير من الأحداث والقصص.

٢- رد الأحكام التي تخالف شرع الله- عز وجل -، وعدم قبولها، حتى ولو اصطلح الخصمان على الرضا بها كما فعل الرسول ﷺ مع الرجل ورد عليه الوليدة والغنم(١).

٣- القضاء بحكم الله من الكتاب والسنة في فاحشة الزنا: المحصن: الرجم، وغير المحصن: جلد مائة وتغريب عام. وتنفيذ ما يترتب على ذلك الحكم الشرعي، قال رسول الله ﷺ: «**واغد يا أنيس- لرجل من أسلم- على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها، فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت**».

النموذج الثاني:

عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنه قال: (إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له: أن امرأة منهم ورجلاً زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما تجدون في التوراة، في شأن الرجم؟**» قالوا: نفضحهم ويُجْلدون. قال عبدالله بن سلام: كذبتم، فيها آية الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك. فرفع يده،

(١) ترى في كثير من الجلسات العرفية بين الناس أن هدفها هو رضا الطرفين فتجدهم يحكمون في مثل قضايا الزنا والقذف.. وغيرها بمبلغ من المال يعطى للخصم دون النظر إلى حكم الله - عز وجل - في ذلك.

فإذا فيها آية الرجم، قال: صدقت يا محمد، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما. قال: فرأيت الرجل: يجنأ[١] على المرأة يقيها الحجارة)[٢].

ويستفاد من الحديث:

- أن العلماء لهم دور كبير في تطبيق أحكام الله- عز وجل- أو تعطيل الشريعة، ولإخفاء أحكام الله وعدم إظهارها كما فعل علماء اليهود، ومن شابههم من علماء المسلمين. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾[المائدة: ١٥].

النموذج الثالث:

عن عائشة- رضي الله عنها- (أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليها إلا أسامة بن زيد حبّ رسول الله ﷺ. فكلمه أسامة. فقال: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**» ثم قام فاختطب، فقال: «**إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف: أقاموا عليه الحد، وأيم الله: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[٣]).

ما يستفاد من الحديث:

١- (في هذا الحديث: دليل على امتناع الشفاعة في الحد، بعد بلوغه السلطان.

---

(١) يَجْنَأ: أي يميل.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

٢- تعظيم أمر المحاباة للأشراف في حقوق الله تعالى، وبيان أنه من أسباب هلاك الأمم السابقة) [١].

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ص (٦٣٢) طبعة دار الجيل تحقيق / أحمد شاكر الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

الخاتمة

وفي نهاية الكتاب لعلنا نكون بذلك قد وضحنا بشيء من التفصيل معنى هجر القرآن وأنواعه وما يشتمل عليه من مباحث وأحكام، ونأمل أن نكون قد وفقنا إلى تحقيق ما يلي:

١- العودة إلى القرآن الكريم مصدر العز والشرف.

٢- بيان ظاهرة هجر القرآن في واقع الناس (الأسباب والعلاج).

٣- أن يجعل المسلم له ورداً يومياً للتلاوة.

٤- أن يستمع وينصت المسلم إلى القرآن الكريم رجاء الرحمة.

٥- أن يتدبر المسلم القرآن ويفقه مراد الله - عز وجل - ويقف عند عجائبه.

٦- أن يحول المسلم القرآن الكريم إلى واقع حياة متكامل بأوامره يأتمر، وبنواهيه وزواجره ينزجر.

٧- أن يتداوى ويستشفي المسلم بالقرآن الكريم ويجعله الدواء لأمراض قلبه وبدنه.

٨- ألا يتحاكم المسلم إلا إلى الكتاب والسنة ويترك القوانين والشرائع الوضعية.

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو زلل أو نسيان فمنا ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وحسبنا أنا أردنا الخير والنصح للأمة.

وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

كتبه

أبو أنس محمد بن فتحي آل عبدالعزيز

أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح

فهرس الموضوعات

مقدمة الدكتور سعيد بن مسفر القحطاني ١

مقدمة الشيخ عبد الله بن مانع ٣

مقدمة الدكتور محمود بن أحمد الدوسري ٤

مقدمة الطبعة الثالثة ٦

مقدمة الطبعة الأولى ٩

- سبب تأليف الكتاب ١١

- منهج الكتاب ١٢

- تمهيد ١٥

الفصل الأول: معنى هجر القرآن ١٧

- الخلاصة ٢٢

الفصل الثاني: عاقبة هجر القرآن ٢٣

- حكم الهجر ٣١

- أنواع هجر القرآن ٣٢

الباب الأول: هجر التلاوة ٣٥

- **الفصل الأول: أسباب هجر التلاوة** ٣٩

معنى التلاوة لغة واصطلاحاً ٣٩

- **أولاً: أسباب هجر التلاوة** ٤١

١ - الجهل بفضل تلاوة القرآن الكريم ٤١

٢- الانشغال بالدنيا ٤٣
٣- الفتور وضعف الهمة ٤٤
٤- تقديم طلب العلوم الأخرى على القرآن ٤٦
٥- الغزو الفكري والحرب المعلنة ضد القرآن ٤٨
الفصل الثاني: صور من هجر التلاوة ٥١
- التلحين في القراءات ٥٣
- جمع القراءات في مجلس واحد ٥٥
- بدع قراءة الفاتحة ٥٦
- بدعة أخذ الفأل من المصحف ٥٧
- قراءة القرآن عند القبر ٥٨
- قراءة القرآن للأموات ٦٠
الفصل الثالث: أحوال الناس مع القرآن ٦١
- نقل عن الحافظ ابن حجر ٦٣
- هؤلاء هجروا تلاوة القرآن ٦٦
- بعض الأئمة ٦٦
- بعض الأغنياء ٦٧
- بعض قراء القرآن ٦٨
- المتصوفة ٦٨
- بعض المثقفين ٦٩
- بعض العامة ٦٩

- جماعة اللهو والعبث ٧٠
الفصل الرابع: فضل تلاوة القرآن الكريم ٧١
- تلاوة القرآن تحصيل للأجر العظيم ٧٣
- تلاوة القرآن سبب لتنزل السكينة ٧٥
- كرامة قارئ القرآن ٧٥
أ- في الدنيا ٧٦
ب- في القبر ٧٦
جـ- في يوم القيامة ٧٧
- الترغيب في قراءة سور وآيات مخصوصة ٨٠
١- الفاتحة أعظم سورة في القرآن ٨٠
٢- سورة البقرة حصن يمنع من الشيطان ٨٠
٣- آية الكرسي أعظم آية في القرآن ٨١
٤- فضل سورة آل عمران ٨٣
٥- سورة الكهف حصن يعصم من الدجال ٨٤
٦- سورة الفتح يحبها رسول الله ﷺ ٨٥
٧- سورة تبارك تمنع من عذاب القبر ٨٥
٨- سورة الكافرون تعدل ربع القرآن ٨٦
٩- سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن ٨٦
١٠- فضل المعوذتين ٨٧
شبهة والرد عليها ٨٨

أحاديث ضعيفة للتحذير منها ٨٩
- أحاديث ضعيفة في فضل القرآن ٨٩
- أحاديث ضعيفة في فضل قراءة القرآن عند المقابر ٩١
- أحاديث ضعيفة في فضائل السور ٩٢
- دعاء الحفظ الضعيف ٩٥
الفصل الخامس: آداب وأحكام تلاوة القرآن الكريم ٩٧
- آداب تلاوة القرآن ٩٩
- صفة قراءة النبي ﷺ ١٠١
- هديه ﷺ في القراءة في الصلاة ١٠٢
- في كم يقرأ القرآن؟ ١٠٥
- أيهما أفضل القراءة من المصحف أم عن ظهر قلب؟ ١٠٩
- هل الجهر بالقراءة أفضل أم الإسرار؟ ١٠٩
- هل يجوز مس المصحف من غير طهارة؟ ١١٠
- هل يجوز قراءة القرآن للجنب والحائض؟ ١١٢
- سجود التلاوة ١١٤
- حكم سجود التلاوة في الأوقات المكروهة ١١٦
سجود المستمع لسجود القارئ ١١٦
- حكم نسيان القرآن ١١٨
- حكم تقليد صوت القارئ ١٢٠
حكم القراءة من المصحف في الصلاة ١٢٤

- **الباب الثاني: هجر استماع القرآن** ١٢٩
الفصل الأول: استماع القرآن ١٣١
- معنى السماع ١٣٣
فضائل استماع القرآن ١٣٥
١- استماع القرآن سبب لرحمة الله ١٣٥
٢- استماع القرآن سبب لتحصيل الأجر العظيم ١٣٧
٣- استماع القرآن وهداية الإنسان ١٣٧
٤- استماع القرآن وتحصيل النور ١٣٨
- آداب استماع القرآن الكريم ١٣٩
- سبب هجر استماع القرآن ١٤٣
الفصل الثاني: أقسام الناس في سماع القرآن ١٤٩
- الصنف الأول ١٥١
- الصنف الثاني ١٥١
- الصنف الثالث ١٥٤
- الصنف الرابع ١٥٥
- فتاوى مهمة في استماع القرآن ١٥٧
الفصل الثالث: نماذج من استماع القرآن الكريم ١٦٣
- استماع الله - عز وجل - ١٦٥
- ما معنى استماع الله؟ ١٦٧
- استماع الملائكة ١٧٠

- استماع النبي ﷺ ١٧٣
- استماع الكفار ١٧٧
- ضعف خبر الطفيل وعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما- ١٨٣
- بطلان قصة الغرانيق ١٨٤
- استماع الجن ١٨٥
- استماع النصارى ١٩٠
الفصل الرابع: صور من هجر استماع القرآن ١٩٥
١- الصياح والغشي عند استماع القرآن ١٩٧
٢- شرب الدخان في مجلس القرآن ١٩٨
٣- الاستماع إلى الغناء ١٩٩
- أدلة تحريم الغناء ٢٠٠
الباب الثالث: هجر تدبر القرآن ٢٠٣
الفصل الأول: تدبر القرآن ٢٠٥
أولاً: معنى التدبر ٢٠٧
ثانياً: حكم التدبر ٢٠٨
ثالثاً: فوائد تدبر القرآن وثمراته ٢١٠
الفصل الثاني: هجر تدبر القرآن ٢١٣
أولاً: أسباب هجر تدبر القرآن الكريم ٢١٥
١- الذنوب والمعاصي ٢١٦
٢- ترك الدعاء ٢١٧

٣- الجهل باللغة العربية ٢١٨
٤- عدم التخلي عن موانع الفهم ٢٢٠
٥- هجر كتب التفسير ٢٢١
ثانياً: كيف تتدبر القرآن الكريم؟ ٢٢٤
- الطريق العلمي ٢٢٤
- الطريق العملي ٢٢٥
الفصل الثالث: المقامات العليا في التدبر ٢٢٩
أولاً: التدبر في القرآن الكريم ٢٣١
- تدبر القرآن من صفات المؤمنين ٢٣٤
- عتاب من الله للمؤمنين ٢٣٦
ثانياً: تدبر الرسول ﷺ ٢٣٧
ثالثاً: تدبر القرآن في سير السلف الصالح ٢٣٩
١- أبوبكر الصديق رضي الله عنه ٢٣٩
٢- عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٢٣٩
٣- عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ٢٣٩
٤- عباد بن بشر رضي الله عنه ٢٤٠
٥- الحسن البصري - رحمه الله - ٢٤٠
٦- الربيع بن خثيم - رحمه الله - ٢٤١
٧- مطرف بن عبدالله - رحمه الله - ٢٤١
- من قصص تدبر القرآن الكريم ٢٤٢

الباب الرابع: هجر العمل بالقرآن الكريم ٢٤٥
الفصل الأول: العمل بالقرآن بين الترغيب والترهيب ٢٤٧
- اقتضاء العلم للعمل ٢٤٩
- وجوب العمل بالقرآن الكريم ٢٥٣
- الترغيب في العمل بالقرآن الكريم ٢٥٦
١- العمل بالقرآن الكريم سبب للهداية في الدنيا والآخرة ٢٥٦
٢- العمل بالقرآن الكريم سبب للفلاح في الدنيا والآخرة ٢٥٧
٣- العمل بالقرآن الكريم سبب للرحمة في الدنيا والآخرة ٢٥٧
٤- العمل بالقرآن الكريم سبب للشفاعة في الآخرة ٢٥٨
٥- العمل بالقرآن الكريم سبب لتكفير الذنوب وإصلاح البال ٢٥٨
- الترهيب من هجر العمل بالقرآن الكريم ٢٦٠
١- هاجر العمل بالقرآن الكريم له مثل السوء ٢٦٠
٢- هاجر العمل بالقرآن يعذب في قبره إلى قيام الساعة ٢٦٠
٣- هاجر العمل بالقرآن وقود النار يوم القيامة ٢٦١
٤- هجر العمل بالقرآن الكريم من أسباب الفتنة ٢٦١
الفصل الثاني: أسباب هجر العمل بالقرآن الكريم ٢٦٣
- العادات والتقاليد ٢٦٥
- الخوف على الدنيا والحرص عليها ٢٦٦
- فتنة الأئمة المضلين ٢٦٨
الفصل الثالث: العمل بالقرآن في واقع السلف ٢٧١

- نماذج من عمل الصحابة بالقرآن الكريم ٢٧٤
- نماذج عامة ٢٧٤
- نماذج خاصة ٢٧٦
١- صديق الأمة ﷺ ٢٧٦
٢- فاروق الأمة ﷺ ٢٧٧
٣- أبو طلحة الأنصاري ﷺ ٢٧٨
٤- أبو الدحداح ﷺ ٢٨٠
٥- ثابت بن قيس ﷺ ٢٨١
٦- معقل بن يسار ﷺ ٢٨٢
٧- زينب بنت جحش - رضي الله عنها - ٢٨٣
الباب الخامس: هجر التداوي والاستشفاء بالقرآن الكريم ٢٨٥
الفصل الأول: المرض ٢٨٧
- تعريف المرض ٢٨٩
- أنواع المرض ٢٨٩
- ماذا يعني المرض عند المسلم ٢٩١
- الأمر بالتداوي ٢٩٤
- أنواع الطب ٢٩٦
- حكم التداوي ٢٩٦
- الدعاء من أنفع الأدوية ٢٩٧
- القرآن علاج وشفاء ٢٩٩

- أحاديث ضعيفة في فضل التداوي بالقرآن ٣٠٠
الفصل الثاني: الصرع ٣٠٤
- تعريف الصرع ٣٠٥
- الأدلة على إثبات الصرع ٣٠٦
- أنواع الصرع ٣٠٨
- أسباب الصرع ٣٠٩
- أسباب انتشار ظاهرة الصرع ٣١١
الفصل الثالث: الرقية الشرعية ٣١٥
- تعريف الرقية ٣١٧
- حكم الرقية وشروطها ٣١٧
- أقسام الرقى ٣١٩
- أولاً: باعتبار الراقي ٣١٩
- ثانياً: باعتبار زمن الرقية ٣٢٢
- بعض الرقى لعلاج الصرع والسحر ٣٢٣
- الرقى من القرآن ٣٢٣
- الرقى النبوية ٣٢٤
- بدع وأخطاء المعالجين ٣٢٥
- الحوار مع الجن وتصديقهم ٣٢٦
- الاستعانة بالجن في العلاج ٣٢٨
- استرضاء الجن بالذبح له ٣٣١

- الاعتماد على التجربة ٣٣١
- التفرغ للرقية ٣٣٤
- التوسع في أخذ الأجر على الرقية ٣٣٥
- علاج النساء ٣٣٦
- الابتداع في الأذكار ٣٣٧
الفصل الرابع: صور من هجر التداوي ٣٣٩
- إتيان السحرة والعرافين ٣٤١
- علامات يعرف بها الساحر ٣٤٢
- تعليق التمائم ٣٤٤
- الاستشفاء بتربة القبور ٣٤٦
- إتيان الكنائس ٣٤٦
- حرز أبي دجانة ٣٤٧
الباب السادس: هجر التحاكم بالقرآن ٣٤٩
الفصل الأول: أسباب الحكم بغير ما أنزل الله ٣٥٣
أولاً: الجهل بأحكام الشريعة الإسلامية ٣٥٤
ثانياً: انعدام الإيمان وضعفه ٣٥٦
ثالثاً: الجمود الفكري والتعصب المذهبي ٣٥٨
- الانحرافات والمآخذ على المذاهب الفقهية ٣٥٩
رابعاً: عقبة أعداء الإسلام ٣٦١
- دعاة على أبواب جهنم ٣٦٢

- عقبة الحكام ٣٦٣
- عقبة الكفار ٣٦٣
الفصل الثاني: وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية ٣٦٧
- ثمرات تطبيق الشريعة الإسلامية ٣٧٤
- تجربة واقعية في العصر الحاضر ٣٧٥
الفصل الثالث: الحكم بغير ما أنزل الله في الميزان ٣٧٩
- خطر التكفير ٣٨١
- أقوال علماء الإسلام في تحكيم القوانين ٣٨٣
- أحوال الحاكم بغير ما أنزل الله ٣٩٠
- الآثار السيئة المترتبة على الحكم بغير ما أنزل الله ٣٩١
الفصل الرابع: صور من تحكيم الشريعة ٣٩٣
النموذج الأول ٣٩٧
النموذج الثاني ٣٩٨
النموذج الثالث ٤٠٣
الخاتمة ٤٠١
الفهرس ٤٠٣

فتح الرحمن
في بيان
هجر القرآن

كتبه

أبو أنس محمد بن فتحي آل عبد العزيز

أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد بن مسفر القحطاني

فضيلة الشيخ

عبد الله بن مانع الروقي

دار ابن خزيمة

ح دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد العزيز، محمد فتحي

فتح الرحمن في بيان هجر القرآن . / محمد فتحي آل عبد العزيز، محمود محمد الملاح - الرياض، ١٤٣١ هـ

٤١٦ ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ١-١٣-٨٠٣١-٦٠٣-٩٧٨

١- قراءة القرآن ٢- المعاصي والذنوب

أ- الملاح، محمود محمد (مؤلف مشارك) ب- العنوان

ديوي ٢٢٩،١ ١٤٣١/١٥١٦

رقم الإيداع: ١٤٣١/١٥١٦
ردمك: ١-١٣-٨٠٣١-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

دار ابن خزيمة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض
الملز - شارع الاحساء - غرب حديقة الحيوان
هاتف: ٤٧٣٠٧٨٨ - ٤٧٦٩٩٣٢ - فاكس: ٤٧٦٠٧٩٥